تهذيب مختصر التفتازاني المتوفى ٧٩١
في المعاني والبيان والبديع

محمد أنور البدخشاني
جامعة العلوم الإسلامية
علامه بنوري تاؤن كراتشي

البلاغة الصافية

تهذيب مختصر التفتازاني

المتوفى سنة ٧٩١هـ

في المعاني والبيان والبديع

تقديم وتهذيب وتسهيل

محمد انور البدخشاني

الأستاذ بجامعة العلوم الإسلامية بنورى تاؤن كراتشي

من منشورات

بيت العلم

عمارة مدينة طه شارع جهانگير كراتشي ٥

كلمة الشكر والتقدير

اللهمّ إنى أشكرك عدد ما خلقتَ فى السّموات، وعدد ما خلقتَ فى الأرض، وعدد ما خلقتَ بينهما، وعدد ما أنتَ خالق إلى الأبد.

وأشكر عبدك ورسولك الذى مَنَنتَ به علينا، فأخرجنا من الظلمات إلى النور، وعلّمنا ما لم نكن نعلم.

أما بعد: فقد وفقنى الله سبحانه وتعالى لجمع وإعداد وتقديم كتاب "البلاغة الصافية" أمام دارسى الأدب وطالبى البلاغة فى أسلوب رحيب وثوب قشيب.

فمن الواجب علىّ هنا أن أذكر بالشكر والتقدير الشقيقين الفاضلين، الأستاذ نعيم أشرف نور والأستاذ فهيم أشرف نور الذَين لهما فضل كبير فى إخراج هذا الكتاب (وأمثاله قبله) على الصورة اللائقة به، فإنهما لم يدّخرا وسعًا ولم يألوا جهدًا فى تصفيفه وترتيبه، ولا فى طباعته الجميلة وتجليده.

فأسأل الله سبحانه أن يجزيهما خيرًا عن خدمة دينه ولغة كتابه.

ولقد صدق الصادق المصدوق ﷺ حيثُ قال: «من سَنّ سنةً حسنةً فله أجرها وأجر من عمل بها» إذ قد سن هذه السنة (سنة نشر القرآن الكريم والكتب الإسلامية والعربية) والدهما المرحوم (الذى هو والدى صهرًا) العلامة المجاهد الشيخ نور أحمد نوّر الله مرقده وبرّد مضجعه، فإنه أسّس

"إدارة القران والعلوم الإسلامية" ونشر فى حياته الطيبة مئاتٍ من المصحف السماوى والمهمّة من كتب التفسير والحديث والفقه والأدب العربى.

ثم أثبت أبناءه الأفاضل المخلصين أن "الولد سرّ لأبيه" فأكرمهم الله فى الدارين ووفّقهم لأضعاف ما عملوا من الخيرات ومن نشر الكتب الدينية والعربية.

ولفضيلة الأستاذ الكريم الشيخ إبراهيم المصرى مبعوث الأزهر الشريف منّة عظيمة علىّ؛ حيث راجع الكتاب من أوله إلى آخره حرفًا حرفًا وأصلح الأغلاط الخطّية والإملائية، فمساعيه مشكورة ومأجورة عند الله إن شاء الله تعالى.

وكذلك لا أنسى أبدًا الأخ الفاضل الشيخ أمير حمزة، لذوقه العلمى والأدبى، ولإخلاصه واهتمامه البالغ فى تصحيح وتزيين كتابى هذا وجميع تأليفاتى السابقة، فجزاه الله أجزل المثوبة فى حياتيه العاجلة والآجلة.

المؤلف

تحريرًا فى ٣/ ٨/ ١٤١٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ

فضيلة العلامة المحقق الشيخ محمد تقى العثمانى
حفظه الله تعالى ونفع به عباده
قاضى التمييز الشرعى بالمحكمة العليا لباكستان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الكريم وعلى آله وأصحابه أجمعين، وعلى كل من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن علم البلاغة من أهم ما يحتاج إليه طالب للعلوم الإسلامية للكشف عن أسرار القرآن الكريم والسنّة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم، وللاطلاع على معانيهما الدقيقة الكامنة فى عباراتهما الرصينة، وفى أسلوبهما البليغ، ولمعرفة وجوه الإعجاز فى كتاب الله التى أخضعت رقاب البلغاء لروعة تعبيراته الخالدة التى لا يزول -على مرّ الأزمان- بهاءها، ولا تذبُل نضرتها، ولا ينضُب معينها، ولا تنقضى عجائبها.

ثم إن البلاغة من أهمّ ما يتزوّد به العالم لإبلاغ كلمة الدين، وأداء

رسالته، ونشر تعاليمه، فإنها تمنح المتكلم والخطيب والكاتب تأثيرًا يفضى به إلى جذور المشاعر وأعماق القلوب، وبه يفتح الأذهان المغلقة، ويثير الهمم الفاترة، ويذلّل المسالك الوعرة، ويشقّ الصخور الصمّاء.

ومن هُنا لم تزل علوم البلاغة عنصرًا مهمًا من عناصر الدراسة فى جميع المعاهد التى تُعنى بتدريس علوم القرآن والسنة. وإن الكتب المقررة لهذه المادّة فى بلادنا هى "تلخيص المفتاح" للقزوينى، وشرحاه: المختصر والمطوّل للتفتازانى، ولكن تلخيص المفتاح، وعلى استيعابه لمبادئ هذا العلم، موجز غاية الإيجاز، بما يُلحقه فى بعض المواضع بالألغاز. وإن شرحيه للتفتازانى رحمه الله متوسعان فى الانتقال مه بحث إلى آخر، وفى إيراد المباحث العويصة التى ربّما لا تُمتّ إلى موضوع البلاغة بصلة، وإنّها -على كونها مفيدة لتشحيذ الأذهان وتمرينها فى الموصوعات الأخرى- قد يضلّ فى متاهاتها الطالب المبتدئ، فيتعسّر عليه مواصلة مسيره الطبيعى نحو مقاصد البلاغة، وربّما يفوته تكوين الذوق الأدبىّ الذى هو الغرض المنشود من وراء هذه الدراسات.

ولقد قام أخونا الفاضل العالم النبيه الشيخ محمد أنور البدخشانىّ - حفظه الله تعالى فى عافية سابغة ونفع به الطالبين- بتهذيب "مختصر المعانى" وتلخيصه وتسهيل معانيه، فألّف هذا الكتاب المفيد: "البلاغة الصافية".

وقد أكرمنى بإعطاء مبيضة قبل الطباعة، فتشرفت بتسريح النظر فيه من مواضع مختلفة، فوجدت فيه ما تقرّ به العيون، حيث إنّه قد جمع فيه أصول علم البلاغة ومبادئه باستخلاص درر المقصود من خِضَمّ مباحث التفتازانىّ رحمه الله فى ترتيب حسن وتنسيق جيّد يسهل على الطالب تناوله وفهمه وضبطه. ثمّ إن المؤلف، حفظه الله، زيّن كتابه بفوائد زائدة اقتبسها من كتب

أخرى، وأعقب كلّ بحث بتمرينات نافعة تساعد الطالب فى حفظ القواعد وممارستها، وتوّج أول الكتاب بمقدّمة علمية نفيسة تحدّث عن نشأة علم البلاغة وتطوّره، وتراجم رجاله المبرّزين، وتعريف كتبهم التى لا يستغنى الطالب عن معرفتها والاطلاع على خصائصها البارزة.

وبالجملة: فقد قام المؤلف بجهد مشكور لتقريب مباحث "مختصر المعانى" إلى أذهان الطلاب، وجمع شتاتها، وضبط قواعدها، بحيث أصبح كتابه هذا جديراً بأن يحلّ محلّ "تلخيص المفتاح" وشرحه للتفتازانى فى مقرراتنا الدراسية، فيكون نفعه أكثر إن شاء الله تعالى، ويا ليته لو توسّع فى التمرينات بإيراد أمثلة متعددة من كلام البلغاء، لتكون أكثر معونة للطالب فى ممارسة القواعد وتطبيقها العمليّ.

وأرجو المؤلف -حفظه الله- أن يأخذ هذا الاقتراح المتواضع بعين الاعتبار فى الطبعات القادمة إن شاء الله تعالى.

وأدعو الله سبحانه أن يتقبل من المؤلف هذا العمل الطيّب، وينفع به الطلاب، ويجعله عونًا فى فهم الكتاب والسنة، وأن يبارك فى عمر المؤلف وعلمه، ويوفقه لأضعاف أمثال هذه الأعمال العلميّة النافعة ويمتّع بها العباد والبلاد، ولله الحمد أولا وآخراً.

١٩/ رجب/ ١٤١٦هـ

محمد تقى العثمانى

خادم الطلبة بدار العلوم كراتشى ١٤

باكستان

بسم الله الرحمن الرحيم

التمهيد

الحمد لله الذى أنزل إلينا كتابًا فيه الإطناب والمساواة والإيجاز، والشكر له على ما وقفنا لفهم أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز، وأصلّى وأسلّم على النبىّ الأمّى الذى خاطب البلغاء بالكناية والحقيقة والمجاز، وعلى آله وصحبه الّذين تحلّوا بحلية الفصاحة، وامتازوا بسمات البلاغة.

أمّا بعد: فقد كفى بفضيلة علم البلاغة ومرتبتها السّامية برهانًا أنه تعالى جعل رسله مُبلّغين ومُبلِغين، فقال لأشرف رسله محمد ﷺ: ﴿يا أيّها الرسول بلّغ ما أنزل إليك﴾، وكذلك قال تعالى: ﴿ليعلم أن قد أبلغوا رسالاتِ ربّهم﴾، وقال تعالى: ﴿الّذين يبلّغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدًا إلا الله﴾

فإن التبليغ والإبلاغ من "البلوغ" الذى أخذ منه "البلاغة"، وكذلك قال تعالى فى مدح كتابه: ﴿إن فى هذا لبلاغًا لقوم عابدين﴾ أى وصولا إلى الهداية، أو كفايةً للنجاة والسعادة، وقال فى وصف حجته: ﴿قل فللّه

الحجة البالغة﴾ أى الحجة التى تصل إلى أعماق القلوب وتفيد اليقين، وتقطع الريب هى الحجة التى أرسلها الله على لسان رسوله، وقال فى وصف وحيه: ﴿حكمة بالغة﴾ أى رسالة محكمة وصلت إلى نهاية العدل وغاية الصدق وآخر الكمال، وكما أن للفصاحة مرتبة سامية عند الله تعالى، حتى أن صاحبها أليق الناس بالرسالة والنبوة، وأولاهم لحمل أمانة الله تعالى؛ فإنه تعالى يحكى كلام رسوله موسى -عليه السلام- فى القرآن: ﴿وأخى هارون هو أفصح منّى لسانًا فأرسله معى ردءًا يصدّقنى﴾، ونرى أن سيدنا موسى عليه السلام يسأل ربّه ويدعوه أن يجعل أخاه هارون نبيّا؛ لأنه أفصح منه لسانًا وأوضح بيانًا وأسطع منه برهانًا، فعلمنا من إشارات نصوص كتاب الله تعالى أن أكثر الناس بلاغةً وأشدّهم فصاحةً هو أنبياء الله تعالى صلوات الله وتسليماته عليهم.

ومن هنا ظهر أن الفصاحة والبلاغة هما حلية الدعاة، وزينة الوعّاظ، وجمال السلاطين، وكمال الخلفاء وميزة الحكماء، وأشهر سير المرسلين والصالحين.

وأحبّ أن أقدّم فى هذا الصدد كلام أبى هلال العسكرى المتوفى ٣٩٥هـ من "كتاب الصنّاعتين" له، يقول: "واعلم علّمك الله الخير، ودلّك عليه، وقيّضه لك، وجعلك من أهله، أن أحق العلوم بالتعلّم، وأولاها بالتحفظ -بعد المعرفة بالله جلّ ثناءه- علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة الذى به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى الناطق بالحق، الهادى إلى سبيل الرشد، المدلول به على صدق الرسالة، وصحة النبوة التى رفعت أعلام الحق، وأقامت منار الدين، وأزالت شبه الكفر ببراهينها، وهتكت حجب الشك بيقينها".

وقد علمنا أن الإنسان إذا غفل عن "علم البلاغة" وأخلّ بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصّه الله به من حسن التأليف وبراعة التركيب، وما شحنه به من الإيجاز البديع، والاختصار اللطيف، وما ضمّنه من حلاوةٍ، وجلّله من رونق الطلاوة مع سهولة كلمه وجزالتها، وعذوبتها وسلاستها، إلى غير ذلك من محاسنه التى عجز الخلق عنها، وتحيّرت عقولهم فيها، ولهذا العلم بعد ذلك فضائل مشهورة، ومناقب معروفة[١].

مقدمة
فى نشأة علم البلاغة وتطوّره

١ – ويتبادر من لفظ "البيان" بمعناه العام العلوم الثلاثة -علم المعانى وعلم البيان وعلم البديع- التى يعبّر عنها بـ"علم البلاغة"، ونريد فى هذه المقدمة من لفظ "البيان" هذا المفهوم العام، لا المعنى الخاصّ، وهو: "علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة عليه وخفاءها"، فالواقع أن البلاغة العربية التى يعبّر عنها بـ"علم البيان" بالمعنى العامّ قد مرّت بتاريخ طويل من الأدوار والأطوار، حتى انتهت إلى ما نرى من التطور النهائى.

وقد نشأت الملاحظات البيانية عند العرب منذ العصر الجاهلى، ثمّ أخذت هذه الملاحظات تنمو وتزيد بعد ظهور الإسلام، وطلوع أنواره لأسباب شتّى.

---

(١) منها: حضارة العرب، واستقرارهم فى المدن والأقطار المفتوحة.

(٢) ومنها: نهضتهم العقلية التى استوردوها من الشعوب غير العربية، والفلسفة الدخيلة.

(٣) ومنها: الجدل الشديد الذى قام بين الفرق الإسلامية المختلفة فى شؤون العقيدة والسياسة.

٢- وإذا انتقلنا إلى العصرين الأموى والعباسى، فإننا نجد بالإضافة إلى نموّ تلك الملاحظات محاولات أولية لتدوين وتسجيل هذه الملاحظات، كما يظهر من كتب الجاحظ، وخاصّةً من كتابه "البيان والتبيين"

٣- وقد أثّر فى أساليب البلاغة أمور:

(١) منها: تطور الشعر والنثر بتأثير الحضارة العباسية، ورقى الحياة العقلية فيها.

(٢) ومنها: ظهور الطائفتين من الباحثين: إحداهما هى الطائفة المحافظة للغة العرب، وأدبهم، وهم اللغويون، وهؤلاء كانوا عالمين برواية الأدب وأصوله اللغوية، والنحوية.

والثانية: هى طائفة علماء الكلام، وعلى رأسهم المعتزلة الذين كانوا يُمرِّنون تلاميذهم على فنون الجدل والخطابة والمناظرة فى الموضوعات العقلية، والنقاشات الفلسفية، ونجد فى "البيان والتبيين" للجاحظ قدراً كبيراً من أنظار المعتزلة التى ترتبط بالبلاغة العربية، وخاصّةً بالبيان وأسلوبه.

٤- وقد استقت المعتزلة ملاحظاتهم البلاغية وأفكارهم الأدبية عن مَصدرَينِ معروفَينِ: وهما تقاليد اللغة العربية نظمًا ونثرًا، والاتباع عن الثقافات الأجنبية التى شاعت فى عصرهم، وأخذوا يتمتّعون من دراسة تلك الثقافات، فحصّلوا من تلك التقاليد والاتباعات فائدتين لهما أثر واضح فى

شئون البلاغة :

(١) فائدة عقلية بحتة ، مصدرها دراسة الفلسفة التى نظّمت عقولهم تنظيمًا دقيقًا ، حتى أعانهم على استنباط القضايا البلاغية .

(٢) والفائدة الأخرى هى طلبهم معرفة ما فى ثقافات الأمم الأجنبية التى وصلت إليهم من قواعد البلاغة والبيان لتلك الأمم ، فإنا نجد الجاحظ قد شحن كتابه " البيان والتبيين " من تعاريف اليونان ، والفرس ، والهند للبلاغة .

٥- ومن علماء المعتزلة الذين لهم نشاطات ملموسة فى البلاغة والبيان بشر بن المعتمر ، رئيس المعتزلة ببغداد ، والمتوفى سنة ٢١٠ للهجرة ، وأكبر معتزلى جاء بعد بشر بن المعتمر ، وأكثرهم عنايةً بالبلاغة العربية هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى ٢٥٥ للهجرة ، فإن كتابه الذى ذكرناه مرارًا " البيان والتبيين " أكبر شاهد على ما قلنا ؛ لأنه جمع فيه معظّم ما وصل إليه فى عصره من ملاحظات بلاغية .

ومجمل القول فى الجاحظ من ناحية البلاغة والبيان : أنه ألمّ فى كتبه بالأساليب البيانية من تشبيه ، واستعارة ، وكناية ، وحقيقة ، ومجاز ، ولكنه لم يوردها فى تعريفات اصطلاحية وتحديدات منطقية ، بل قدّمها أمام الدارسين عن طريق الأمثلة والنماذج -كما هو دأب البلغاء من الأقدمين- لا عن طريق القواعد البلاغية المعروفة .

ثم جاء بعد الجاحظ -من غير المعتزلة- ابن قتيبة الدينورى المتوفى ٢٧٦هـ ، فإنه يتحدّث فى كتابه " تأويل مشكل القرآن " عن إعجاز القرآن الحكيم رادًا على الطاعنين فى أسلوب القرآن بأنه جهل منهم بأساليب البيان العربى ، ثم ينتقل إلى الحديث عن موضوعات علم البيان (بمعناه الخاص) من حقيقة ، ومجاز ، وتشبيه ، واستعارة ، وكناية .

وبعد ابن قتيبة جاء معاصره أبو العباس المبرّد (المتوفى ٢٨٥هـ) وألّف كتابه " الكامل " وكتابه هذا وإن كان فى اللغة، ولكن قد تعرّض فيه عند شرح النصوص الأدبية لبعض موضوعات البيان، مثل المجاز، والاستعارة، الكناية والتشبيه.

٦- وأول كتابٍ وجدناه من كتب علماء الكلام الذين اهتمّوا بالمباحث البلاغية من أجل تفسير الإعجاز البلاغى للقرآن هو كتاب " النكت فى إعجاز القرآن " للرمّانى المعتزلى (المتوفى ٣٨٦هـ) وقد تحدّث الرمانى فى " نكته " هذا عن البلاغة ، وجعله فى عشرة أبواب، والبابان منها فى علم البيان (التشبيه والاستعارة).

٧- ومن الكتب التى اهتمّ مؤلّفوها بمباحث البلاغة وأساليب البيان، وأركانه الأساسية هو كتاب " الصناعتين (الكتابة والشعر) " لأبى هلال الحسن ابن عبد الله بن سهل العسكرى (المتوفى ٣٩٥هـ) وقد رتّب أبو هلال كتابه هذا على عشرة أبواب، وباب منها فى البيان عن حسن النظم، وجودة الرصف، وباب آخر منه فى التشبيه وأنواعه، وذكر أنواع الاستعارة فى فصل مستقل.

٨- وقد ظلّ الأمر كذلك حتى ظهر عبد القاهر الجرجانى فى القرن الخامس الهجرى، فاقتطف ثمار هذه الجهود واتخذ منها أساسًا استعان به فى وضع نظرية علم البلاغة (المعانى والبيان).

عبد القاهر الجرجانى

هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجانى الإمام النحوى، وأحد علماء الكلام على مذهب الأشعرى، ولد وعاش بجرجان، ولم يفارقها

حتى توفى سنة ٤٧١ للهجرة، وله مؤلفات قيّمة فى النحو، والصرف، والعروض، وإعجاز القرآن، والتفسير، والبلاغة، ولكنه اشتهر بكتابيه "أسرار البلاغة" الذى وضعه فى علم البيان، و "دلائل الإعجاز" الذى وضعه فى علم المعانى، ولهذا يستحق أن يعدّ واضع أسس البلاغة العربية، والمشيّد لأركانها، والموضّح لمشكلاتها، ثمّ على نهجه سار المؤلفون من بعده، وأتمّوا البنيان الذى وضع أساسه.

٩- أسلوب الشيخ عبد القاهر فى كتابيه:

أمّا الأسلوب الذى سار عليه فى تأليف كتابيه: "أسرار البلاغة" و "دلائل الإعجاز" وامتاز به على سائر كتب البلاغة هو طريق الجمع بين العلم والعمل الذى يرسخ به العلم، أمّا العلم: فقد أظهره فى ضمن القواعد الكلية، وأمّا العمل: فأبرزه فى الأمثلة والشواهد، فإذا كانت القواعد الكلية صوراً إجمالية للمعلومات الجزئية، فالأمثلة والشواهد صور تفصيلية لها، هذه هى طريقة عبد القاهر فى كتابيه، يذكر القاعدة الكلية ثم يردفها بالأمثلة، والشواهد بيانًا لتلك القاعدة، علمًا منه بأن التعليم السهل النافع إنما يكون بقران الصور المفصّلة بالصور المجملة؛ إذ بالتفصيل تعرف المسائل وتدرك، وبالإجمال تحفظ فى العقل.

وأمّا غيره من المؤلّفين فى البلاغة، فإمّا انحصروا على القواعد فقط، أو اكتفوا بكثرة الأمثلة والشواهد، أو آثروا فى سرد القواعد، وذكر الأمثلة عبارات اصطلاحيّة ممزوجة بقيودات عقلية وحدود منطقية تأباها البلاغة العربية والأساليب الأدبية.

وأمّا المؤلّفون المصريون الفضلاء شكر الله مساعيهم، وتقبل جهودهم،

فلهم أسلوب معكوس وطريقة مقلوبة؛ حيث يذكرون الأمثلة أولا، والشرح والتطبيق ثانيًا، والقواعد ثالثًا، ويوفّرون التمرينات الاختبارية رابعًا، حتى يتحيّر الطالب المسكين فى غابة التمرينات وأمواج الأمثلة.

١٠- الزمخشرى وعلوّ كعبه فى البلاغة:

، ثم ظهر بعد الجرجانى بليغ آخر كان له أثر كبير فى ميدان البلاغة العربية، ذلك هو العالم المعتزلى جار الله محمود بن عمر الزمخشرى المتوفى سنة ٥٣٨ للهجرة، ومن أشهر كتبه الذى اشتهر به هو تفسيره "الكشاف عن حقائق التنزيل"، فإنه قدّم فى هذا الكتاب صورةً رائعةً لتفسير القرآن العظيم وطبّق فيه البلاغة تطبيقًا عمليًا، وجاء بأعجب أساليب البيان، وبأجمل المحسّنات البديعية، وقد أشرنا سابقًا أن اهتمام المعتزلة بتفسير الإعجاز البلاغى للقرآن اهتمام قديم، كما أن الزمخشرى نفسه يصرّح فى مقدمة "كشافه" بأن من يتصدى لتفسير القرآن ينبغى له أن يكون بارعًا فى علمين مختصّين بالقرآن الكريم، وهما علم المعانى وعلم البيان.

١١- ماكتب فى البلاغة قبل السكاكى:

١- "دلائل الإعجاز" للإمام عبد القاهر الجرجانى ٤٧١هـ.

٢- "أسرار البلاغة" للإمام عبد القاهر الجرجانى.

٣- "العمدة فى صناعة الشعر ونقده" لابن رشيق القيروانى المتوفى عام ٤٥٦هـ.

٤- "سرّ الفصاحة" لابن سنان الخفاجى المتوفى ٤٦٦هـ.

٥- "إعجاز القرآن" للباقلانى المتوفى ٤٠٣هـ.

٦- "البيان والتبيين" و "البخلاء" للجاحظ المتوفى ٢٥٥هـ.

٧- "نقد الشعر" لقدامة بن جعفر كاتب الديوان العباسى المتوفى ٣٣٧هـ.

٨- "قواعد الشعر" لثعلب المتوفى ٢٩١هـ، وهذا كتاب صغير ومع ذلك تعرّض فيه عن وجوه البلاغة.

٩- "كتاب البديع" لابن المعتز الخليفة العباسى، المتوفى ٢٩١هـ، وقد صنفه فى سنة أربع وسبعين ومائتين للهجرة.

١٠- "رسالة فى بيان إعجاز القرآن" للخطابى البستى صاحب "معالم السنن" والمتوفى ٣٨٨هـ.

١١- "إعجاز القرآن" لعبد الجبار المعتزلى المتوفى ٤١٥هـ.

١٢- "عيار الشعر" لابن طباطبا المتوفى ٣٢٢هـ.

١٣- "الموازنة بين أبى تمام والبحترى" لأبى القاسم الحسن بن بشر الآمدى المتوفى ٣٧١هـ.

١٤- "تلخيص البيان فى مجازات القرآن" للشريف الرضى المتوفى ٤٠٦هـ.

١٥- "مجاز القرآن" لأبى عبيدة معمر بن المثنى المتوفى ٢٠٨هـ.

١٦- "نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز" للإمام فخر الدين الرازى المتوفى ٦٠٦هـ، وهذا تلخيص لكتابى عبد القاهر: أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز.

٢-١- السكاكى وأسلوبه البلاغى:

هو سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن محمد السكاكى المتوفى ٦٢٦

للهجرة، احترف صناعة المعادن حتى الثلاثين من عمره، ولذلك لقّب بالسكاكى، ثم رغب فى العلم وتفرغ له، فأكبّ على دراسة الفلسفة، والمنطق، والكلام وطريق الاعتزال، والفقه وأصوله، وعلوم اللغة والبلاغة حتى أتقنها.

وله مؤلفات فى مختلف العلوم والفنون، ولكن من أشهرها وأكثرها تداولا وشرحًا وتعليقًا هو كتاب "مفتاح العلوم" الذى قسمه إلى ثلاثة أقسام رئيسية: قسم فى الصّرف والنحو والاشتقاق، وقسم فى العروض والقوافى، والمنطق، والقسم الثالث منه فى علم البلاغة (المعانى والبيان البديع).

وجعل المقدمة مؤخرة؛ حيث ذكر بحث الفصاحة والبلاغة بعد المعانى والبيان، وقبل البديع.

وطلوع السكاكى فى أفق سماء البلاغة وشهرته العلمية إنما يكون في الواقع لأجل هذا القسم من كتابه الذى أعطى فيه للمعانى والبيان والبديع، بل للفصاحة والبلاغة الصيغة النهائية والأسلوب الذى عكف عليها العلماء تدريسًا وتأليفًا وشرحًا وتعليقًا، واختصارًا وتلخيصًا، فجهود السكاكى فى البلاغة وتوابعها ما كانت ابتكارًا منه، بل إنما هى ترتيب وتلخيص وجمع بين أفكار البلاغيين السابقين عليه، وبين آراءه العقلية.

وقد صاغ ذلك كلّه صياغةً مضبوطةً محكمةً بقدرته المنطقية، وملكته الكلامية فى التعليل، والتجريد، والتعريف، والتقسيم، والتفريع، ومع ذلك كلّه لم يهذّب مفتاحه عن التراكيب المعقّدة، والعبارات المغلقة، والجمل المسهبة، والتطويل بلا طائل، كما أشار إليه القزوينى فى ديباجة تلخيصه.

مراجع السكاكى فى القسم الثالث

ومن أهم الكتب التى اعتمد عليها السكاكى فى أسلوبه ووضعه، هو كتاب "نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز" للفخر الرازى المتوفى ٦٠٦هـ، فإن الإمام الرازى لخّص كتابى الشيخ عبد القاهر "أسرار البلاغة" و "دلآئل الإعجاز"، وسمّى تلخيصه "نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز"، فقلّده السكاكى، ولخّص الكتابين المذكورين مستمدّا من ترتيب الرازى وأسلوبه، وتحديداته المنطقية، كما أنه أخذ من "كشّاف الزمخشرى" كثيرًا، ولكن غيّر عبارات الزمخشرى الواضحة إلى ما ترونه فى القسم الثالث من مفتاحه.

ولا شكّ أن تلخيص السكاكى للكتابين أبسط وأدقّ وأشمل، إلا أن علم البلاغة تحوّل فى تلخيصيهما إلى علم طغت فيه قواعد البلاغة وأصولها على روح البيان الأدبى الخالص، وأضواءه التى يستضاء منها؛ لأنهما -الرازى والسكاكى- فى سبيل تمهيد قواعد البلاغة، وقوانينها استخدما المنطق والكلام بأسلوبهما العقلى الجافّ الذى لا يورث أىّ حسن أدبى ولا جمال بلاغى فى الكلام.

شروح القسم الثالث للمفتاح

١- "مفتاح المفتاح" للشيرازى المتوفى ٧١٠هـ.

٢- شرح الخلخالى المتوفى ٧٤٥هـ.

٣- شرح التفتازانى المولود ٧١٢هـ والمتوفى ٧٩١هـ.

٤- شرح السيّد شريف المتوفى ٨١٦هـ.

٥- شرح عماد الدين الكاشى.

٦- شرح سلطان شاه الأبهرى.

٧- شرح طاش كبرى زاده المتوفى ٩٦٢هـ.

٨- شرح شيخ زاده المتوفى ٩٥١هـ.

٩- شرح الشربينى المتوفى ٧٦٩هـ.

١٠- شرح ابن كمال باشا المتوفى ٩٤٠هـ.

التلخيصات والمختصرات للقسم الثالث

١- لخّصه القزوينى المتوفى ٧٣٩هـ وسمّاه تلخيص المفتاح.

٢- ولخّصه بدر الدين بن مالك المتوفى ٦٨٦هـ، وسمّى تلخيصه "المصباح فى اختصار المفتاح".

٣- واختصره المعانيجى المتوفى ٩٩٠هـ.

٤- واختصره الأيجى المتوفى ٧٥٦هـ.

٥- ونظم المراكشى "مصباح" بدر الدين بن مالك، ثم شرحه وسمّى شرحه "ضوء المصباح".

٣-١ المخالفون للسكاكى فى أسلوبه البلاغى:

ونلتقى بعد السكاكى بطائفة من علماء البلاغة الذين انحرفوا فى دراسة البلاغة عن طريقه.

١- ومن أولائك العلماء بدر الدين بن مالك المتوفى ٦٨٦ للهجرة،

وقد ألّف كتابًا فى البلاغة باسم "المصباح فى علوم المعانى والبيان والبديع"، وكتابه هذا فى الواقع تلخيص للقسم الثالث من المفتاح مع تجريده من تعقيداته المنطقية وتحديداته الكلامية، كما أنه نقل بحث الفصاحة والبلاغة عن ذيل علم البيان إلى فاتحة تلخيصه.

٢- ومنهم محمد بن محمد بن عمرو التنوخى المتوفى ٦٩٢هـ، وله كتاب "الأقصى القريب فى علم البيان" والتنوخى هذا قد انحرف عن طريقة السكاكى والزمخشرى، وعبد القاهر فى تقسيم البلاغة إلى علوم، بل نحى التنوخى فى كتابه هذا منحى ابن الأثير فى "المثل السائر" حيث أطلق البيان على جميع مباحث البلاغة من غير فصل بينها، أعنى أراد من البيان المعنى العام الشامل للعلوم الثلاثة.

٣- ومنهم ضياء الدين بن الأثير المتوفى ٦٣٧هـ صاحب كتاب "المثل السّائر فى أدب الكاتب والشاعر"، وهو أيضًا انحرف فى دراسة البلاغة عن أسلوب السكاكى؛ فإنه يطلق البيان على تمام مباحث المعانى والبيان والبديع، يعنى يريد من البيان المعنى العام، وكتابه هذا مشتمل على مقدمة ومقالتين، ففى المقدمة يتحدّث عن علم البيان.

وفى المقالتين يبحث عن الصناعتين: اللفظية والمعنوية، ويعدّ الاستعارة والتشبيه، والمجاز، والكناية، والتعريض من الصناعة المعنوية.

٤- ومنهم يحيى بن حمزة العلوى اليمنى المتوفى ٧٤٩هـ وصاحب كتاب "الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز"، ويقع كتابه فى ثلاثة أجزاء، واستقى فى هذا الكتاب عن المنابع الخمسة: "مفتاح السكاكى"، و "المثل السائر" لابن الأثير، و "التبيان فى علم البيان" لابن الزملكانى، و "نهاية الإيجاز" للرازى، و "المصباح" لبدر الدين

ابن مالك، فترك يحيى تقليد أسلوب السكاكى، ورجّح أساليب الآخرين.

٤ ١- الخطيب القزوينى وتلخيصه وإيضاحه:

هو جلال الدين قاضى القضاة محمد بن القاضى سعد الدين عبد الرحمن القزوينى الشافعى، ولد بالموصل سنة ٦٦٦ للهجرة، ولما بلغ سنّ الرشد تفقه على أبيه وعلماء بلده، ثم نزل مع أبيه وأخيه بلاد الروم (الأباضول) وتولّى القضاء فى بعض أعمالها، ثم قدم دمشق مع أخيه، وفى أثناء ذلك دار فى حلقات العلماء حتى أتقن علم العربية، وأصول الفقه، وعلوم البلاغة، وولّى خطابة دمشق فى جامعها الأموى الكبير، فلما رفع ذكره وطار اسمه، طلبه السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى القاهرة، فقدم عليه سنة ٧٢٤هـ، وخطب بجامع القلعة بين يدى السلطان فأعجبه، وولاه قضاء دمشق وخطابتها جميعًا، ثم ذهب إلى مصر بأمر السلطان سنة ٧٢٧هـ، وولاه قضاء الديار المصرية، واشتهر ذكره وطار صيته، ثم طلبه السلطان مرةً ثانيةً أن يعود إلى قضاء دمشق؛ ليكون قريبًا من أولاده، فأجاب السّلطان، ولكن أعجلته المنية حتى توفى بدمشق سنة ٧٣٩هـ.

وكان شاعرًا بليغًا كريمًا، وله مؤلفات علمية دقيقة ممتعة، وموضوع كلامنا هو تلخيصه وإيضاحه.

تلخيصه: ولخّص القسم الثالث من كتاب "المفتاح" تلخيصًا دقيقًا علميًا واضحًا على رغم بعض تعقيداته، وكان تلخيصه هذا (فى زعمه أولا) حسن العبارة، دقيق الإشارة، واضح الدلالة، وعمد إلى ما فى "المفتاح" من تعقيداته، فأخلى تلخيصه من أكثره، وناقش السكاكى فى غير موضع، حتى طرح بعض تعريفاته المبهمة، ووضع مكانها تعريفات واضحة بيّنة،

ولم يكتفِ أثناء التلخيص بما فى "المفتاح"، بل عكف على كتابى عبد القاهر "أسرار البلاغة" و "دلائل الإعجاز"، وعلى "كشاف" الزمخشرى، فاستقى منها أيضًا فى تلخيصه، كما يشير نفسه فى ديباجة التلخيص: إلى ما حمله على تلخيص القسم الثالث، وإلى كتب أخر راجع إليها أثناء التلخيص، حيث يقول: "لما كان القسم الثالث من مفتاح العلوم الذى صنفه الفاضل العلامة أبو يعقوب يوسف السكاكى أعظم ما صُنِّف فى علم البلاغة من الكتب المشهورة نفعًا؛ لكونه أحسنها ترتيبًا، وأكثرها للأصول جمعًا، ولكن (مع ذلك كلّه) كان غير مصون عن الحشو والتطويل والتعقيد، قابلا للاختصار، ومفتقرًا إلى الإيضاح والتجريد، ألّفتُ مختصرًا يتضمن ما فيه من القواعد، وأضفت إلى ذلك فوائد عثرت فى بعض كتب القوم عليها، وزوائد لم أظفر فى كلام أحد بالتصريح بها، ولا الإشارة إليها، وسمّيته "تلخيص المفتاح"(١).

إيضاحه: ويذكر سبب تأليف "الإيضاح" ويقول: "أما بعد: فهذا كتاب فى علم البلاغة وتوابعها، ترجمته بـ"الإيضاح"، وجعلته على ترتيب مختصرى الذى سمّيته "تلخيص المفتاح"، وبسطت فى "الإيضاح" القول؛ ليكون كالشرح له، فأوضحت مواضعه المشكلة، وفصّلت معانيه المجملة، وعمدتُ إلى ما خلا عنه المختصر (التلخيص) مما تضمّنه "مفتاح العلوم"، وإلى ما خلا عنه المفتاح من كلام الشيخ عبد القاهر فى كتابيه: "دلائل الإعجاز" و "أسرار البلاغة"، وإلى ما تيسّر النظر فيه من كلام غيرهما"(٢).

---

(١) التلخيص ص٢ طبعة مصر.

(٢) الإيضاح صـ٣ طبعة دار الكتب العلمية بيروت.

شروح التلخيص

١ - الإيضاح للقزوينى ، فإن صاحب البيت أدرى بما فيه .

٢- عروس الأفراح فى شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكى المتوفى ٧٧٣هـ .

٣- شرح الخلخالى المتوفى ٧٤٥هـ .

٤ - شرح الزوزنى المتوفى ٧٩٢هـ .

٥- شرح ابن هشام المتوفى ٩٤٥هـ .

٦- شرح عصام الدين بن إبراهيم الأسفراينى المتوفى بسمرقند منتصف القرن العاشر الهجرى ، وقد سمّى شرحه بالأطول .

٧- شرح ابن يعقوب المغربى المتوفى ١١١٠هـ ، وسمّى شرحه "مواهب الفتاح فى شرح تلخيص المفتاح" .

٨- واختصر السيوطى المتوفى ٩١١هـ التلخيصَ ونَظَمَه ، فسمّاه "الجُمان" ، ثم شرحه ، وسمّاه "عقود الجُمان" .

٩- المطول للتفتازانى المتوفى ٧٩١هـ .

١٠- المختصر له أيضًا .

١٥- التفتازانى ومطوّله ومختصره:

هو العلامة المتكلم الفلسفى النظّار البلاغى البحّاثة سعد الدين مسعود ابن عمر التفتازانى المتوفى بسمرقند عام ٧٩١هـ ، وكان بارعًا فى العلوم العقلية والنقلية ، وخاصّةً فى الكلام والمنطق والفلسفة والأصول والبلاغة ،

وله مصنفات فى العلوم المختلفة ممتعة قيمة.

وشرح "تلخيص القزوينى" شرحين: سمّى أولهما "المطوّل"، وثانيهما "المختصر"، وكلاهما يدرّسان فى المدارس، والمعاهد شرقًا وغربًا حوالى سبعة قرون، بل يعدّان مرجعًا أساسيًا فى علم البلاغة، وحتى الآن لا يستغنى طالب البلاغة عنهما فى بلادنا.

سبب اختيار التفتازانى "التلخيص" للشرح وثنائه عليه

يقول فى ديباجة مطوّله: "وكثيرًا ما كان يخالج قلبى أن أشرح "كتاب تلخيص المفتاح" المنسوب إلى الإمام العلامة، عمدة الإسلام، قدوة الأنام، جلال الملة والدين، محمد بن عبد الرحمن القزوينى الخطيب بجامع دمشق، إذ قد وجدتُه مختصرًا جامعًا لغرر أصول هذا الفن وقواعده، حاويًا لنكت مسائله وعوائده، محتويًا على حقائق هى لباب آراء المتقدمين، منطويًا على دقائق هى نتائج أفكار المتأخرين، مائلا عن غاية الإطناب ونهاية الإيجاز، لائحًا عليه مخايل السحر ودلائل الإعجاز"، شعر:

ففى كلّ لفظ منه روض من المنى
وفى كل سطر منه عقد من الدرر(١)

مصادر التفتازانى وأسلوبه فى المطوّل

ثم يقول: "وبذلت جهدى فى مراجعة الفضلاء المشار إليهم بالبنان،

---

(١) المطوّل ص٣ و٤ طبعة المكتبة الفاروقية.

وممارسة الكتب المصنّفة فى فن البيان (علم البلاغة) لا سيّما "دلائل الإعجاز" و "أسرار البلاغة"، فلقد تناهيت فى تفحّصهما غاية الوسع والطاقة، ثمّ جمعتُ لشرح هذا الكتاب ما يذلّل صعاب عويصاته الآبية، ويسهّل طريق الوصول إلى ذخائر كنوزه المخفية. . . " إلى أن يقول: "وتمسّكت فى دفع اعتراضاته بذيل العدل والإنصاف، وتجنبت فى ردّ ما أورد عليه من مذهب البغى والاعتساف، وأشرتُ إلى حلّ أكثر غوامض "المفتاح" و "الإيضاح"، ونبّهتُ على بعض ما وقع من التسامح للفاضل العلامة قطب الدين الشيرازى فى "شرح المفتاح"، وأومأتُ إلى مواضع زلّت فيها أقدام الآخذين فى هذه الصناعة، وأغمضتُ عما وقع لبعض متعاطى هذا الكتاب من غير بضاعة"(١).

وقد يشير العلامة فى "مطوّله" إلى "المثل السائر" لابن الأثير (ضياء الدين) كما أنه يذكر بعض اللغويين من أمثال المبرّد، والزجاج، والجوهرى، والمرزوقى (شارح ديوان الحماسة)، والواحدى (شارح ديوان المتنبى)، وكذلك يحيل كثيرًا مّا كشّاف الزمخشرى.

تاريخ ابتداء المطوّل وانتهائه

وافتتح شرحه "المطول" يوم الاثنين من رمضان سنة ٧٤٢ للهجرة بجرجانية خوارزم، وفرغ من تبييضه يوم الأربعاء الحادى عشر من صفر سنة ٧٤٨ للهجرة بهراة صانها الله عن الآفات(٢).

---

(١) ص٥ المرجع السابق.

(٢) المطول ص٤٤٥.

الحواشى والتعليقات على "المطول"

١- حاشية للسيّد شريف الجرجانى المتوفى ٨١٦هـ.

٢- حاشية الفَنرى المتوفى ٨٨٦هـ.

٣- حاشية ملا خسرو المتوفى ٨٨٥هـ.

٤- حاشية السيرامى المصرى المتوفى ٨٣٣هـ.

٥- حاشية الحفيد المتوفى ٩٠٦هـ.

٦- حاشية الشيرازى المتوفى ٩٩٤هـ.

٧- حاشية عزّ الدين بن جماعة المتوفى ٨١٩هـ.

٨- حاشية البسطامى المتوفى ٨٤٢هـ.

٩- حاشية السمرقندى المتوفى ٨٨٠هـ.

١٠- حاشية السيالكوتى المتوفى ١٠٦١هـ.

ما حَمَلَه على اختصار "المطوّل"

يقول التفتازانى رح فى "ديباجة المختصر": "قد شرحتُ فيما مضى "تلخيص المفتاح"، وأغنيته بالإصباح عن المصباح، وأودعته غرائب نكت سَمَحتْ بها الأنظار، ووشّحته بلطائف فقر سبكتها أيدى الأفكار، ثم رأيتُ الكثير من الفضلاء، والجمّ الغفير من الأذكياء، يسألوننى صرف الهمة نحو اختصاره، والاقتصار على بيان معانيه وكشف أستاره، لِما شاهدوا من أن المحصّلين قد تقاصرتْ هممهم عن استطلاع طوالع أنواره، وثقاعدت عزائمهم

عن استكشاف خبيات أسراره، وأن المتحلين قد قلّبوا أحداق الأخذ والانتهاب، ومدّوا أعناق المسخ على ذلك الكتاب.

فانتصبتُ لشرح الكتاب على وفق مقترحهم ثانيًا، ولعنان العناية نحو اختصار الأول ثانيًا.

ثم يقول في مدح "المختصر": "ثمّ لمّا وفّقتُ بعون الله تعالى وتأييده للإتمام، وقوّضتُ عنه خيامه بالاختتام... فجاء بحمد الله كما يروق النواظر، ويجلو صدأ الأذهان ويرهف البصائر، ويضيء ألباب أرباب البيان"[1].

وقد فرغ من الاختصار سنة ٧٥٦ للهجرة بعد الفراغ عن "المطوّل" بثماني سنوات.

الحاجة إلى تهذيب "المختصر"

١- ولا يخفى على أحد أن رغبات الأمم وتقاصر الهمم عن العلوم العربية كلّها، وبخاصّةٍ عن علم البلاغة، ومعرفة دقائقها، وأسرارها، وعن الفصاحة، وكشف أستارها إلى أيّ حدّ وصلت.

٢- كما أن من الألم الموجع، بل المرض السارى المهلك (علمًا) هو إلغاء كثير من الكتب العلمية الممتعة، وإخراجها عن المناهج الدراسية الرائجة فى العالم الدراسى.

٣- وكذلك تقليل وتخفيف مدة الدراسة فى المدارس والمعاهد الأهلية علة مؤثرة جدًا فى ضعف العلم وأهله.

---

(١) ص٣ و٤ الطبعة المجتبائية.

٤- ولزوال العلم ونقصانه فى عصرنا أسباب جمّة، ولكن أكبرها عندى كثرة عدد الطلاب فى الصفوف والفصول الدراسية.

٥- كما أن لعدم نضج الأستاذ فى المادة الدرسية دخلا عظيمًا فى ضعف العلم.

٦- والغفلة عن تهيئة كتب سهل تعين الطالب فى نموّ استعداده ونشأة فكره تربو على هذا.

٧- وكان مختصر التفتازانى رح داخلا فى المنهج الدرسى البلاغى فى جميع المدارس والمعاهد الأهلية على رغم صعوبة أسلوبه، وإغلاق عباراته وخفاء إشاراته، وغرابة أكثر أمثلته، وشواهده، وضعف مدارك الدارسين وعدم مبالاة المدرّسين، فشعرتُ رغبتهم عن علم البلاغة خوفًا من هذا الكتاب؛ لأجل غموضه، وقلّة فائدته، وقدامة أسلوبه وترتيبه، فبذلتُ جهودى الضئيلة فى تهذيبه ،وتسهيله، وترتيبه، دعمًا للعلم وأهله، ورجاء الثواب والمغفرة من أهلها، إن الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة.

عملى فى هذا التهذيب

١- وضع مقدمة موجزة حول نشأة علم البلاغة وما مرّت عليه من الأدوار والأطوار، وما كتب فيه من المختصرات والمطولات نظمًا ونثرًا.

٢- ذكر نشأة علم البيان وعلم البديع قبل الشروع فى مسائلهما.

٣- اختيار ترتيب "التلخيص" وأسلوب "الإيضاح".

٤- إدماج المتن فى الشرح وترك الامتياز بينهما، كما فعل المصنف فى "الإيضاح".

٥- وضع العناوين الجلية ، وتقسيم المباحث اختصاراً وتسهيلا

٦- ترقيم العناوين والأقسام والمباحث المهمّة تسهيلا للضبط .

٧- وضع التمرينات الاختبارية بعد كل بحث طويل .

٨- إحالة ما أخذتُ من غير "المختصر" و "الإيضاح" غالبًا .

٩- تغيير العبارات والتراكيب المعقّدة إلى عبارات وتراكيب سهلة صافية .

١٠- زيادة بعض الشواهد المناسبة من "الإيضاح" .

١١- كتابة الأبيات بكاملها ، ثم شرحها وبيان مشكلها ، فإن العلامة رح في "المختصر" ، يذكر المصراع ، أو بعض المصراع ، ثم يبدأ فى الشرح ، ويذكر الباقى فى آخر الكلام ، فيختلط الأمر على القارئ ، حتى لا يعلم أين المصراع الأول ، وأين المصراع الثانى؟

١٢- ترك المباحث الكلامية ، والمناقشات الإلزامية والاعتراضات اللفظية التى لا يكون فى ذكرها أىّ طائل .

١٣- واستقيت أثناء التهذيب من منابع مختلفة سأذكرها إن شاء الله تعالى (قبل الفهرس) ولكن كان المرجع الأساسى أمامى هو المختصر والإيضاح (فإن صاحب البيت أدرى بما فيه) .

وكتبه محمد أنور البدخشانى

بمنزله (فى كراتشى)

مساء يوم السبت السادس عشر من

شهر صفر الخير ١٤١٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

١ - هذه مقدمة فى الكشف عن مفهوم الفصاحة والبلاغة، وما يتعلق بهما من انحصار علم البلاغة فى المعانى والبيان والبديع. والغرض من هذه المقدمة أن يُعرف على التحقيق والتفصيل غاية العلوم الثلاثة، ووجه الاحتياج إليها.

٢- والمقدمة[1] فى اللغة: عبارة عن جماعة خاصّة من الجيش تمشى أمام سائر الجيوش لمعرفة الطريق، والماء، وكشف أحوال العدوّ، وما إلى ذلك.

٣- وفى الاصطلاح: يطلق لفظ المقدمة على المعانى الآتية:

(١) ما يتوقف عليه الشروع فى العلم على وجه البصيرة، كتعريف العلم، وبيان غايته وموضوعه، ويقال لها: مقدمة العلم.

(٢) طائفة من الكلام قُدّمت أمام المباحث الأساسية للعلم المشروع فيه؛ لتعلقها بتلك المباحث ونفعها فيما يأتى من مقاصد ذلك العلم، ويقال لها:

---

(١) والتفعيل هنا لازم بمعنى تقدم، كما فى قوله تعالى: ﴿لا تقدّموا بين يدى الله ورسوله﴾ الحجرات ١.

مقدمة الكتاب.

(٣) ويقال للقضية التى جعلت جزءًا للقياس (كالصغرى والكبرى) أيضًا: مقدمة، وتسمّى بمقدمة الدليل.

هل الفصاحة والبلاغة أمران متغايران؟

١ - المتقدمون كالإمام عبد القاهر ومن نحا نحوه يرون أن الفصاحة والبلاغة مترادفان لا تتصف بهما المفرد، وإنما يوصف بهما الكلام بعد رعاية المعانى النحوية (المعانى التى يبحث عنها فى علم النحو) فيما بين الكلم بحسب الأغراض التى يصاغ لها الكلام، وإلى ذلك أشار الشيخ عبد القاهر فى "دلائل الإعجاز" فى مواضع، منها قوله: "فصل فى تحقيق القول على البلاغة والفصاحة، والبيان والبراعة، وكلّ ما شاكل ذلك"، ثمّ قال بعد قليل: "ومن المعلوم أنه لا معنى لهذه العبارات وما يجرى مجراها... غير وصف الكلام بحسن الدلالة وبتمامها".

ثم قال: "ولا جهة لاستعمال هذه الخصال (الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة) غير أن يؤتى المعنى من الجهة التى هى أصح لتأديته، ويختار له اللفظ الذى هو أخصّ به، وأكشف عنه، وأتم له وأحرى".

٢- وقال قبله أبو هلال العسكرى فى "الصناعتين": الفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد، وإن اختلف أصلاهما؛ لأن كل واحد منهما إنما هو الإبانة عن المعنى والإظهار له.

٣- وقال الفخر الرازى فى "نهاية الإيجاز": وأكثر البلغاء لا يكادون يفرّقون بين البلاغة والفصاحة، بل يستعملونهما استعمال الشيئين المترادفين

على معنى واحد، وكذا قال الجوهرى فى " الصّحاح " : الفصاحة : البلاغة.

٤- وأمّا المتأخرون كأبى يعقوب يوسف السكاكى، وابن الأثير ومن شايعهما يرون إخراج الفصاحة من كنف البلاغة، ويذكرون لكل واحد منهما مفهومًا غير مفهوم الآخر، ويجعلون الفصاحة جزءً من البلاغة، وإليه أشار أبو هلال فى " الصناعتين " بقوله: وقيل: الفصاحة تمام آلة البيان، فهى مقصورة على اللفظ؛ لأن الآلة تتعلق باللفظ، والبلاغة إنما هى إنهاء المعنى إلى القلب، فكأنّها مقصورة على المعنى، وعلى هذا الرأى الأخير بنى القزوينى كلامه وكتابه، فذكر لكل واحد تعريفًا يختصّ به[(١)].

تعريف الفصاحة وأقسامها

١- **الفصاحة فى اللغة**:هو الظهور والبيان، كما فى قوله تعالى: ﴿وأخى هارون هو أفصح منّى لسانًا﴾[(٢)] أى أبين منّى منطقًا وأظهر منّى قولا، ويقال: أفصح الصبىّ فى منطقه إذا بان وظهر كلامه، وأفصح الصبح إذا أضاء وظهر، وأفصح الأعجمىّ إذا أظهر ما فى ضميره على وجه الصواب بعد أن لم يكن يُفصح ويُظهر.

٢- **وفى الاصطلاح**: عبارة عن ظهور الألفاظ، وتبادرها إلى الفهم، وكونها مأنوسة الاستعمال بين الكتّاب والشعراء، لمكان حسنها عندهم.

---

(١) مقدمة علوم البلاغة لأحمد مصطفى المراغى ص١٠١.

(٢) القصص: الآية ٣٤.

ما ذا يقع مو صوفًا للفصاحة؟

١ – وقد تقع الفصاحة صفةً للكلمة، كما تقول: هذه كلمة فصيحة.

٢ – وقد تقع صفةً للكلام، نحو قولك: هذه قصيدة فصيحة، وهذا كلام فصيح.

٣ – وقد تقع صفةً للمتكلم، كقولك: هذا كاتب فصيح، وهذا شاعر فصيح.

١- تعريف الفصاحة فى المفرد:

هى خلوه عن العيوب الثلاثة، أعنى تنافر الحروف، والغرابة، ومخالفة القياس اللغوى.

(١) تعريف التنافر ومثاله: هو وصف فى الكلمة تكون لأجله متناهيةً فى الثقل على اللسان، ويتعسّر النطق بها، كقول الأعرابى حينما سئل عن ناقته: تركتها ترعى الهُعخُع (وهو نبت يأكله الإبل).

أو لا تكون متناهيةً فى الثقل، بل تكون أقلّ من الأول فى الثقل، كلفظ: "مستشزر" فى قول امرئ القيس: "غدائره مستشزرات إلى العلى"[1].

(٢) تعريف الغرابة ومثالها: هى أن تكون الكلمة وحشيةً لا يظهر معناها، بل يحتاج فى معرفته إلى أن يبحث عنها فى كتب اللغة المبسوطة، أو يحتاج فى معرفته إلى تخريج وجه بعيد.

---

(١) مستشزرات: مرتفعات، والغدائر: الذوائب، وتمامه:

تضلّ العقاص فى مثنّى ومرسل

عقاص جمع عقيصة، وهى الخصلة من الشعر، و "المثنى" الشعر المفتول، و "المرسل" غير المفتول، والضمير فى غدائره إلى فرع فى البيت السابق.

مثال الأول: كما روى عن عيسى بن عمر النحوى أنه سقط عن حماره، فاجتمع عليه الناس، فقال: "ما لكم تكأكأتم علىّ كتكأكئكم على ذى جنّة، افرنقعوا عنّى" أى اجتمعتم علىّ كاجتماعكم على المجنون افترقوا عنّى.

ومثال الثانى: كما فى قول ابن العجّاج: "وفاحمًا ومرسنًا مسرّجًا" فإنه لم يُعرف ما ذا أراد الشاعر بقوله: "مُسرّجا" هل شبّه أنف الممدوح بالسيف السرّيجى[١] فى الدقة والاستواء، أو شبّهه بالسّراج فى البريق واللمعان.

٣- تعريف مخالفة القياس ومثاله: هى أن تكون الكلمة جاريةً على خلاف قانون أهل اللغة، مثل عدم الإدغام فى محلّ الإدغام، كما فى قول الشاعر: الحمد لله العلى الأجلل[٢]

فإن القياس "الأجلّ" بالإدغام. وأمّا الكراهة فى السمع فهى داخلة فى الغرابة المفسّرة بالوحشة، مثل قول المتنبئ فى مدح سيف الدولة:

مبارك الاسم أغرّ اللقب كريم الجرشى شريف النسب

أى كريم النفس: فلا حاجة إلى ذكرها فى تعريف الفصاحة فى المفرد بزيادة "ومن الكراهة فى السمع"، فإن كراهة السمع للفظ "الجرشى" إنما تكون لأجل وحشته وقلّة استعماله.

تعريف الفصاحة فى الكلام

هى أن يكون الكلام خاليًا عن ضعف التأليف، وتنافر الكلمات، وعن التعقيد (بقسميه)، وأن تكون كلماته فصيحة.

---

(١) السيف السريجى" أى المنسوب إلى سريج الحداد، فإن سريجًا كان معروفًا بحسن صنعة السّيوف.

(٢) وتمامه: الفرد الواحد القديم الأول

١ - فالضعف كما فى قولنا: ضَرَبَ غُلامُه زيدًا، فإن رجوع الضمير إلى المفعول المتأخر لفظًا ورتبةً ممتنع عند الجمهور، فالكلام غير فصيح لأجل هذا الضعف، ولا يصحّ الاستدلال على جوازه بقول الشاعر:

جزى ربه عنى عدى بن حاتم   جزاءَ الكلاب العاويات وقد فعل

لأن الضّمير فيه راجع إلى المصدر الذى يدل عليه الفعل، أى ربّ الجزاء، كما فى قوله تعالى: ﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ أى العدل.

٢- وتنافر الكلمات: إمّا بسبب نهاية ثقلها على اللسان وعسر النطق بها متوالية، كما فى قول الشاعر:

وقبر حرب[1] بمكان قفر   وليس قرب قبر حرب قبر

وإمّا بسبب ثقل ما دون الأول، كما فى قول أبى تمام:

كريم[2] متى أمدحه أمدحه والورى   معى وإذا ما لمته لمته وحدى

فإن فى قوله: "أمدحه" نوعًا من الثقل؛ لما بين الحاء والهاء من التنافر للجمع بينهما، وهما من حروف الحلق.

٣- والتعقيد (هو كون الكلام معقدا ومغلقًا بحيث لا يفهم معناه بسهولة) (١) قد يكون لخلل فى نظم الكلام، ويقال له: التعقيد اللفظى، كما فى قول الفرزدق (فى مدح إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومى خالِ هشام بن عبد الملك بن مروان):

وما مثله فى الناس إلا مملكًا   أبو أمه حىّ أبوه يقاربه[3]

(١) حرب بن أميّة قتله قائل هذا البيت وهو هاتف من الجنّ صاح عليه فمات، والقفر الخالى عن الماء والكلأ.

(٢) أى هو كريم إذا مدحته وافقنى الناس على مدحه ويمدحونه معى، وإذا لمته لا يوافقنى أحد على لومه؛ لعدم وجود المقتضى للومه.

(٣) أى وما مثل إبراهيم الممدوح فى الناس أحد يشبهه فى الفضائل، إلا هشامًا أبو أمّ هشام أبو الممدوح، وهو إبراهيم، أى صار ابن الأخت مشابهًا لخاله فى الفضائل، بل زاد عنه حتى صار

وكان حق الكلام أن يقول: وما مثله فى الناس حىّ يقاربه إلا مملكًا أبو أمّه أبوه (١) فوقع الفصل بين المبتدأ -وهو أبو أمّه- وبين الخبر -وهو أبوه- بالأجنبى وهو "حىّ" (٢) وكذا وقع الفصل بين الموصوف -وهو حىّ- وبين صفته -وهو يقاربه- بالخبر الأجنبى -وهو أبوه- (٣) وقدّم المستثنى (مملكًا) على المستثنى منه (حىّ يقاربه) فصار الكلام فى غاية التعقيد، كما تراه.

٢- وقد يكون التعقيد لخلل فى معنى الكلام، وانتقالِ الذهن من المعنى الأول -الملزوم- إلى المعنى الثانى الذى هو لازم للأوّل، ويكون هو المراد فى الظاهر، كما فى قول عباس بن الأحنف:

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا وتسكبُ عيناىَ الدموع لتجمدا

فإن الشاعر كنى فى شعره هذا كنايتين: فأصاب فى إحداهما، وأخطأ فى الأخرى (١) كنى بسكب الدموع عن الحزن الذى يوجبه الفراق فأصاب؛ لأن من شأن البكاء أن يكون كناية عن الحزن، كما يقال: أبكانى وأضحكنى، أى أساءنى وسرّنى.

(٢) وكنى بجمود العين عن السرور الذى يوجبه دوام التلاقى، فأخطأ؛ لأن جمود العين خلوها من البكاء فى حال الحزن وإرادة البكاء، فلا يكون كنايةً عن المسرّة، بل يكون كناية عن شدّة الحزن وكثرة البكاء، حتى لم يبقَ للعين دمع للبكاء، فيبكى مرةً أخرى.

١- فالكلام الخالى عن التعقيد اللفظى: ما سلِمَ نظمه من الخلل، فلم يكن فيه ما يخالف القاعدة الكلية من تقديم أو تأخير، أو إضمار، أو غير ذلك، إلا وقدّمت عليه قرينة ظاهرة تدل على أنه كان فى الأصل كذا، ولكن عدل عنه لوجه من الوجوه المعتبرة عند البلغاء.

ملكًا.

٢- والكلام الخالى عن التعقيد المعنوى: ما كان الانتقال من معناه الأول إلى معناه الثانى -الذى هو المراد به- ظاهرًا، وأما خلو الكلام الفصيح عن كثرة التكرار مع تتابع الإضافات، كما فى قول الشاعر (أبو الطيب):

سبوح[١] لها منها عليها شواهد[٢]

وفى قول ابن بابك:

حمامة جرعى[٣] حومة الجندل اسجعى[٤]

لأن فى الأول كثرة التكرار، وفى الثانى تتابع الإضافات، فلا حاجة إلى اعتبارهما على حدةٍ؛ لأنهما إن أفضيا إلى الثقل على اللسان، فقد حصل الاحتراز عنهما بالخلو عن التنافر، وإلا فلا ضرورة فى الاحتراز عنهما، بل وقعت كثرة التكرار، وتتابع الإضافات فى أفصح الكلام، كما فى قوله تعالى: ﴿والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها والنّهار إذا جلاها﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿ذكر رحمة ربك عبده زكريا﴾[٦]، وفى قوله عليه السلام: «الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف ابن إسحاق ابن يعقوب ابن إبراهيم»[٧].

---

(١) السبوح: من السبح هو شدّة عدوى الفرس، يستوى فيه المذكر والمؤنث، وأراد بها فرسًا حسنة الجرى لا تتعب راكبها كأنها تجرى فى الماء.

(٢) أوّله: وتسعدنى فى غمرة بعد غمرة

(٣) جرعى: تأنيث الأجرع، هى أرض ذات رمل، والحومة: معظم الشىء، والجندل: أرض ذات حجارة، والسجع: هدير الحمام.

(٤) وتمامه: فأنتِ بمرأى من سعاد ومسمع

(٥) الشمس: الآية ٣.

(٦) مريم: الآية١.

(٧) أخرجه البخارى فى كتاب الأنبياء ج١ ص٤٧٩ طبعة أيج أيم سعيد.

تعريف الفصاحة فى المتكلم

هى : ملكة يقتدر بها المتكلم على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح .

شرح التعريف : ١- فالملكة صفة راسخة تملك القلب ولا تتحوّل عنه ، فالذى يعبّر عن مقصوده بلفظ فصيح ، ولا يكون له تلك الصفة الراسخة ، لا يقال له : فصيح .

٢- وقيل : "يقتدر" ليشمل حالة النطق وعدمه ، فالتعبير بالفعل ليس بشرط فى كون الرجل فصيحًا .

٣- وقيل : "بلفظ فصيح" ليعمّ المفرد والمركّب .

التمرين

١- اذكر مفهوم المقدمة وأقسامها .

٢- ما هى الفصاحة لغةً واصطلاحًا؟

٣- اذكر موصوف الفصاحة ، كم قسمًا له ، ومثّل لكل واحد منها .

٤- عرّف الفصاحة فى المفرد ، واكتب مثالا لكل واحد من التنافر ، والغرابة ، ومخالفة القياس ، بعد بيان معانى هذه الثلاث .

٥- بيّن تعريف الفصاحة فى الكلام ، ومثّل لتنافر الكلمات والتعقيد اللفظى والمعنوى .

٦- ما هو وجه التعقيد فى قول الشاعر :

وتسكب عيناى الدموع لتجمدا

٧- وهل تخلّ كثرة التكرار وتتابع الإضافات بالفصاحة أم لا؟ برهن على عدم إخلالهما بالفصاحة من القرآن والحديث .

٨- عرّف الفصاحة فى المتكلم ، واشرح قيودات التعريف .

مفهوم البلاغة وأقسامها

١- البلاغة فى اللغة: الوصول والانتهاء، كما يقال: بلغ فلان مراده، إذا أوصل إليه، وكما فى قوله تعالى: ﴿إنّ الله بالغ أمره﴾ أى موصل أمره وحكمه إلى حيث يشاء، ويقال: بلغ الركب المدينة، إذا انتهت إليها، ومبلغ الشيء منتهاه، كما فى قوله تعالى: ﴿ذلك مبلغهم من العلم﴾ أى نهاية علمهم ذلك، وهو العلم بالأمور الدنيوية.

وكذلك يقال: بلغ الرجل بلاغةً فهو بليغ، إذا أحسن التعبير عمّا فى ضميره، وقد جاء البلاغة بمعنى الكفاية، كما فى قوله تعالى: ﴿إن فى هذا لبلاغًا لقوم عابدين﴾ أى كفايةً لهم حتى لا يحتاجون إلى غيره من الكتب.

٢- وفى الاصطلاح: تأدية المعنى الجليل بعبارة فصيحة واضحة جذّابة إلى المخاطب مع ملائمة الموطن، ومناسبة حال المخاطب.

وتقع وصفًا للكلام والمتكلم، دون الكلمة؛ لقصورها عن إيصال الغرض إلى المتكلم، ولعدم السماع بذلك، وإنما سمّى كلّ واحد من الكلام والمتكلم بليغًا؛ لأنهما يوصلان المعنى المطلوب إلى ذهن السامع بأحسن الطرق وأبلغها، وإنما سمّيت البلاغة بلاغة؛ لأن المتكلم الموصوف بها يُنهى المعنى المقصود إلى قلب سامعه فيفهمه.

تعريف البلاغة فى الكلام

وسأل معاوية رضى الله عنه صُحار العبدى (الذى راع معاوية بخطابته) عن البلاغة (علامة البلاغة)، وقال: ما تعدّون البلاغة فيكم؟ قال صحار:

الإيجاز، قال له معاوية: وما الإيجاز؟ قال: أن تجيب فلا تبطئ، وتقول فلا تخطئ. (البيان والتبيين ١: ٩٦)

وعند الجمهور هى: مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحة كلماته.

شرح التعريف: ١- مطابقة الكلام: هى موافقته لمايقتضيه حال المخاطب من التأكيد وعدمه، والإيجاز، والإطناب، والمساواة وغيرها.

٢- والحال: هو الأمر الداعى إلى اعتبار خصوصية مّا فى الكلام (مثل الإنكار الداعى إلى اعتبار التأكيد فى الكلام).

٣- ومقتضى الحال: هو الخصوصية التى اعتبرت فى الكلام لأجل ذلك الأمر الداعى.

وقد يسمّى "مقتضى الحال" بـ"الاعتبار المناسب" كما يسمّى "الحال" بـ"المقام"، فمقتضى الحال، والاعتبار المناسب للمقام شىء واحد.

المثال والتطبيق: نحو قولك: إن زيداً فى الدار أمام مخاطب منكر عن وجود زيد فى الدار، فالإنكار حال ومقام، وكون الكلام مؤكدا بـ"إنّ" هو مقتضى الحال والمقام[1]، وكذلك ذكاء المخطاب حال، وإيجاز الكلام مقتضى الحال، والمدح حال، وإطناب الكلام مقتضى الحال، فالكلام الموجز فى الأول، والمطنب فى الثانى، كلام فيه مطابقة لمقتضى الحال، ولا يكفى هذا فى بلاغته، بل لا بد أن تكون كلماته فصيحة أيضًا حتى يقال: إنه كلام بليغ.

---

(١) وقيل: بينهما فرق اعتبارى، وهو أنه يتوهم فى الحال كونه زمانًا لورود الكلام فيه، ويتوهم فى المقام كونه محلا له. (المختصر ص٢٦)

اختلاف مقتضى الحال
لأجل اختلاف الأحوال والمقامات

ومقتضى الحال مختلف ؛ لأن مقامات الكلام وأحوالها مختلفة لتفاوت بعضها عن بعض :

١- فمقام تنكير الكلام غير مقام تعريفه .

٢- ومقام إطلاقه غير مقام تقييده .

٣- ومحل تقديمه غير محل تأخيره .

٤- وموضح ذكر الشيء غير موضع حذفه .

٥- ومقام الحصر فى الشيء يباين مقام عدم الحصر فيه .

٦- ومقام الوصل (العطف) غير مقام الفصل (ترك العطف) .

٧- وموضع إيجاز الكلام يباين موضع إطنابه، وموضع مساواته، وحتى خطاب الذكى مختلف عن خطاب الغبىّ، ولكل كلمة مع الأخرى مقام خاص، فلكل مقال مقام .

وملخّص الكلام: أن الأمر الذى يحمل المتكلم على إيراد كلامه فى صورة دون أخرى يسمّى حالا ، وإلقاء الكلام على هذه الصورة التى اقتضاها الحال يسمّى مقتضًى، وقد مرّ أن مقتضى الحال والاعتبار المناسب شيء واحد[1] ، كما أن الحال والمقام متحدان ذاتًا .

فارتفاع شأن الكلام البليغ فى الحسن والقبول بسبب مطابقته للاعتبار المناسب (ومقتضى الحال)، وانحطاطه لعدم مطابقته له .

---

(١) فإن مقتضى الحال : هو الأسلوب الذى اقتضاه الحال والمقام، والاعتبار المناسب : هو الأمر الذى اعتبره المتكلم ويناسب الحال.

وقد عبّر الشيخ عبد القاهر عن تطبيق الكلام على مقتضى الحال بـ "النظم" حيث قال: "النظم تأخّى (رعاية) معانى النحو (أى المعانى التى يبحث عنها النحويون) فيما بين الكلم على حسب الأغراض التى يصاغ لها الكلام"، والمراد بالأغراض المعانى الثانوية التى يقصدها البلغاء.

فالبلاغة عند الشيخ عبد القاهر صفة راجعة إلى اللفظ (من حيث أنه كلام بليغ) باعتبار إفادته المعنى عند التركيب (لا باعتبار مفرداته ولا باعتبار أنه لفظ وصوت فقط) فإن البلاغة عبارة عن مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال، ولا شك أن المطابقة لمقتضى الحال أو عدمها إنما يكون باعتبار المعنى الذى يصاغ له الكلام.

وفى كثير من الأحيان يسمّى ذلك الوصف (المطابقة لمقتضى الحال) فصاحةً أيضًا كما يسمّى بلاغة، فحيث يقال: "إن إعجاز القرآن من جهة كونه فى أعلى طبقات الفصاحة" يراد بالفصاحة المطابقة لمقتضى الحال، وقد ذكر الشيخ عبد القاهر: إطلاق الفصاحة على البلاغة فى مواضع من كتابه "دلائل الإعجاز".

وقد ذكرنا من قبل أن رأى المتأخرين غير ذلك، وأن المصنف القزوينى بنى كلامه على رأيهم دون رأيه.

مراتب البلاغة فى الكلام

ولها طرفان: ١- الأعلى: وهو الحدّ الذى ينتهى إليه البلاغة، ولا يمكن فوقه حدّ، ويقال له: حدّ الإعجاز، وهو أن يرتقى الكلام فى بلاغته إلى أن يخرج عن طاقة البشر، حتى يعجزهم عن معارضته.

وأمّا ما يقرب[١] من الطرف الأعلى (وهو العالى) فيطلق عليه أيضًا حدّ الإعجاز، فالكلام الذى فى حدّ الإعجاز قد يكون فى الطرف الأعلى، وقد يكون فى الطرف العالى.

٢- والثانى: الطرف الأسفل: ومنه تبتدئ البلاغة، وهو ما إذا غيّر الكلام عنه إلى مرتبة أدنى منه وأنزل التحق الكلام -عند البلغاء- بأصوات الحيوانات، وإن كان صحيح الإعراب، بل ولو كان فصيحًا، وبين هذين الطرفين مراتب كثيرة بعضها أعلى من بعض بحسب تفاوت الأحوال ومقتضياتها، وبحسب البعد عن أسباب الإخلال بالفصاحة.

ويكون من توابع البلاغة وجوه أخر غير راجعة إلى المطابقة لمقتضى الحال، ولا إلى الفصاحة، بل تورث الكلام حسنًا وقبولا عند البلغاء.

فالكلام البليغ يحتاج إلى المطابقة لمقتضى الحال، وإلى الفصاحة، ويستحسن بتلك الوجوه التى يتعلق بعضها بلفظه، وبعضها بمعناه، والمتكفّل لبيان تلك الوجوه هو علم البديع -كما أن المتكفّل لبيان خلو الكلام عن التعقيد بنوعيه، وكونه واضحة الدلالة على المراد هو علم البيان-.

تعريف البلاغة فى المتكلم

١- هى ملكة يقتدر بها المتكلم على تأليف كلام بليغ (أى صفة راسخة يستطيع المتكلم بسببها على تركيب كلام بليغ يطابق مقتضى الحال، ويكون فصيحًا وإن لم يتكلم بالفعل).

---

(١) ومما ألهمتُ بين النوم واليقظة أن قوله: "وما يقرب منه" عطف على "هو"، والضمير فى "منه" عائد إلى الطرف الأعلى. (المطول ص٢٣١ طبع مصر)

وقد علم بما ذكرنا أمران: أحدهما: أن كل بليغ -كلامًا كان أو متكلمًا- فصيح، وليس كل فصيح بليغًا (كالكلمة الفصيحة).

وثانيهما: أن البلاغة فى الكلام مرجعها (وغايتها) إلى أمرين.

(١) الاجتناب عن الخطأ فى تأدية المعنى المراد (بأن يكون ذلك المعنى مطابقًا لمقتضى الحال) (٢) وتمييز الكلام الفصيح عن غيره (حتى لا يؤدى المعنى المراد بكلام غير فصيح).

٢- وسأل العتّابىَ بعضُ معاصريه عن البلاغة (فى المتكلم) فقال: "كلّ من أفهمك حاجته من غير إعادة، ولا حبسة، ولا استعانة فهو بليغ"، والمراد بالاستعانة أن يقول أثناء خطابه: يا هذا، ويا هيه، واسمع منّى، واستمع إلىّ وأمثالها، فهذا كلّه وما أشبهه عىّ وفساد. (البيان والتبيين ١: ١١٣)

الأمور التى يحتاج إليها فى
تمييز الكلام الفصيح عن غيره

والأمر الثانى من الأمرين السّابقين: أى تمييز الفصيح عن غيره،

١- بعضه يحصل من علم اللغة كالغرابة، فإن من تتبع كتب اللغة المتداولة وأحاط بمعانى المفردات اللغوية المأنوسة عَلِم أن ما عِداها مما يفتقر إلى تحقيق وتخريج هو غير سالم من الغرابة.

٢- وبعضه يحصل من علم التصريف، كمخالفة القياس.

٣- وبعضه من علم النحو كضعف التأليف، والتعقيد اللفظى.

٤- وبعضه يدرك بالحسّ السليم، كالتنافر، فإن بالحسّ السليم يعرف أن فى مستشزر تنافرًا دون مرتفع.

٥- وأمّا الاحتراز عن الخطأ فى تأدية المعنى المراد، فإنما يحصل من علم المعانى.

٦- وما يحصل به الاحتراز عن التعقيد المعنوى هو علم البيان.

٧- وما يعرف به الأمور التى تفيد الكلام حسنًا -لفظيًا أو معنويًا- هو علم البديع.

فأصل البلاغة يحتاج إلى ستة أمور: وهى علم اللغة، وعلم التصريف، وعلم النحو، والحسّ السليم، وعلم المعانى، وعلم البيان، وأمّا حسن البلاغة وجمالها فإنما تحتاج إلى علم البديع، وقد يطلق علم البلاغة على المعانى والبيان لشدّة تعلقهما بالبلاغة، وإلا فتحتاج البلاغة إلى غيرهما أيضًا كما مرّ، وكثير من العلماء يسمّى الجميع علم البيان، كما أن بعضًا آخر سمّى الثلاثة علم البديع.

تعريف علم البلاغة: هو علم بقواعد أدبية يعرف بها كون الكلام فصيح الكلمات، مطابقًا للمقتضيات، مشتملا على المحسّنات.

موضوعه: هو الكلام العربى من حيث كونه فصيح المآل، مطابقًا لمقتضى الحال، متحلّيًا بما يورث الجمال.

غايته: كما قال ابن خلدون فى "مقدمته": "هى فهم إعجاز القرآن الكريم؛ لأن إعجازه فى كمال دلالته على جميع مقتضيات الأحوال منطوقًا ومفهومًا، وهى أعلى مراتب الكلام".

ويتفرّع على هذا الفهم التصديق بكون القرآن الحكيم كتاب الله وكلامه المعجز، وأن من يأتى بهذه المعجزة (مع كونه أميًا لم يقرأ ولم يكتب) هو رسول الله وحامل وحيه، وأمينه، فالإيمان بكتاب الله وبرسوله يحصل من فهم هذه المعجزة، وإنما يقدر على فهمها من يعرف علم البلاغة.

تذييل فى بيان الأسلوب وأقسامه

وبما أن للبلغاء أساليب مختلفة لأجل الأغراض التى يصاغ لأجلها الكلام، ولاختلاف الأحوال ومقتضاياتها أحببت أن أستطرد الأسلوب فى ذيل بحث البلاغة.

الأسلوب فى اللغة: الطريقة.

وفى الاصطلاح: له ثلاثة أنواع:

١- الأسلوب العلمى: وهو أهدأ الأساليب، وأكثرها حاجةً إلى النطق السليم والفكر المستقيم، وأبعدها عن الخيال الشعرى؛ لأن صاحب هذا الأسلوب يشرح الحقائق العلمية التى لا تخلو عن غموض وخفاء وصعوبة، فلا بد فيه من الوضوح، وسطوع البيان، ورصانة الحجة، وسهولة العبارة، وسلامة الذوق فى اختيار كلماته وترتيب معانيه، والأولى فى هذا الأسلوب الاجتناب عن المجاز، وعن المحسّنات البديعية، أمّا التشبيه الذى يقرّب الحقائق إلى الأفهام فلا بأس به، وتجد لهذا الأسلوب أمثلة كثيرة فى الكتب العلمية الدراسية.

٢- الأسلوب الأدبى: ومن أظهر صفاته ومميّزاته الجمال والحسن؛ لما فيه من خيال رائع، وتصوير دقيق، ورعاية وجوه التشبيه البعيدة، وإلباس المعنوى ثوب اللفظى، وإظهار المحسوس فى صورة المعقول، والمتكفّل لهذا الأسلوب كتب الأدب العربى.

٣- الأسلوب الخطابى: وفيه تظهر قوّة المعانى، وأثر الألفاظ وتأثير الحجة والبرهان، وقوة عقل المتكلم، ومما يزيد فى تأثير هذا الأسلوب منزلةُ

الخطيب فى نفوس سامعيه، وهيبتُهُ، وسطوعُ حجته، وارتفاعُ صوته، وحسن إلقاءه، ومحكمُ إشاراته.

ومن أبرز مميّزات هذا الأسلوب التكرار، واستعمال المترادفات، وضرب الأمثال، واختيار الكلمات الجزلة وذات الأثر السريع فى نفس المخاطب، والمتكفل لهذا الأسلوب الدعاة والوعّاظ وعلماء الكلام، والجدل، والمرجع فيه كتب الدعوة والوعظ، وكتب علم الكلام والجدل.

التمرين

١- عرّف البلاغة لغةً واصطلاحًا.

٢- ولما ذا لا تقع البلاغة صفة للكلمة؟

٣- اذكر تعريف البلاغة فى الكلام مع شرح التعريف.

٤- ما هى الأمور الأربعة الآتية؟ هاتِ لها مثالا (الحال، والمقام، ومقتضى الحال، والاعتبار المناسب).

٥- ما هو سبب اختلاف مقتضى الحال؟

٦- عرّف "النظم" كما هو فى كلام عبد القاهر الجرجانى.

٧- بيّن مراتب البلاغة -الأعلى والأسفل والأوسط- مع إيضاح الفرق بينها.

٨- ما هى الوجوه المورثة فى الكلام حسنًا؟

٩- عرّف البلاغة فى المتكلم مع بيان النسبة بين الفصيح والبليغ.

١٠- اشرح الأمور الستة التى يحتاج إليها فى علم البلاغة.

١٢- اذكر تعريف علم البلاغة وموضوعه وغايته.

١٣- عرّف الأسلوب وبيّن أقسامه.

البلاغة الصافية

تهذيب مختصر التفتازانى (المتوفى ٧٩١هـ)

علم المعانى

تقديم وتهذيب وتسهيل

محمد أنور البدخشانى

الأستاذ بجامعة العلوم الإسلامية بنورى تاون كراتشى

تعريف علم المعانى: هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربى التى بها يطابق اللفظ مقتضى الحال.

شرح التعريف: ١- وقيل فى التعريف: "يعرف" دون يُعلم رعايةً لما اعتبره بعض الفضلاء من تخصيص العلم بالكليات، والمعرفة بالجزئيات، فإن أكثر تلك الأحوال جزئيات عارضة للفظ العربى؛ ولذلك يقال فى العرف حين المدح: العارف بالله، ولا يقال: العالم بالله.

٢- والمراد بـ "أحوال اللفظ" الأمور العارضة له من التقديم والتأخير والحذف والإثبات وغيرها.

٣- وقوله: "التى بها يطابق اللفظ مقتضى الحال" احتراز عن الأحوال التى ليست كذلك، مثل الإعلال، والإدغام، والرفع، والنصب، وغيرها مما يتوقف عليه تأدية أصل المعنى، لا مطابقته لمقتضى الحال.

موضوعه: وموضوعه اللفظ العربى من حيث إفادته المعنى الثانى الذى هو مقصود المتكلم من جعله كلامه مشتملا على اللطائف والخصوصيات التى بها يطابق الكلام مقتضى الحال.

المثال والتطبيق: كما فى قولك: "والله إنّ زيدًا فى الدار"، فالمعنى الأول المفهوم من منطوق الكلام هو وجود زيد فى الدار، وأما المعنى الثانى الذى لأجله أكّد المتكلم كلامه بالقسم و"إنّ" فهو دفع إنكار المخاطب عن وجود زيد فى الدار.

وفائدته: ١- معرفة إعجاز القرآن الكريم وإحكام الإيمان بالقرآن والرسول ﷺ.

٢- والوقوف على أسرار البلاغة والفصاحة فى منثور كلام العرب

ومنظومه، حتى يفرّق بين الرّدىء منه وجيّده، فيأخذ بالجيّد منه، وترك رديئه.

أبواب علم المعانى الثمانية

وينحصر المقصود من علم علم المعانى فى ثمانية أبواب:

١- أحوال الإسناد الخبرى.

٢- أحوال المسند إليه.

٣- أحوال المسند.

٤- أحوال متعلقات الفعل.

٥- القصر.

٦- الإنشاء.

٧- الفصل والوصول.

٨- الإيجاز والإطناب والمساواة.

فإن الكلام إن كان لنسبته خارج تطابقه (كما فى صورة الصدق) أو لا تطابقه (كما فى صورة الكذب)، فهو الخبر، وإن لم يكن لها ذلك الخارج فإنشاء، ثم الخبر لا بد له من أجزاء ثلاثة: الإسناد، والمسند إليه، والمسند، وأحوال هذه الثلاثة هى الأبواب الثلاثة الأولى، ثمّ المسند إذا كان فعلا، أو ما فى معناه كاسمى الفاعل، والمفعول، والمصدر، قد يكون له متعلقات، وهذا هو الباب الرابع، وكل واحد من الإسناد وتعلق المسند إمّا يكون بقصر أو بغيره، وهذا هو الباب الخامس، والإنشاء هو الباب السادس، ثم كل جملة خبريةً كانت أو إنشائية، إذا قُرِنت بأخرى فتكون الثانية إمّا معطوفة

على الأولى، أو غير معطوفة، وهذا هو الباب السابع، ولفظ الكلام البليغ إمّا زائد على أصل المراد لفائدة أو غير زائد، (بل مساوٍ أو أقلّ)، وهذا هو الباب الثامن.

تعريف الصّدق والكذب وانحصار الخبر فيهما

واعلم أنّ لكل شيء ثلاثة وجودات:

١- وجوده في الواقع، ونفس الأمر، ويقال له: الوجود الخارجي.

٢- ووجوده في العقل، ويقال له: الوجود الذهني.

٣- ووجوده في التلفظ واللسان، ويقال له: الوجود اللفظي أو الكلامي.

فإذا تطابقت هذه الوجودات فالكلام صادق، وإلا فكاذب.

التعريفات للصدق والكذب

وذكر المصنف في "إيضاحه" للصدق والكذب ثلاثة تعريفات:

١- فقال الأكثر منهم: صدق الخبر مطابقة حكمه للواقع، وكذبه عدم مطابقة حكمه له، هذا هو المشهور وعليه المعول.

٢- وقال بعضهم صدقه مطابقة حكمه لاعتقاد المخبر -صوابًا كان أو خطأ- وكذبه عدم مطابقة حكمه له، ودليل هؤلاء البعض قوله تعالى: ﴿والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾[1]، فإن الله سبحانه كذّبهم في قولهم: ﴿إنك

---

(١) المنافقون: الآية ١.

لرسول الله﴾(١) مع أن قولهم هذا كان مطابقًا للواقع؛ لأنهم لم يعتقدوه أى لم يكن لهم اعتقاد برسالته ﷺ.

والجواب عنه بوجوه: الأول: أن معنى كلامهم: نشهد شهادة واطأت فيها قلوبُنا ألسنتَنا، كما يدل على هذا المعنى لفظ "إنّ" و "لام التأكيد"، و"الجملة الاسمية" فى قولهم: ﴿إنك لرسول الله﴾، ولكن هم كاذبون فى شهادتهم هذه.

الثانى: أن التكذيب فى تسميتهم إخبارهم شهادةً؛ لأن الإخبار إذا خلا عن مواطأة القلب لم يكن شهادةً فى الحقيقة.

والثالث: أن المعنى هم الكاذبون فى قولهم: ﴿إنك لرسول الله﴾ عند أنفسهم، وفى زعمهم أيضًا؛ لاعتقادهم أنه خبر على خلاف الواقع.

٣- وعند الجاحظ: الصدق مطابقة حكمه للواقع مع اعتقاد المخبر بأنه كذا، والكذب عدم مطابقة الحكم له مع اعتقاده بأنه ليس كذا.

وغير هذين القسمين (المطابق للواقع، وغير المطابق له، والمطابق للواقع ولاعتقاد المخبر، وغير المطابق لهما) ليس بصادق، ولا كاذب، وذلك الغير قسمان: ١- هو المطابق للواقع وغير مطابق لاعتقاد المخبر، ٢- وغير المطابق للواقع ولم يتعلق به شىء من اعتقاد المخبر وعدم اعتقاده.

فأنكر الجاحظ انحصار الخبر فى الصّادق والكاذب، بل زعم أن الخبر ثلاثة أقسام: -١ صادق ٢- وكاذب كما فى القسمين الأولين ٣- وغير صادق ولا كاذب (كما فى القسمين الأخيرين).

واحتج بقوله تعالى: ﴿أفترى على الله كذبًا أم به جنّة﴾(٢)، فإن المشركين حصروا دعوى النبى ﷺ الرسالةَ فى الافتراء والإخبار حالَ الجنون

(١) المنافقون: الآية ١.

(٢) سبأ: الآية ٨.

على سبيل منع الخلو، وليس إخباره حال الجنون كذبًا؛ لجعلهم الافتراء فى مقابلته، ولا صدقًا؛ لأنهم لم يعتقدوا صدقه، فثبت أن من الخبر ما ليس بصادق ولا كاذب.

والجواب عنه: بأن الكذب على نوعين: كذب عن عمد، وهو الافتراء، وكذب عن غير عمد، وهو الخبر حال الجنون، فيكون التقسيم فى كلامهم للخبر الكاذب، لا للخبر مطلقًا، فمعنى الكلام افترى أم لم يفترِ، وعبّر عن الثانى بقوله: ﴿أم به جنّة﴾؛ لأن المجنون لا افتراء له.

أحوال الإسناد الخبرى

مفهوم الإسناد: هو نسبة إحدى الكلمتين إلى الأخرى بحيث تفيد السامع فائدة تامّة -خبرية كانت تلك النسبة أو إنشائية-.

والإسناد الخبرى: هو ضمّ كلمة أو ما يجرى مجراها إلى أخرى بحيث يفيد المخاطب أن مفهوم إحداهما ثابت لمفهوم الأخرى، أو منفى عنه.

مقصود المخبر بخبره

ومن المعلوم لكل عاقل أن قصد المخبر بخبره أمران: ١- إفادة المخاطب نفس الحكم، كقولك: "زيد قائم" لمن لا يعلم أنه قائم، ويسمّى هذا فائدة الخبر.

٢- إظهار كون المخبر نفسه عالمًا بالحكم، كقولك لمن عنده زيد، ولا يعلم أنك تعلم ذلك: "زيد عندك"، ويسمّى هذا لازم فائدة الخبر؛ لأن

الذى يريد الإخبار يعلم أولا ثم يخبر، وقد يقصد بالخبر تنبيه المخاطب وتحضيضه على العمل، فينزّل العالم بفائدة الخبر، ولازم فائدته منزلة الجاهل؛ لعدم جريه على موجَب علمه، فيلقى إليه الخبر كما يلقى إلى الجاهل بأحدهما.

وإذا كان غرض المخبر بخبره أحد هذين الأمرين، فينبغى أن يقتصر المخبر من التركيب على قدر الحاجة.

أنواع الخبر باعتبار أحوال المخاطب

١- فإن كان المخاطب خالى الذهن عن الحكم، وإسناد أحد طرفى الخبر إلى الآخر، ومن التردد فيه استُغنى عن مؤكدات الحكم، كقولك: "جاء زيد، وعمرو ذاهب".

٢- وإن كان مترددًا فى إسناد أحدهما إلى الآخر طالبًا له حَسُن تقويته بمؤكد، كقولك: "لزيد عارف" أو "إن زيدًا عارف" لمن يتردد فى كون زيد عارفًا.

٣- وإن كان منكرًا عن الحكم، وإسناد أحدهما إلى الآخر وجب توكيده بحسب الإنكار، فتقول: "إنى صادق" لمن ينكر صدقك، ولا يبالغ فى إنكاره، و"إنى صادق" لمن يبالغ فى إنكاره، وكما فى قوله تعالى: ﴿فقالوا إنا إليكم مرسلون﴾[1] فى المرة الأولى من إنكارهم، وقوله تعالى: ﴿قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون﴾ فى المرة الثانية منه. وقال أبو العباس المبرد فى جواب يعقوب بن إسحاق الكندى حينما اعترض عليه بقوله: "إنى

---

(١) يس: الآيات ١٢-١٣.

أجد فى كلام العرب حشوًا، يقولون : "عبد الله قائم" و "إن عبد الله قائم" و "إن عبد الله لقائم"، والمعنى واحد" "ليس فى كلام العرب حشو، بل المعانى مختلفة فى هذه التراكيب، فلا يلزم الحشو، فعبد الله قائم إخبار عن قيامه، وإن عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل، وإن عبد الله لقائم جواب عن إنكار من ينكر"

ويسمّى النوع الأول من الخبر ابتدائيًا، والثانى طلبيًا، والثالث إنكاريًا. وإخراج الكلام على هذه الوجوه يسمّى إخراجًا على مقتضى الظاهر (يعنى إخراج الكلام على حسب ما يقتضيه ظاهر حال المخاطب).

إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر لوجه بلاغى

وكثيرًا مّا يُخرج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر لما يأتى :

١ - فيُنزّل غير السائل منزلة السائل إذا قُدّم إليه ما يشير إلى حكم الخبر، فينتظره انتظار المتردد الطالب له، كما فى قوله تعالى : ﴿ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا إنهم مغرقون﴾[١]، فكأنّ نوحًا عليه السلام كان منتظرًا وطالبًا لخبر آخر بعد سماع هذا الخطاب ﴿ولا تخاطبنى﴾ فأكّد الله تعالى الخبر الآتى بـ﴿إنّ﴾ مثل التأكيد أمام السائل المتردد، وقوله تعالى تعالى : ﴿وما أبرئ نفسى إن النفس لأمّارة بالسوء﴾[٢].

-٢ وكذلك ينزّل غير المنكر منزلة المنكر إذا ظهر عليه شىء من أمارات الإنكار، كقوله[٣] :

(١) هود : الآية ٢٦ .

(٢) يوسف : الآية ٥٣ .

(٣) حجل بن نضلة.

جـاء شـقـيق عـارضًا رمـحـه   إن بنى عـمّك فـيـهم رمـاح

فإن مجىء شقيق هكذا مفتخرًا بشجاعته، وقد وضع رمحه عرضًا على فخذيه دليل على إعجاب شديد منه، واعتقاده أن بنى عمّه ليس عندهم شىء، فأكّد الكلام بـ "إن".

٣- وكذلك ينزّل المنكر منزلة غير المنكر إذا كان معه من الدليل ما إن تأمله ارتدع عن إنكاره، كما فى قوله تعالى: ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾[1] حيث لم يؤكد الكلام، مع أن كثيرًا من الناس يشكّون فى كونه كلام الله، ولكن معهم من الدلائل ما لو تأملوا فيها لم يبقَ لهم ريب أصلا.

وكما فى قول القائل: "الإسلام حق" لمن ينكر الإسلام، فإن عند المنكر دلائل كثيرة لو تأمل فيها ارتدع عن إنكاره.

وهذا (المذكور من الاعتبارات والأمثلة) كلّه اعتبارات الإثبات وأمثلتها، وقس عليه (المذكور) اعتبارات النفى وأمثلتها، كقولك: ليس زيد منطلقًا، وما زيد بمنطلق، والله ليس زيد، أو ما زيد منطلقًا، أو بمنطلق، والله ما ينطلق زيد، أو ما إن ينطلق زيد، فلكل من هذه الأمثلة محل خاصّ به يقتضى إيراده لا إيراد غيره.

الحقيقة والمجاز العقليان

والإسناد -خبريًا كان أو إنشائيًا- بعضه حقيقة عقلية، وبعضه مجاز عقلى.

تعريف الحقيقة العقلية: هى إسناد الفعل أو معناه إلى شىء يكون الفعل أو

---

(١) البقرة: الآية ٢.

معناه لذلك الشىء عند المتكلم فى الظاهر (ومعنى الفعل كالمصدر، واسمى الفاعل والمفعول والصفة المشبهة ونحوها).

شرح التعريف: (١) ومعنى كونه (الفعل أو معناه) له أن معناه قائم به، ويصح إسناده إليه كالإسناد فى "ضرب زيد عمراً" و "ضُرِبَ عمرو" فإن الضاربية قائم بزيد والمضروبية واقع على عمرو.

(٢) ومعنى كونه "عند المتكلم" يشمل الإسناد الذى لا يطابق الواقع ويطابق الاعتقاد، كقول المعتزلى: "أنبت الربيع البقل".

(٣) ومعنى قوله: "فى الظاهر" أى لا يكون فى الظاهر قرينة مانعة عن كونه إلى ما هو له، كقول المعتزلى عند من لا يعرفه: "أنبت الله البقل".

فالحقيقة العقلية على أربعة أضرب:

١- أحدها: ما يطابق الواقع واعتقاد المتكلم، كقول المؤمن: "أنبت الله البقل، وشفى الله المريض".

٢- والثانى: ما يطابق الواقع دون اعتقاده، كقول المعتزلى لمن لا يعرف حاله، وهو يخفيها منه: "خالق الأفعال كلّها هو الله تعالى".

٣- والثالث: ما يطابق اعتقاده دون الواقع، كقول الجاهل: "شفى الطبيب المريض" معتقداً شفاء المريض من الطبيب.

٤- الرابع: ما لا يطابق شيئًا منهما، كالأقوال الكاذبة التى يكون القائل عالمًا بها دون المخاطب، كما تقول: "جاء زيد" وأنت تعلم (لا مخاطبك) أنه لم يجئ، فإنه لم يطابق الواقع، ولا اعتقاد المتكلم، ولكن فى الظاهر إسناد المجىء إلى ما هو فاعل له وهو زيد.

تعريف المجاز العقلى: وهو إسناد الفعل، أو ما فى معناه إلى ملابس له غير

ما هو له بتأوّل.

شرح التعريف: أى إسناد الفعل، أو شبهه إلى شىء يناسبه الفعل، أو شبهه، ويتعلق به، ولكن ذلك الشىء غير الفاعل، أو المفعول الذى يقوم به الفعل، أو شبهه، بل يكون الإسناد إليه بعد تأوّله وإرجاعه إلى ما هو له (الفاعل الحقيقى أو المفعول الحقيقى) أى بعد وجود المناسبة بين ما هو له وبين ذلك الغير.

ولكل واحد من الفعل وشبهه ملابسات ومتعلقات مختلفة، فيلابس الفاعل، والمفعول به، والمصدر، والزمان، والمكان، والسبب.

فإسنادهما إلى الفاعل -إذا كانا مبنيين للفاعل- وإلى المفعول به -إذا كانا مبنيين للمفعول- حقيقة عقلية (كما مر من الأمثلة السابقة) وإسنادهما إلى غيرهما -غير الفاعل والمفعول به- للملابسة (أى لاشتمال ذلك الغير ومناسبته بالفاعل أو المفعول به فى تعلق الفعل، أو ما فى معناه به مجاز عقلى.

أمثلة المجاز العقلى

١- كقولهم: "عيشة راضية"، فإن اسم الفاعل (راضية) بنى للفاعل، وأسند إلى المفعول به؛ إذ العيشة مرضية، وصاحبها راضٍ.

٢- و "سَيل مُفعَم" (مملوء) فيما بنى للمفعول، وأسند إلى الفاعل؛ لأن السيل هو الذى يُفعِم أى يملأ.

٣- و "شعر شاعر" فيما بنى للفاعل، وأسند إلى المصدر -وهو شعر- ونحو جدّ جِدّه؛ فإن جَدّ يسند إلى صاحب الجِدّ (الاجتهاد)، وهو الشخص

الذى يجتهد، ولكن أسند ههنا إلى المصدر وهو الجدّ.

٤- و "نهاره صائم" فإن اسم الفاعل "صائم" بنى للفاعل، وأسند إلى زمان الصوم وهو النهار.

٥- و "نهر جارٍ" فى الإسناد إلى المكان، فإن الجارى إنما هو الماء، لا النهر، ولكن النهر محل الجريان.

٦- و "بنى الأمير المدينةَ" فى الإسناد إلى السبب؛ لأن الأمير لا يبنى بنفسه عادةً، بل يأمر رعيته وعمّاله.

وقولنا فى تعريف المجاز: "بتأوّل" يخرج نحو قول الجاهل: شفى الطبيب المريض، وأنبت الربيع البقل عن تعريف المجاز العقلى؛ فإن الجاهل فى إسناد الشفاء إلى الطبيب، وإسناد الإنبات إلى الربيع لا يرجع إلى أصله، ولا يطلب له حقيقةً؛ لأنه يعتقد أن الشفاء من الطبيب، والإنبات من الربيع، لا من الله -والعياذ بالله-.

ولهذا (لأجل ضرورة تأوّل القائل وطلبه الأصل فى المجاز) لا يحمل قول الشاعر (الآتى) على المجاز ما لم يُعلم أو يُظنّ أن قائله لم يرد ظاهره؛ لاحتمال أنه أراد ظاهره، وكان من الحقيقة:

أشاب الصغير وأفنى الكبيـ ... ـر كرّ الغداة ومرّ العشىّ

نعم وقد حمل قول أبى النجم[1]:

ميّز عنه قنزعًا عن قنزع ... جذب الليالى ابطئى أو اسرعى

---

(١) وكامله:

قد أصبحت أمّ الخيار تدعى ... علىّ ذنبًا كلّه لم أصنع

من أن رأت رأسى كرأس الأصلع

ميّز عنه قنزعًا عن قنزع ... جذب الليالى ابطئى أو اسرعى

أفناه قيل الله للشمس اطلعى ... حتى إذا وارك أفق فارجعى

على المجاز، فإن إسناد "ميّز" إلى "جذب الليالى" مجاز بدليل قوله فيما بعد:

أفناه قيل الله للشمس أُطلعى حتى إذا وارك أفق فارجعى

وجه التسمية بالحقيقة العقلية والمجاز العقلى

وسمّى الإسناد فى هذين القسمين من الكلام عقليًا؛ لاستناده إلى العقل دون الوضع؛ لأن إسناد الكلمة شىء يحصل بقصد المتكلم دون قصد واضع اللغة، فلا يصير "ضرب" فى زيد ضرب خبراً عن زيد بقصد واضع اللغة، بل بمن قصد إثبات الضرب فعلا له، وإنما الذى يعود إلى واضع اللغة أن "ضرب" لإثبات الضرب، لا لإثبات الخروج، وأنه لإثبات الضرب فى زمان ماضٍ، وليس لإثباته فى زمان مستقبل، فأمّا تعيين من ثبت له الضرب، فإنما يتعين بمن أراد ذلك من المخبرين[1].

أقسام المجاز العقلى باعتبار طرفيه

وله باعتبار طرفيه أربعة أقسام: لأنهما إمّا حقيقتان لغويتان، كقولنا: "أنبت الربيع البقل"، فإن الإنبات والربيع أريد منهما المعنى الحقيقى، وإمّا مجازان لغويان، كقولنا: "أحيى الأرض شبابُ الزمان" فالإحياء والشباب فيهما مجاز، وإمّا مختلفان، كقولنا: "أنبت البقل شباب الزمان"، فالإنبات

(١) الإيضاح ص٢٩ بتلخيص وزيادة.

(وهو المسند) استعمل فى معناه الحقيقى، والشباب (وهو المسند إليه) فى معناه المجازى، وقولنا: "أحيى الأرض الربيع"، فإن المسند (وهو أحيى) أريد منه المعنى المجازى، والمسند إليه (وهو الربيع) أريد منه المعنى الحقيقى.

كثرة المجاز العقلى فى القرآن المجيد

وهو فى القرآن كثير: ١- كقوله تعالى: ﴿وإذا تُليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا﴾[1] نُسبت الزيادة التى هى فعل الله إلى الآيات لكونها سببًا فيها.

٢- وقوله تعالى: ﴿وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم﴾[2]، فإن المهلك هو الله تعالى، وقد نُسب الإهلاك (الإرداء) إلى الظن.

٣- وقوله تعالى: ﴿يذبّح أبناءهم﴾[3]، فإن فاعل الذّبح غير فرعون، ونسب الفعل إليه؛ لكونه هو الآمر به.

٤- وقوله تعالى: ﴿ينزع عنهما لباسهما﴾[4] نسب النزع الذى هو فعل الله إلى الشيطان؛ لأن السبب أكل الشجرة، وسبب أكل الشجرة وسوسة الشيطان ومقاسمته إيّاهما.

٥- وقوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفرًا وأحلّوا قومهم دار البوار﴾[5] نسب الإحلال (الإنزال) الذى هو فعل الله إلى أكابرهم؛ لأن سببه كفرهم، وسبب كفرهم أمر أكابرهم إيّاهم بالكفر.

---

(١) الأنفال: الآية ٢.

(٢) فصّلت: الآية ٢٣.

(٣) القصص: الآية ٤.

(٤) الأعراف: الآية ٢٧.

(٥) إبراهيم: الآية ٢٨.

٦- وقوله تعالى: ﴿يومًا يجعل الولدان شيبًا﴾[1] نسب الفعل إلى الظرف (اليوم) لوقوعه فيه.

٧- وقوله تعالى: ﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾[2] نسب الإخراج إلى الأرض؛ لأنه محل الخروج وظرفه، وكما أن المجاز العقلى واقع فى الخبر، كذلك واقع فى الإنشاء، ٨- كما فى قوله تعالى: ﴿وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحًا﴾[3]، فإن البناء نُسب إلى هامان؛ لأنه آمر وسبب للبناء، والفاعل الحقيقى هو العمّال.

٩- وقوله تعالى: ﴿فأوقد لى يا هامان على الطين فاجعل لى صرحًا﴾[4]، وهنا كذلك هامان سبب للأمر بالإيقاد.

١٠- وقوله تعالى: ﴿فلا يخرجنكما من الجنّة فتشقى﴾[5] نُسب الإخراج إلى إبليس؛ لأنه هو السبب للإخراج.

لا بد للمجاز العقلى من قرينة

ولا بدّ للمجاز العقلى من قرينة مانعة عن إرادة الإسناد الحقيقى، وهى (١) إمّا لفظية، كما فى قول أبى النجم:

أفناه قيل الله للشمس اطلعى

(٢) وإمّا غير لفظية (أى معنوية) (١) كاستحالة صدور المسند من المسند

---

(١) المزمّل: الآية ١٧.

(٢) الزلزال: الآية ٢.

(٣) الغافر: الآية ٣٦.

(٤) القصص: الآية ٣٨.

(٥) طه: الآية ١١٧.

إليه، كما فى مثل نهر جارٍ.

(٢) أو استحالة قيام المسند بالمسند إليه عقلا كقولك: "محبتك جاءت بى إليك" لظهور استحالة قيام المجىء بالمحبة.

(٣) أو استحالة قيامه به عادةً، كقولك: "هَزَمَ الأميرُ الجند" لاستحالة قيام هزم الجند بالأمير وحده عادةً، وإن أمكن عقلاً.

(٤) وكصدور الكلام من الموحّد، مثل قول الشاعر:

"أشاب الصغير وأفنى الكبير" إلى آخر البيت

لا بد للمجاز العقلى من حقيقة عقلية

وهى: (١) قد تكون ظاهرة، كما فى قوله تعالى: ﴿فما ربحت تجارتهم﴾[1] أى فما ربحوا فى تجاراتهم، وفى قول القائل: أنبت الربيع البقل أى أنبت الله البقل فى الربيع (٢) وقد تكون خفية لا تظهر إلا بعد نظر وتأمل.

١- كما فى قولك: سرّتنى رؤيتك أى سرّنى الله عند رؤيتك.

٢- وكقول أبى نواس: "يزيدك وجهه حُسنًا إذا ما زدته نظرًا" أى يزيدك الله حسنًا فى وجهه إذا ما زدتَ النظر إليه.

٣- وقول القائل: "أقدمنى بَلَدك حق لى على فلان" أى أقدمتنى نفسى بلدك لأجل حق لى على فلان، أى قَدِمتُ لذلك.

تنبيه: ولكثرة ورود المجاز العقلى فى القرآن، لا حاجة إلى ذكر قول السكاكى (من إنكاره المجاز العقلى)، ولا إلى ذكر تأويله لأمثلة المجاز العقلى بـ"الاستعارة بالكناية"، ولا إلى إشكالات ترد عليه.

---

(١) البقرة: الآية ١٦.

التمرين

١- بيّن مفهوم الإسناد الخبرى بعد بيان مطلق الإسناد.

٢- اذكر مقصود المخبر بخبره مع بيان أقسام الخبر الثلاثة وإيضاحه بالأمثلة.

٣- اكتب الأحوال الثلاثة لإخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر.

٤- عرّف الحقيقة العقلية وبيّن أقسامها مع الأمثلة.

٥- عرّف المجاز العقلى مع ذكر أربعة من أمثلته.

٦- لما ذا استشهد المصنف بقول الشاعر:

ميّز عنه قنزعًا عن قنزع   جذب الليالى ابطئى أو اسرعى

٧- كم قسمًا للمجاز العقلى باعتبار طرفيه؟ مثّل لها.

٨- هاتِ الآيات القرآنية دليلا على وقوع المجاز العقلى فى القرآن الحكيم.

٩- بيّن أقسام القرينة للمجاز العقلى وهاتِ لها أمثلة.

١٠- أظهِر الحقيقة العقلية فى الأمثلة الآتية:

١- ﴿فما ربحت تجارتهم﴾.

٢- سرّتنى رؤيتك.

٣- يزيدك وجهه حسنًا إذا ما زدته نظرًا.

٤- أقدمنى بلدك حق لى على فلان.

أحوال المسند إليه

المراد بالمسند إليه المبتدأ، والفاعل ونائبه، وأسماء النواسخ، كاسم كان وأخواتها، وأسماء الحروف المشبهة بالفعل.

والمراد بأحواله: حذفه وذكره، وتقديمه وتأخيره، وتعريفه وتنكيره، وما يعرض له من الأوصاف من غيرها.

(١) حذف المسند إليه

أما حذفه: ١- فلمجرد الاختصار والاحتراز عن العبث بناءً على الظاهر؛ لدلالة القرينة عليه نحو قوله تعالى: ﴿فصكّت وجهها وقالت عجوز عقيم﴾ أى أنا عجوز عقيم.

٢- أو لضيق المقام مع الاختصار، كقولك للصيّاد: "غزال" أى هذا غزال.

٣- أو لتخييل أن فى تركه تعويلا على شهادة العقل، وفى ذكره تعويلا على شهادة اللفظ من حيث الظاهر، وكم بين الشهادتين من الفرق، كقول الشاعر: قال لى: "كيف أنت؟" قلت: "عليل" أى أنا عليل.

٤- أو لاختبار تنبّه السامع له (للمحذوف) عند القرينة، أو اختبار مقدار تنبّهه له كقولك: "جاء" أى زيد، عند اختبار المخاطب.

٥- أو إيهام صون المسند إليه عن لسانك تعظيمًا له، نحو "خاتم الأنبياء وإمام الرسل"، أى محمد ﷺ، أو إيهام صون لسانك عنه تحقيرًا له نحو "لعينٌ رجيم" أى الشيطان.

٦- أو ليكون لك سبيل إلى الإنكار عند الحاجة، نحو قولك: "فاسق فاجر" عند قيام القرينة على أن المراد به فلان.

٧- أو لتعيّنه بأن الخبر (المسند) لا يصلح إلا له، كقولك: ﴿خالق لما يشاء﴾ و ﴿فعّال لما يريد﴾ فإنه لا يكون أحد كذلك إلا الله.

٨- أو ادّعاء تعيّنه، نحو قولك: "وهّاب الألوف" أى السلطان وهّاب الألوف.

٩- أو لاعتبار آخر مناسب لا يهدى إلى مثله إلا العقل السليم نحو قوله تعالى: ﴿صمّ بكم عمى﴾، وقوله تعالى: ﴿نارٌ حاميةٌ﴾ أى هم صم بكم، أى هى نار حامية، وكقول الشاعر:

سأشكر عمراً إن تراخت منيتى
أيادى لم تمنن وإن هى جلّتِ
فتًى[1] غير محجوب الغنى عن صديقه
ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلّتِ

١٠- أو نحو ذلك، كاتباع الاستعمال الوارد على حذفه وتركه، مثل: رمية من غير رامٍ، أى هذه رمية.

(٢) ذكر المسند إليه

وأمّا ذكره ١- فإمّا لأنه الأصل ولا مقتضِىَ للحذف ٢- وإمّا للاحتياط لضعف التعويل على القرينة ٣- وإمّا للتنبيه على غباوة السامع ٤- وإمّا لزيادة الإيضاح والتقرير، كما فى قوله تعالى: ﴿أولئك على هدًى من ربّهم

(١) أى هو فتى.

وأولائك هم المفلحون﴾، فذكر "أولائك" فى المعطوف للإيضاح.

٥- وإمّا لإظهار تعظيمه، كقولك: "أمير المؤمنين حاضر" ٦- أو إهانته، نحو "السارق اللئيم حاضر" ٧- وإمّا للتبرك بذكره، نحو: رسول الله ﷺ قال: كذا، فى جواب من سأل هل قال رسول الله ﷺ شيئًا؟ ولو قيل فى الجواب قال: كذا يكون كافيًا.

٨- وإمّا للاستلذاذ بذكره، مثل "الحبيب حاضر" ٩- وإمّا لبسط الكلام حيث كان الإصغاء مطلوبًا، كما فى قوله تعالى حكايةً عن موسى عليه السلام: ﴿هى عصاى﴾، ولهذا زاد على الجواب.

(٣) تعريف المسند إليه

وأمّا تعريفه (إيراد المسند إليه معرفةً) فلتكون الفائدة أتمّ؛ لأن احتمال تحقق الحكم متى كان أبعد كانت الفائدة فى الإعلام به أقوى، ولأن حق المسند إليه أن يكون معرفةً؛ لأنه هو المحكوم عليه الذى ينبغى أن يكون معلومًا ليكون الحكم مفيدًا.

(١) تعريف المسند إليه بالإضمار

أمّا تعريفه بالإضمار؛ فلأن المقام إمّا يقتضى ضمير المتكلم نحو قوله عليه السلام: «أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب»، أو الخطاب نحو قوله تعالى: ﴿أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله﴾[1]، أو

---

(١) المائدة.

الغيبة لتقدم ذكر المرجع، نحو قوله تعالى: ﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾، وكما فى قول الشاعر[1] (فى المتكلم):

أنا المَرَعّثُ[2] لا أُخفى على أحد ذرّت بى الشمس للقاصى وللدانى

وقول الشاعر (فى الخطاب):

أنت الذى أخلفتنى ما وعدتنى وأشمتّ بى من كان فيك يلوم

وقول الشاعر (فى الغيبة):

هم حلّوا من الشرف المعلّى ومن حسب العشيرة حيث شاءوا

أنواع الخطاب

والأصل فى الخطاب أن يكون لمعيّن -قليلا كان أو كثيرًا- وقد يترك هذا الأصل، ويستعمل فى غير معيّن، كما تقول: "فلان لئيم، إن أكرمته أهانك، وإن أحسنتَ إليه أساء إليك"، فلا تريد فى هذاا لخطاب مخاطبًا بعينه، بل تريد من أكرمه يهينه، ومن أحسن إليه يسىء إليه، أيّا كان المكرم والمحسن، ولكن تخرج الكلام فى صورة الخطاب ليفيد العموم، بأن سوء معاملته غير مختص بواحد دون واحد.

وكما فى قول المتنبئ:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنتَ أكرمتَ اللئيم تمرّدا

فإذا كان الخطاب لمعين يقال له: الخطاب الخاص، وإذا كان لغير معين يقال له: الخطاب العام، والخطاب العام فى القرآن المجيد كثير، كقوله

---

(١) بشّار بن بُرد.

(٢) الرِعاث: القرطة التى تكون فى أذن الصبىّ أو المرأة، وكان بشار بن برد يلقّب بالمرعّث؛ لرعاث كانت له فى صغره فى أذنه. (اللسان)

تعـالى: ﴿ولو ترى إذ المجرمـون ناكسـو رؤوسـهم عند ربهم﴾[1]، أخـرج الكلام فى صـورة الخطاب لمّا أريد العمـوم؛ للقـصـد إلى تفظيع حـالهم بأنها تناهت فى الظهور لأهل المحشر، حتى يمتنع خفاءها عنهم، فلا يختص بها رؤية شـخص دون شـخص، فـلا يخـتص بهـذا الخطاب مـخـاطب دون مخاطب.

(٢) تعريف المسند إليه بالعلمية

وأمّا تعريفه بالعلمية فللوجوه الآتية:

١- لإحضـار المسند إليـه بعينه فى ذهن السـامع ابتداءً باسم خـاصّ بـه كقولـه تعـالى: ﴿قل هـو الله أحـد﴾ وكقـول الحارث ابن هشام:

الله يعلـــم مـــا تـــركت قتـالهـم حـتى علوا فـرسى بأشـقـر مُزبد[2]

٢- ولتعظيمه، نحو جاء موسى عليه السلام.

٣- ولإهانته، نحو فرّ فرعون.

٤- وللكناية على مـعنى يصلح للإهانـة، نحـو أبو لهب فـعل كـذا، أى جهنّمى.

٥- وللتفاؤل، نحو سعيد فى دارك.

٦- ولإيهام الاستلذاذ بذكره، كما فى قول الشاعر:

بـالله يا ظبـيـــات القـــاع قلن لنا ليـــلاى منكن أم ليلى من البـــشـــر

فقال الشاعر: أم ليلى ولم يقل: هى؛ لأجل الاستلذاذ.

٧- ولأجل التبرك به، نحو الله الهادى، ومـحـمـد ﷺ الشفيع، ويُذكر

---

(١) السجدة: الآية ١٢

(٢) أى يعلوه زبد.

باسم العلم لأمثال ذلك مما يناسب المقام، كالتشاؤم والذم وغيرهما.

(٣) تعريف المسند إليه بالموصولية

وأمّا تعريفه بالموصولية، فلما يأتى من الفوائد:

١- لعدم علم المخاطب بالأحوال المختصة به سوى الصلة، كقولك: "الذى كان معنا أمس رجل عالم".

٢- ولسوء الأدب فى التصريح باسمه، كقولك: الذى ربّانى هو أبى.

٣- ولزيادة تقرير الغرض الذى سيق لأجله الكلام، نحو قوله تعالى: ﴿وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه﴾[١]، فإنه مسوق لتنزيه يوسف عليه السلام عن الفحشاء، والمذكور ﴿التى هو فى بيتها﴾ أدلّ عليه من "راودته امرأة العزيز".

٤- وللتفخيم كقوله تعالى: ﴿فغشيهم من اليمّ ما غشيهم﴾[٢]

٥- ولتنبيه المخاطب على خطأ، كقول الشاعر[٣]:

إن الذين ترونهم إخوانكم　　يشفى غليل صدورهم أن تُصرعوا

٦- وللإشارة إلى نوع بناء الخبر، نحو قوله تعالى: ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين﴾[٤]، فإن سبب دخولهم فى جهنم هو استكبارهم عن عبادة الله تعالى، فيفهم أن الخبر الآتى من قسم العقاب.

---

(١) يوسف: الآية ٢٣.

(٢) طه: الآية ٧٨.

(٣) عبدة بن الطيب.

(٤) الغافر: الآية ٦.

٧- وربما يجعل ذريعةً إلى التعريض بتعظيم شأن الخبر كقول الشاعر:

إن الذى سمك السماء بنى لنا بيتًا دعائمه أعزّ وأطول

ففى قوله: "إن الذى سمك السماء" إيماء إلى أن الخبر المبنى عليه أمر من جنس الرفعة، والبناء عند من له ذوق سليم.

٨- ولتعظيم شأن غير الخبر، نحو قوله تعالى: ﴿الذين كذّبوا شعيبًا كانوا هم الخاسرين﴾، ففيه إيماء إلى أن الخبر المبنىّ عليه مما ينبئ عن الخيبة والخسران، وتعظيم لشأن شعيب عليه السلام.

٩- وقد يجعل المسند إليه الموصول ذريعةً إلى تحقيق الخبر كقول الشاعر:

إن التى ضربت بيتًا مهاجرةً بكوفة الجند غالت ودّها غول[1]

(٤) تعريف المسند إليه باسم الإشارة

وأمّا تعريفه باسم الإشارة فللأمور الآتية:

١- لتمييزه أكمل تمييز بإحضاره فى ذهن السامع بوساطة الإشارة الحسية، كقول الشاعر[2]:

هذا أبو الصقر فردًا فى محاسنه من نسل شيبان بين الضال والسلم

وقول الشاعر[3]:

أولائك قوم إن بنوا أحسنوا البنا
وإن عاهدوا أوفوا، وإن عقدوا شدّوا

---

(١) أى المرأة التى ضربت وبنت بيتًا بالكوفة التى هى مركز الجنود حال كونها مهاجرةً إليها قد أهلك محبّتها مهلك، فاحتاجت إلى الهجرة.

(٢) ابن الرومى.

(٣) الحطيئة.

٢- وللقصد إلى إظهار غباوة السامع، حيث لا يتميّز الشيء عنده إلا بالحسّ، كقول الفرزدق:

أولائك آبائى فجئنى بمثلهم   إذا جمَعتنا يا جرير المجامعُ

٣- ولبيان حاله فى القرب، أو البعد، أو التوسط، كقولك: هذا زيد، وذلك عمرو، وذاك بشر.

٤- ولتحقير المسند إليه (بالإشارة القريبة) نحو قوله تعالى: ﴿وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب﴾، وقوله تعالى: ﴿أهذا الذى يذكر آلهتكم﴾.

٥- ولتعظيم المسند إليه (بالإشارة البعيدة) نحو قو' تعالى: ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ ذهابًا إلى بعد درجة الكتاب.

٦- ولتحقيره بالإشارة البعيدة نحو قولك: "ذلك اللعين فعل كذا".

٧- وللتنبيه على أن الأوصاف المذكورة قبل اسم الإشارة سبب لما يأتى بعده من الحكم، نحو قوله تعالى: ﴿أولائك على هدًى من ربهم وأولائك هم المفلحون﴾ أفاد اسم الإشارة على أن استحقاقهم للهداية فى العاجل، والفلاح فى الآجل لأجل الأوصاف السابقة من الإيمان بالغيب، وإقام الصلاة، والإنفاق، والإيمان بالكتب، والإيقان بالآخرة.

(٥) تعريف المسند إليه باللام

وأمّا تعريفه باللام فللنكات الآتية:

١- للإشارة إلى معهود خارجى يعرفه المتكلم والمخاطب، ويقال له: "لام العهد الخارجى"، كما إذا قال قائل: "جاءنى رجل من قبيلة كذا"، فتقول: "وما فعل الرجل؟" وكما فى قوله تعالى: ﴿وليس الذكر كالأنثى﴾

أى وليس الذكر الذى طلبت أم مريم كالأنثى التى وُهبت لها.

٢- ولإرادة نفس الحقيقة، ويقال له: لام الجنس كقولك: "الرجل خير من المرأة، والدينار خير من الدرهم"، فإن فى هذين المثالين بيان أن حقيقة الرجل خير من حقيقة المرأة، وحقيقة الدينار خير من حقيقة الدرهم بدون لحاظ الأفراد.

٣- ولإرادة معهود ذهنى لا يعرفه المخاطب، ويقال له: "لام العهد الذهنى" كقولك: "أدخل السوق"، وليس بينك وبين مخاطبك سوق معهود فى الخارج، ومثله قول الشاعر:

ولقد أمرّ على اللئيم يسبّنى

وهذا الاسم فى معنى النكرة، يعنى مدخول اللام الذهنى فى حكم النكرة، ولذلك جُعِلَ يسبّنى فى البيت المذكور صفة للئيم، لا حالا عنه.

٤- ولإرادة الحقيقة باعتبار جميع أفرادها (ويقال لهذا اللام: "لام الاستغراق") نحو قوله تعالى: ﴿إن الإنسان لفى خسر﴾.

أقسام الاستغراق

وهو ضربان: حقيقى: وهو الذى يشمل جميع أفراد مدخول اللام حقيقةً، كقوله تعالى: ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ أى عالم كل غيب وكل شهادة.

وعرفى: وهو الذى يشمل جميع أفراد مدخول اللام عرفًا، لا حقيقةً، كقولنا: "جمع الأمير الصاغة"، فإن الأمير يجمع صاغة بلده أو أطراف مملكته فحسب، لا صاغة الدنيا.

الفرق بين استغراق الفرد واستغراق الجمع

واستغراق الفرد أشمل من استغراق الجمع، بدليل أنه إذا كان فى الدار رجل أو رجلان، وأنت تقول: "لا رجلَ فى الدار"، فى نفى الجنس، لا يصدق هذا الكلام، بل يصدق: لا رجال فى الدار، فإن فى "لا رجل فى الدار" نفى جنس الرجل (واحدا كان أو كثيرا) وفى "لا رجال فى الدار" نفى الجماعة، ومن الممكن أن يكون فى الدار رجل أو رجلان، ومع ذلك يصدق هذا الكلام.

وإنما يكون كذلك فى النكرة المنفية كما فى هذا المثال، وأما فى المعرّف بلام الاستغراق، فلا يكون المفرد أشمل؛ لأن الجمع المعرّف بلام الاستغراق يتناول كل واحد من الأفراد، فلا يبقى الفرق بينه وبين المفرد، وهذا هو رأى أئمة الأصول والنحو، ويدل عليه الاستقراء، وأشار إليه أئمة التفسير.

عدم المنافاة بين كون الاسم مفردًا وبين دلالة الاستغراق على التعدد

ولا تنافى بين الاستغراق وبين إفراد اسم الجنس؛ لأن حرف الاستغراق إنما يدخل على الاسم حال كونه مجردًا عن الدلالة على معنى الوحدة والتعدد، ولأن حرف الاستغراق بمعنى كل فرد، لا بمعنى مجموع الأفراد، فمعنى قولنا: "الرجل العالم يُكرم"، فى الاستغراق: كل فرد من أفراد الرجل، لا مجموع الرجال، ولهذا امتنع وصف الرجل بنعت الجمع.

والحاصل: أن الجمع لا يقع صفة للمعرف بلام الاستغراق؛ لكونه مفردًا فى المعنى.

(٦) تعريف المسند إليه بالإضافة

وأمّا تعريفه بالإضافة، فلما يأتى من الفوائد:

١- إمّا لأنه ليس للمتكلم طريق أخصر منها إلى إحضار المسند إليه فى ذهن السامع، كقول الشاعر:

هواى[1] مع الركب اليمانين مصعد جنيب وجثمانى بمكة مُوثق

فإن "هواى" أخصر من قوله: "الذى أهواه" وأمثاله.

٢- وإمّا لإغناء الإضافة عن تفصيل متعذّر أو مرجوح، كقول الشاعر الحارثة بن وعلة:

قومى هم قتلوا أُمَيم أخى فإذا رميتُ يصيبنى سهمى

لم يفصّل الشاعر القاتلين بأسماءهم، بل اكتفى بقوله: قومى.

٣- وإمّا لتضمن الإضافة تعظيمًا لشأن المضاف إليه، كقولك: عبدى حضر، أو تعظيمًا لشأن المضاف، كقولك: عبد الخليفة ركب.

٤- أو لتعظيم غير المضاف والمضاف إليه، كقولك: "عبد السلطان عندى"، فإن فيه تعظيمًا للمتكلم.

٥- وإمّا لتحقير المضاف، كقولك: "ولد الحجام حاضر"، ففيه تحقير للولد الذى هو مضاف.

٦- أو تحقير المضاف إليه، كقولك: "ضارب زيد حاضر فى المجلس"،

---

(١) أى حبيبى مع الركب اليمنيين ذاهب إلى البعد، وفى جنبهم وتابع لهم، وجمسى موثق ومحبوس بمكة، وإن كان قلبى ذاهبًا معه.

فإن فيه تحقيراً لزيد.

التمرين

١- اذكر خمسةً من وجوه حذف المسند إليه.

٢- ما هو وجه ذكر المسند إليه فى قوله تعالى: ﴿وأولائك هم المفلحون﴾؟

٣- وما هو سبب ذكر المسند إليه فى قوله تعالى: ﴿هى عصاى﴾؟

٤- ما هى الحكمة فى إيراد المسند إليه معرفة؟

٥- اذكر ثلاثة أبيات كان المسند إليه فيها ضمير المتكلم والمخاطب والغائب.

٦- كم نوعًا للخطاب؟ مثّل لقسميه.

٧- لما ذا استشهد بقول الشاعر:

الله يعلم ما تركتُ قتالهم   حتى علوا فرسى بأشقر مُزبد

٨- ما هو محل الاستشهاد فى قول الشاعر:

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا   ليلاى منكن أم ليلى من البشر

٩- اذكر أربعة من الوجوه التى يُورد المسند إليه لأجلها موصولا.

١٠- بيّن سبب إيراد المسند إليه باسم الإشارة فى قوله تعالى: ﴿أولائك على هدًى من ربّهم وأولائك هم المفلحون﴾.

١١- ما هو محل الاستشهاد فى قوله تعالى: ﴿ذلك الكتاب﴾؟.

١٢- ما هى الوجوه الأربعة التى يؤتى المسند إليه لأجلها معرّفا باللام؟

١٣- ما هو الفرق بين لام العهد الخارجى وبين لام العهد الذهنى؟

١٤- كم وجوهًا لإيراد المسند إليه معرفة بالإضافة؟

(٤) تنكير المسند إليه

وأمّا إيراد المسند إليه نكرةً فلما سيأتى من الوجوه :

١- لإرادة فرد واحد من اسم الجنس، كقوله تعالى : ﴿وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى﴾ أى فرد واحد من أشخاص الرجال .

٢- ولإرادة نوع منه، كما فى قوله تعالى : ﴿وعلى أبصارهم غشاوة﴾ أى نوع من الأغطية غير ما يتعارفه الناس، وهو غطاء التعامى عن آيات الله .

٣ و ٤- وللتعظيم أو التحقير أى ارتفاع شأن المسند إليه، أو انحطاطه إلى حدّ لا يمكن معه أن يعرّف (يذكر معرفة)، كقول الشاعر[1] :

له حاجب عن كل أمر يشينه   وليس له عن طالب العرف حاجب

أى له حاجب عظيم يحجبه ويمنعه عما يعيبه، وليس حاجب حقير، ولا صغير حتى يمنعه عن الجود وإعطاء المعروف .

٥- ولتكثير أفراد المسند إليه كقوله : "إن له لإبلا وإن له لغنمًا"، أى له إبلا كثيرا وغنما كثيرا، ومثّل الزمخشرى بقوله تعالى : ﴿أإن لنا لأجرًا﴾ أى أجرًا كثيرًا؟

٦- وللتقليل، نحو قوله تعالى : ﴿ورضوان من الله أكبر﴾ أى وشىء من رضوانه أكبر من ذلك كله؛ لأن رضاه سبب كل سعادة وفلاح .

٧- وللتعظيم والتكثير، نحو قوله تعالى : ﴿فقد كُذّبت رسل من قبلك﴾ أى رسل ذو عدد كثير وآياتٍ عظام وأعمار طويلة .

وقد يؤتى غير المسند إليه نكرةً (أيضًا) للإفراد، أو النوعية، نحو قوله تعالى : ﴿والله خلق كل دابة من ماء﴾ أى خلق كل فرد من أفراد الدوابّ

---

(١) ابن أبى السمط .

من نوع واحد من ماء، وهو الماء الذى يتولد منه الحيوان، وقوله تعالى: ﴿وأمطرنا عليهم مطرًا﴾ أى نوعًا من المطر عجيبًا -يعنى الحجارة-.

ومن تنكير غير المسند إليه للتعظيم، قوله تعالى: ﴿فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾ أى بحرب عظيم، وقد يؤتى الاسم نكرة لتحقير غير المسند إليه، نحو قوله تعالى: ﴿إن نظنّ إلا ظنّا﴾ أى ظنا حقيراً.

(٥) وصف المسند إليه

وأما إيراد الوصف للمسند إليه فلما يأتى:

١- لكون الوصف مبيّنًا له كاشفًا عن معناه، كقولك: "الجسم الطويل العريض العميق" يحتاج إلى فراغ يشغله.

ونحوه فى كون الوصف كاشفًا قول الشاعر[١]:

الألمعى الذى يظنّ بك الظن   كأن قد رأى وقد سمعا

ومن كون الوصف كاشفًا فى غير المسند إليه قوله تعالى: ﴿إن الإنسان خُلق هَلوعًا[٢] إذا مسّه الشرّ جزوعا وإذا مسّه الخير منوعًا﴾.

٢- ولكونه مخصّصا للموصوف نحو "زيد التاجر عندنا"، إذا كان مسمّى بزيد متعدداً.

٣- وكونه مدحا له، كقولنا: "جاء زيد العالم" إذا كان زيد متعينًا قبل ذكر العالم.

٤- ولكونه ذمّا له نحو "جاءنى زيد الجاهل" إذا كان الموصوف متعيّنا

---

(١) أوس بن حجر.

(٢) قال الزمخشرى: الهلع سرعة الجزع عند مسّ المكروه، وسرعة المنع عند مسّ الخير.

قبل ذكر الوصف.

ومن كون الوصف للمدح فى غير المسند إليه قوله تعالى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾.

ومن كونه للذمّ فى غير المسند إليه، نحو قوله تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾.

٥- وللتأكيد، كقولك: "أمسِ الدابر كان يومًا عظيمًا".

٦- وكون الوصف بيانًا له، كقوله تعالى: ﴿ولا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد﴾.

ومن كون الوصف للبيان فى غير المسند إليه، قوله تعالى: ﴿وما من دابّة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه﴾، وإنما ذكر ﴿فى الأرض﴾ بعد ﴿دابّة﴾ و ﴿يطير بجناحيه﴾ بعد ﴿طائر﴾ لبيان أن القصد بهما إلى الجنس، لا إلى العدد.

(٦) تأكيد المسند إليه

وأمّا توكيد المسند إليه فللفوائد الآتية:

١- لتقرير المسند إليه، وتحقيق مدلوله فى ذهن السامع بحيث لا يظن غير المسند إليه، نحو "جاءنى زيد زيد" (لا غيره).

٢- ولدفع توهّم المجاز، نحو "قطع اللصّ الأمير نفسه" (أى لا عبده)

٣- ولدفع توهّم السهو، نحو، عرف زيد زيد.

٤- ولدفع توهّم عدم الشمول، نحو قوله تعالى: ﴿فسجد الملائكة كلّهم أجمعون﴾.

(٧) تعقيب المسند إليه بعطف البيان

وأمّا ذكر عطف البيان بعد المسند إليه فلإيضاحه باسم مختص به، نحو "قدم صديقك خالد" ونحو قول الأعرابى: "أقسم بالله أبو حفص عمر"

(٨) الإبدال من المسند إليه

وأمّا الإبدال منه فلزيادة تقرير النسبة وإيضاحها، نحو "جاءنى أخوك زيد" (فى بدل الكل) و "جاء القوم أكثرهم" (فى بدل البعض) و"سلب عمرو ثوبه" (فى بدل الاشتمال) وأمّا بدل الغلط فغلط لا يفيد شيئًا، ومن الإبدال فى غير المسند إليه قوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم﴾.

(٩) العطف -أى جعل شىء معطوفًا- على المسند إليه

وأمّا لعطف عليه فلما سيأتى من الأسرار:

١- لتفصيل المسند إليه مع اختصار، نحو "جاء زيد وعمرو وخالد"، فإنه أخصر من تكرار جاء ثلاث مرّات.

٢- ولتفصيل المسند مع اختصار، نحو "جاء زيد فعمرو أو ثم عمرو"، ففيه تفصيل أن مجىء عمرو بعد مجىء زيد بلا مهلة أو بمهلة، ونحو "جاء القوم حتى خالد"، فعلم أن المجىء تعلق بالكل والجزء.

٣- ولردّ السامع عن الخطأ فى الحكم إلى الصواب، كقولك: "جاءنى زيد لا عمرو" لمن اعتقد أن عمروا جاءك دون زيد، أو أنهما جاءاك جميعًا، وقولك: "ما جاءنى زيد لكن عمرو" لمن اعتقد أن زيدًا جاءك دون عمرو.

٤- ولصرف الحكم عن المحكوم له إلى آخر، نحو "جاءنى زيد، بل عمرو" و "ما جاءنى زيد، بل عمرو".

٥- ولشك المتكلم فى الحكم، نحو "جاءنى زيد أو عمرو".

٦- ولتشكيك السامع فى الحكم، نحو جاءنى إمّا زيد وإمّا عمرو، أو إمّا زيد أو عمرو".

٧- ولإبهام الحكم عن السامع، نحو قوله تعالى: ﴿وإنّا أو إيّاكم لعلى هدًى أو فى ضلال مبين﴾.

٨- وللإباحة أو التخيير (وهو أن يفيد ثبوت الحكم لأحد الشيئين أو الأشياء فحسب)، مثالهما قولك: "ليدخل الدار زيد أو عمرو"، ففى الإباحة جاز دخول زيد وعمرو كليهما، وفى التخيير إنما جاز دخول أحدهما.

(١٠) ذكر ضمير الفصل عقب المسند إليه

وأمّا توسط ضمير الفصل بين المسند إليه والمسند فلتخصيص المسند بالمسند إليه، أى يوجد المسند فى المسند إليه فقط، نحو "زيد هو القائم"، فمعنى الكلام أن القيام مقصور على زيد لا يتجاوز إلى عمرو، ونحو قوله تعالى: ﴿إنه هوالسميع البصير﴾، وقوله تعالى: ﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾.

التمرين

١- بيّن وجه التنكير فى هاتين الآيتين :

١- ﴿وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى﴾

٢- ﴿وعلى أبصارهم غشاوة﴾

٢- لما ذا استشهد المصنف بهذا البيت؟

له حاجب عن كل أمر يشنيه ... وليس له عن طالب العرف حاجب

٣- اذكر مثالا لتنكير غير المسند إليه للإفراد والنوعية .

٤- لما ذا مثّل المصنّف بقول الشاعر :

الألمعى الذى يظنّ بك الظن ... كأن قد رأى وقد سمعا

٥- مثّل للصفة الكاشفة فى غير المسند إليه .

٦- اذكر مثالا يكون الوصف فيه بيانًا فى غير المسند إليه .

٧- بيّن فوائد التأكيد الأربعة .

٨- مثّل لبدل الكل من القرآن المجيد .

٩- اكتب أربعة من وجوه العطف على المسند إليه .

١٠- لما ذا استشهد بهذه الآية ﴿إنه هو السميع البصير﴾ .

(١١) تقديم المسند إليه

وأمّا تقديم المسند إليه لأجل أهميته فلما يأتى من الأسباب :

١ - لكون تقديمه أصلا (لأنه المحكوم عليه فلا بد من علمه أولا) ولا مقتضى للعدول عن هذا الأصل (كما فى الفاعل، فإن مرتبة العامل تقتضى تأخير الفاعل مع كونه مسندا إليه).

٢ - ولتمكّن الخبر فى ذهن السامع ؛ لأن فى ذكر المبتدأ مقدّمًا ؛ تشويقًا إلى الخبر، كقول أبى العلاء المعرّى :

والذى حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد[١]

٣ - ولتعجيل المسّرة ؛ لكونه صالحًا للتفاؤل، نحو "سعد فى دارك"

٤ - وتعجيل المساءة ؛ لكونه صالحًا للتطيّر، نحو "السفاح فى دار صديقك".

٥ - ولإيهام أن المسند إليه لا يزول عن خاطر المتكلم لكونه مطلوبًا.

٦ - والاستلذاذ بذكره، ونحو ذلك، مثل إظهار تعظيمه أو تحقيره.

٧ - وقد يقدّم المسند إليه لتخصيصها بالخبر الفعلى، أو لتقوية الحكم.

صور تقديم المسند إليه عند الشيخ عبد القاهر رح

١ - أن يكون المسند إليه واقعًا بعد حرف النفى متصلا به -سواء كان

---

(١) أوّله : بان أمر الإله واختلف الناس فداع إلى ضلال وهادِ

يعنى تحيّرت الخلائق فى معاد الجسمانى، والنشور الذى ليس بنفسانى بدليل أوّله هذا، فبعضهم يقول : بالمعاد، وبعضهم لا يقول به. (المختصر ص٩٧)

نكرةً أو معرفةً، مضمرًا أو مظهرًا-.

٢- أن لا يكون المسند إليه بعد حرف النفى ويكون الخبر فعلا مثبتًا.

٣- أو يكون الخبر فعلا منفيًا.

٤- أن يكون المسند إليه نكرةً، وخبره فعلا.

١- مثال الصورة الأولى: ما أنا قلت هذا أى "أنا لم أقله"، مع أنه مقول لغيرى، فالتقديم يفيد نفى القول عن المتكلم وثبوته لغيره، فالنفى خاص به، ومنه قول أبى الطيب المتنبى:

وما أنا أسقمت جسمى به ولا أنا أضرمت فى القلب نارًا

أى مُحدث السقم فى الجسم، وموقد النار فى القلب غيرى لا أنا، ولأجل دلالته على النفى عن المتكلم، وإثباته لغيره لم يصحّ: "ما أنا قلت هذا ولا غيرى" فإن أوّل الكلام يدل على أن القول منفى عن المتكلم وثابت لغيره، وآخر الكلام يدل على نفيه عن غير المتكلم أيضًا، وكذلك لا يصحّ: "ما أنا رأيت أحدًا من الناس" ولا "ما أنا ضربت إلا زيدا" لأن الأول يقتضى أن يكون إنسان غير المتكلم قد رأى كل أحد من الناس، والثانى يقتضى أن يكون إنسان غيره قد ضرب كلّ أحد سوى زيد، وكلاهما محال؛ لأن ما نُفى عن المتكلم على وجه العموم قد أثبت لغيره على هذا الوجه، وهذا غير ممكن.

٢- مثال الصورة الثانية: "أنا سعيت فى حاجتك" للردّ على من يزعم انفراد غير المسند إليه بالسّعى، أو يزعم مشاركته للمتكلم فى السعى، فتقديم المسند إليه "أنا" يفيد تخصيص السعى به، ونفيه عن غيره انفرادًا ومشاركةً.

وعلى تقدير كونه ردًا على انفراد الغير يؤكد المسند إليه بـ "لا غيرى" وأمثاله وعلى تقدير الردّ على زعم المشاركة يؤكد بـ "وحدى" وأمثاله.

المثال الثانى للصورة الثانية : "هو يعطى الجزيل" فالتقديم فى هذا المثال يفيد تقوية الحكم، وتقريره فى ذهن السامع، بدون التخصيص، فإن المطلوب هو إثبات إعطاء الجزيل للمسند إليه، لا نفيه عن غيره.

٣- مثال الصورة الثالثة : (بأن يكون الخبر فعلا منفيًا) نحو : "أنت لا تكذب"، فالتقديم هنا أيضًا يفيد تقوية الحكم المنفى وتقريره؛ فإنه أشدّ لنفى الكذب عن المخاطب، من قولك : "لا تكذب" وكذا من قولك : "لا تكذب أنت"، فإن فى الأول "أنت لا تكذب" تكرار الإسناد (إسناد الفعل إلى الضمير المتصل ثم إسناد المجموع إلى "أنت" المسند إليه، وفى الثانى إسنادًا واحدًا، وفى الثالث تأكيد الفاعل (الضمير المتصل) بالضمير المنفصل أنت" فلفظ أنت لتأكيد المحكوم عليه (وهو الفاعل) لا لتأكيد الحكم، لعدم تكرار الإسناد، ومنه قوله تعالى : ﴿والذين هم بربّهم لا يشركون﴾.

٤- مثال الصورة الرابعة : نحو رجل جاءنى، لا امرأة ولا رجلان، فبناء الفعل -وهو جاءنى- على النكرة -وهو رجل- يفيد تخصيص الجنس أو الواحد بالخبر الفعلى، فالتقديم أفاد التخصيص باعتبار جنس المسند إليه، أى هو رجل لا امرأة، أو باعتبار العدد، أى هو رجل لا رجلان.

صور تقديم المسند إليه عند السكاكى وشروطه

١- أن يكون المسند إليه مضمرًا نحو : أنا قمت.

٢- أن يكون مظهرًا ومعرفةً نحو : زيد قام.

٣- أن يكون نكرة نحو : رجل جاءنى.

الشرط الأول : إمكان اعتبار المسند إليه فى الأصل مؤخرًا على أنه فاعل

معنًى، لا لفظًا، نحو: أنا قمت.

والشرط الثانى: أن يعتبر أن ذلك المسند إليه كان مؤخرا بالفعل ثم قدّم، فإذا وجد الشرطان يكون التقديم للتخصيص، وإلا فلا يفيد التقديم إلا تقوّى الحكم.

والشرط الثالث: (وهذا مخصوص بالمنكّر) أن لا يمنع من تخصيص النكرة (بعد التقديم) مانع نحو: رجل جاءنى لا امرأة ولا رجلان، بخلاف شرّ أهرّ ذا ناب، فإن فيه مانعًا من التخصيص (كما سيأتى).

١- مثال الصورة الأولى: نحو: أنا قمت، فإنه يجوز أن يقدّر أن أصله "قُمتُ أنا" فيكون "أنا" فاعلا معنًى تأكيدًا لفظًا، ولكن لم يعتبر بالفعل أنه كان مؤخرًا فقُدّم، فلا يفيد التقديم تخصيص القيام بضمير المتكلم "أنا" لعدم الشرط الثانى -بل يفيد تقوى الحكم-.

٢- مثال الصورة الثانية: نحو: زيد قام، فإنه لا يجوز أن يقدّر أن أصله قام زيد، فقدّم؛ لأنه يلزم تقديم الفاعل اللفظى، فلا يفيد التقديم تخصيص القيام بزيد -لعدم الشرط الأول- بل يفيد تقوى الحكم.

٣- مثال الصورة الثالثة: نحو رجل جاءنى، فإنه قُدّر أن أصله: جاءنى رجل على أن رجلا ليس بفاعل، بل هو بدل من الضمير فى "جاءنى" كما فى قوله تعالى: ﴿وأسرّوا النجوى الذين ظلموا﴾ (عند من يجعل الموصول بدلا من الضمير فى "أسرّوا"، وأمّا عند من يقول بكون الموصول مبتدأً مؤخرًا، وجملة ﴿أسرّوا﴾ خبرًا مقدّمًا، فلا يكون استشهادًا.

ففى رجل جاءنى، وجد الشرط الأول، وهو تقدير كونه مؤخرًا فى الأصل، ولم يوجد الشرط الثانى، وهو اعتبار تأخيره بالفعل، ثم تقديمه، ولكن استثناه السكاكى عن إفادة تقوى الحكم، وجعله للتخصيص

(تخصيص الجنس أو الفرد، أى رجل جاءنى لا امرأة، أو لا رجلان) لئلا ينتفى التخصيص، وجاز وقوعه مبتدأ، إذ لا سبب للتخصيص غير تقدير كونه مؤخرًا فى الأصل (على أنه بدل الفاعل) ثمّ قدّم، بخلاف المسند إليه المعرّف، مثل أنا قائم، فإنه لم يجعل تقديمه للتخصيص مع أن الشرط الأول فيه موجود أيضًا؛ لأنه لا ضرورة لاعتبار التخصيص فيه؛ لكونه معرفةً، فوافق السكاكى الشيخ عبد القاهر فى صور التقديم وخالفه فى هذه الشروط الثلاثة.

فالمانع فى "شرّ أهرّ ذا ناب" عن التخصيص (عند السكاكى)، أمّا على تقدير تخصيص الجنس فلامتناع أن يراد أن المهرّ شرّ لا خير؛ لأن المهرّ لا يكون إلا شرًا، وأما على تقدير تخصيص الواحد فلكونه بعيدا عن مكان استعمال هذا الكلام؛ لأنه لا يراد فى العرف أن المهرّ شرّ لا شرّان.

ولمّا صرّح الأئمة بتخصيص شرّ فى هذا الكلام -لأنهم أوّلوه بـ "ما أهرّ ذا ناب إلا شرّ" أى كان مؤخرًا ثم قدّم- ثبت أن وجه التنكير هو تفظيع شأن الشرّ بأنه شرّ عظيم أهرّ ذا ناب، لا شرّ حقير، فيكون التقديم لتخصيص النوع، لا لتخصيص الجنس، أو الواحد، فحصل التطبيق بين قول السكاكى، وقول الأئمة (هذا هو حاصل كلام السكاكى).

الجرح على كلام السكاكى

١ - أمّا أولا: ففى قوله: أن يجوز تقدير كونه فى الأصل مؤخّرا، بأن يكون فاعلا فى المعنى فقط، نظر؛ إذ الفاعل اللفظى والمعنوى وتأكيده، سواء فى امتناع التقديم ما دام الفاعل فاعلا، والتأكيد تأكيدًا، فتجويز تقديم التأكيد

دون الفاعل نفسه تحكّم.

وأمّا ثانيًا: فلا نسلّم انتفاء التخصيص (فى رجل جاءنى) لولا تقدير أنه كان فى الأصل مؤخرًا ثم قدّم؛ لجواز حصول التخصيص بالتهويل - كما ذكر فى شرّ أهرّ ذا ناب- أو غيره كالتحقير والتقليل.

وأمّا ثالثًا: فلا نسلّم امتناع أن يراد أن "المهرّ شرّ لا خير" (فى تخصيص الجنس) فإن الشيخ عبد القاهر قال: "إنما قدّم شرّ"؛ لأن المراد أن يعلم أن الذى أهرّ ذا ناب هو من جنس الشرّ لا من جنس الخير، فصار كرجل جاءنى لا امرأة.

قال السكاكى: ويقرب من قبيل "هو عرف" فى اعتبار تقوّى الحكم "زيد عارف" لتضمّن "عارف" الضمير، مثل عَرَفَ، فبسببه يحصل للحكم التقوى، وإنما قلت: "يقرب"، ولم أقل: "نظيره"؛ لأنه لما لم يتفاوت فى التكلم، والخطاب والغيبة فى "أنا عارف" و "أنت عارف" و "هو عارف" أشبه الاسم الخالى عن الضمير فى عدم التغيّر، نحو "أنا رجل"، و "أنت رجل" و "هو رجل"، ولذلك لم يحكم على "عارف" بأنه جملة، ولا عومل معاملتها فى البناء (فإن الجملة من حيث هى جملة مبنية) بل أعرب فى نحو رجل عارفٌ ورجلا عارفًا ورجلٍ عارفٍ، وجعل "عارف" تابعًا لـ "عَرَفَ" فى حكم الإفراد إذا أسند إلى الاسم الظاهر، نحو زيد عارف أبوه، فكما أن الفعل "عَرَفَ" إذا أسند إلى الظاهر أفرد، كذلك اسم الفاعل "عارف" إذا أسند إلى الاسم الظاهر أفرد، مفردًا كان الاسم الظاهر أو مثنى أو مجموعًا، يعنى لا يكون "عارف" مع الاسم الظاهر أيض جملةً، بل فى حكم المفرد.

قد يكون تقديم المسند إليه كاللازم لتقوّى الحكم

ومن المسند إليه الذى يُرى تقديمه كاللازم لفظ "مثل، وغير" إذا استعملا على سبيل الكناية، فإن التقديم أعون على المراد بهما، كما فى قولك: مثلك لا يبخل "وغيرك لا يجود" يعنى أنت لا تبخل[١] وأنت تجود من غير إرادة تعريض لغير المخاطب بأن رجلا مثل المخاطب هو لا يبخل أو رجلا غير المخاطب هو لا يجود، بل المراد[٢] نفى البخل عن المخاطب وإثبات الجود له كنايةً، والسرّ فى ذلك أن تقديمهما يفيد تقوى الحكم، لأن الكناية أبلغ من التصريح، وقيل: "كاللازم" لأن مقتضى القياس أن يجوز تأخيرهما، ولكن لم يرد اللاستعمال إلا على تقديمهما، كما نصّ عليه الشيخ عبد القاهر فى "دلائل الإعجاز".

تقديم المسند إليه لإفادة العموم

وقبل ذكر أمثلة التقديم يجدر بنا أن نمهّد تعريف بعض القضايا تسهيلا على طالب البلاغة، ودارس "التلخيص".

١- عموم السلب: هو شموله لجميع الأفراد، نحو قولك: كل إنسان لم يقم، أى لم يقم فرد من أفراد الإنسان، فصار السلب عامّا وشاملا لجميع

---

(١) كما فى قول الشاعر (المتنبئ):

مثلك يثنى المزن عن صوبه ... ويسترد الدمع عن غر[...]

(٢) كما فى قول الشاعر (أبو الطيب المتنبئ):

لم أقل مثلك أعنى به ... سواك يا فردًا بلا مُشـ[...]

أفراد الموضوع (الإنسان)، فلازمه هو السلب الكلى.

٢- **وسلب العموم**: هو نفى الشمول عن جميع الأفراد، نحو قولك: لم يقم كل إنسان، أى نفى القيام ليس بشامل لجميع أفراد الإنسان، بل إنما يكون نفى القيام عن جملة الأفراد ومجموعها، لا عن كل فرد، فلازمه هو رفع الإيجاب الكلى.

٣- **والقضية المهملة**: هى التى كان الحكم فيها على أفراد موضوعها، ولكن لم يُبيّن كمية الأفراد نحو الإنسان فى خسر.

٤- **والقضية المعدولة**: هى التى جُعِل حرف السلب جزءً منها -جزءً من الموضوع، أو المحمول أو كليهما- نحو زيد لا جماد، واللا حى جماد.

٥- **والسالبة الجزئية**: هى التى كان الحكم فيها بسلب المحمول عن بعض أفراد الموضوع، نحو بعض الحيوان ليس بإنسان.

٦- **والسالبة الكلية**: هى التى كان الحكم فيها بسلب المحمول عن جميع أفراد الموضوع، نحو: لا شىء من الحجر بإنسان.

قيل[1]: وقد يقدّم المسند إليه الذى دخل عليه حرف السّور (كلّ) على (المسند المقرون بحرف النفى؛ لأنه دال على العموم)، كما تقول: كل إنسان لم يقم، فيقدّم المسند إليه ليفيد نفى القيام عن كل واحد من الناس.

بخلاف ما لو أخّر نحو: لم يقم كل إنسان، فإنه يفيد نفى الحكم عن جملة الأفراد، لا عن كل فرد.

دليل الأوّل: لأن الموجبة المعدولة المهملة (إنسان لم يقم) فى قوّة السالبة الجزئية (لم يقم بعض الإنسان) المستلزمة نفى الحكم عن جملة الأفراد، دون كل واحد منها، فإذا أدخِل على الموضوع (إنسان) لفظ "كل"

---

(١) القائل: هو الإمام الرازى. (فيض الفتاح ١: ٤٣٢)

وجب أن يكون لإفادة عموم السلب، لا لتأكيد نفى الحكم عن جملة الأفراد، لأن التأسيس (إفادة المعنى الجديد) خير من التأكيد، وإنما يكون ذلك أى التقديم مفيداً للعموم لئلا يلزم ترجيح التأكيد على التأسيس.

دليل الثانى: ولأنه لو لم يُقدّم، وقيل: لم يقم كل إنسان، كان نفيًا للقيام عن جملة الأفراد، دون كل واحد منها، لأن السالبة المهملة (لم يقم إنسان) فى قوّة السالبة الكلية (لا شىء من الإنسان بقائم) المقتضية سلب الحكم عن كل فرد لورود موضوعها (إنسان) فى سياق النفى (وهو لم يقم) فإذا أدخل على الموضوع لفظ "كلّ" وجب أن يكون لإفادة نفى الحكم عن جملة الأفراد، لا عن كل فرد، ليحمل "كلّ" على التأسيس دون التأكيد.

الجرح على القائل[(١)]

وفى كلامه نظر: ١- أمّا أوّلا: فلأن النفى عن جملة الأفراد فى الصورة الأولى، أعنى الموجبة المعدولة المهملة (إنسان لم يقم) والنفى عن كل فرد فى الصّورة الثانية، أعنى السّالبة المهملة (لم يقم إنسان) إنما أفاده الإسناد إلى إنسان، ولكن لمّا أضيف "كلّ" إلى إنسان وحُوّل الإسناد إليه، فأفاد فى الصورة الأولى نفى الحكم عن جملة الأفراد، وفى الثانية نفيه عن كل فرد منها، كان "كلّ" للتأسيس لا للتأكيد؛ لأن التأكيد لفظ يفيد تقوية ما أفاده لفظ آخر، وما نحن فيه ليس كذلك؛ لأن لفظ إنسان لم يبقَ مسنداً إليه، فلم يوجد فى الكلام تأكيد وتأسيس حتى يلزم ترجيح أحدهما على الآخر.

٢- وأمّا ثانيًا: فلأن الصورة الثانية (لم يقم إنسان) إذا كان مفيداً للنفى

---

(١) الإمام الرازى.

عن كل فرد كان مفيدًا للنفى عن جملة الأفراد لا محالة؛ لأن نفى العام يستلزم نفى الخاص، فيكون "كلّ" فى (لم يقم كلّ إنسان) إذا جعل مفيدًا للنفى عن جملة الأفراد تأكيدًا لا تأسيسًا؛ لأنه أفاد ما أفاده لفظ إنسان، ولو جعل لم يقم كل إنسان مفيدًا لعموم السلب، أى السلب عن كل فرد، مثل لم يقم إنسان لم يلزم ترجيح التأكيد على التأسيس إذ لا تأسيس أصلا، فلا يكون فى الكلام تأكيد وتأسيس حتى يلزم ترجيح أحدهما على الآخر.

٣- وأمّا ثالثًا: فلأن جعله قولنا: لم يقم إنسان سالبةً مهملةً فى قوة سالبةٍ كليةٍ -مع القول بعموم موضوعها لورودها نكرة فى سياق النفى- خطأ؛ لأن النكرة فى سياق النفى إذا كانت للعموم كانت القضية التى جُعلت تلك النكرة موضوعًا لها سالبة كلية (نحو لا إله إلا الله) فكيف تكون سالبةً مهملةً؟.

إفادة "كل"
نفى الشمول مرةً ونفى أصل الفعل أخرى

قال الشيخ عبد القاهر ما معناه: إن وقعت كلمة "كلّ" بعد أداة النفى، توجه النفى إلى الشمول خاصةً دون أصل الفعل، وأفاد الكلام ثبوته لبعضٍ أو تعلّقه به، كقول أبى الطيب المتنبىء:

ما كلّ ما يتمنّى المرء يدركه   تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن

وقول أبى العتاهية:

"ما كل ما رأى الفتى يدعو إلى رشد"

وقولنا: ما جاء القوم كلّهم، وما جاء كلّ القوم، ولم آخذ الدراهم

كلّها، ولم آخذ كلّ الدراهم، وقولك: كلّ الدراهم لم آخذ.

وإن قدمت كلّ على أداة النفى توجّه النفى إلى أصل الفعل ويشمل النفى جميع ما أضيف إليه "كلّ" كقول النبى ﷺ: «كل ذلك لم يكن» فى جواب ذى اليدين حينما قال: "أقُصِرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله!" أى لم يكن شىء من القصر والنسيان، وكقول أبى النجم:

قد أصبحت أمّ الخيار تدعى علىّ ذنبًا كلّه لم أصنع

ثم قال الشيخ: وعلّة ذلك أنك إذا بدأت بـ "كلّ" كُنت قد بنيتَ النفى عليه، وسلّطت الكلية على النفى، وأعملتها فيه، وإعمال معنى الكلية فى النفى يقتضى أن لا يشذّ شىء عن النفى، فأعرفه[1].

التمرين

١- بيّن الفرق بين قوله: "ما أنا قلت هذا" وبين قوله: "ما أنا قلت هذا ولا غيرى" لما ذا يصحّ الأوّل، ولا يصح الثانى.

٢- اذكر وجه عدم الصحة فيما يأتى: "ما أنا رأيت أحدًا من الناس" ما أنا ضربت إلا زيدًا.

٣- متى يؤكد المسند إليه فى "أنا سعيت فى حاجتك" بوحدى، ومتى يؤكد بلا غيرى؟

٤- اذكر مثالا لتقوية الحكم مع بيان الفرق بين الجمل الآتية: أنت لا تكذب، و لا تكذب، ولا تكذب أنت، ولما ذا يفيد الأولى تقوية الحكم لا الثانية ولا الثالثة.

---

(١) الإيضاح ص٧١.

٥- ما هو وجه التخصيص فى "رجل جاءنى"، وكيف هو؟

٦- اذكر صور التقديم وشرائطه عند السكاكى.

٧- ولما ذا جاز التخصيص بالتقديم فى "رجل جاءنى"، ولم يجز فى "شرّ أهرّ ذا ناب" مع أن الأئمة قد صرّحوا بتخصيص شرّ؟

٨- اكتب الجروح الثلاثة على كلام السكاكى.

٩- كيف يقرب "زيد عارف" من قوله: "هُو عَرَفَ" اشرح سبب تقوية الحكم فى كليهما؟

١٠- وضّح الفرق بين المثالين: "كل إنسان لم يقم" و "لم يقم كل إنسان" كيف يفيد الأول النفى عن كل فرد، والثانى يفيد النفى عن جملة الأفراد؟

١١- ما هو الفرق بين عموم السلب وسلم العموم؟

١٢- اذكر الردود الثلاثة على قول الإمام الرازى.

(١٢) تأخير المسند إليه

وأمّا تأخيره: فلاقتضاء المقام تقديم المسند، نحو قوله تعالى: ﴿إنّ إلينا إيابهم ثم إنّ علينا حسابهم﴾، وهذا (المذكور من أحوال المسند إليه الأثنى عشر) كلّه مقتضى ظاهر الحال، وقد يورد المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر، فمقتضى الحال على قسمين: مقتضى ظاهر الحال، ومقتضى باطن الحال، وقد يورد الكلام على وفق مقتضى باطن الحال.

(١) فمنه وضع المسند إليه المضمر موضع المظهر، كقولهم: "نعم رجلا زيد" و "بئس رجلا عمرو" وكان مقتضى الظاهر "نعم الرجل" و "بئس

الرجل" بإظهار الفاعل؛ لأن مرجع الضمير فى "نعم"، و"بئس" غير مذكور أصلا، بل فيه ضمير مبهم يفسّره رجلا، و"زيد" خبر لمبتدأ محذوف (أي هو زيد) فعلى هذا يكون فى الكلام جملتان: إنشائية وخبرية، وأمّا إذا جعل "زيد" مبتدأ مؤخراً، فلا يكون على خلاف مقتضى الظاهر، لتقدم زيد رتبةً وإرجاع الضمير إليه، وكقولهم: "هو زيد عالم" و"هى عمرو شجاع" مكان الشأن زيد عالم" و"القصة عمرو شجاع".

حكمة الإتيان بضمير الشأن أو القصّة

وإنما يؤتى بـ"هو" أو "هى" مكان الاسم الظاهر -الشأن أو القصة- ليتمكن ويرسخ فى ذهن السامع ما يأتى عقب الضمير من الجملة، فإن السامع متى لم يفهم من الضمير معنًى بقى منتظراً لآخر الكلام كيف يكون؟ فيتمكّن المسموع بعد الضمير فى ذهنه أفضل تمكّن.

وهذه هى الحكمة فى تقديم ضمير الشأن أو القصّة، كما فى قوله تعالى: ﴿قل هو الله أحد﴾، وقوله تعالى: ﴿إنه لا يفلح الكافرون﴾، وقوله تعالى: ﴿فإنها لا تعمى الأبصار﴾.

وقد يكون وضع المضمر موضع المظهر -فى غير المسند إليه- لاشتهار المضمر ووضوح أمره، كقوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه﴾ أى القرآن، وقد يكون لعظم شأنه (فى المسند إليه) حتى صار متعقل الأذهان ومعلوماً لها، نحو: "هو الحيّ الباقى".

(٢) ومن خلاف مقتضى الظاهر وضع المسند إليه المظهر موضع المضمر، ويكون هذا لما يأتى من الفوائد إذا كان المظهر اسم إشارة: ١- لكمال

العناية بتمييز المسند إليه لاختصاصه بحكم بديع، كقول ابن الراوندى:

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه ... وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذى ترك الأوهام حائرة ... وصيّر العالم النحرير زنديقًا

وكان مقتضى الظاهر أن يقول: هو الذى إلخ لأن كون العاقل محرومًا، والجاهل مرزوقًا شىء غير محسوس، ولكن عدل إلى اسم الإشارة لكمال العناية بتمييز المنسد إليه عند السّامعين.

٢- وللتهكم بالسّامع، كما إذا كان فاقد البصر، أو لم يكن ثمّ مشار إليه أصلا، ومع ذلك يأتى المتكلم باسم الإشارة.

٣- والتنبيه على كمال بلادة السامع، بأنه لا يدرك غير المحسوس.

٤- أو على كمال فطانته، بأن غير المحسوس عنده بمنزلة المحسوس.

ومن وضع اسم الإشارة موضع المضمر لادّعاء كمال الظهور فى غير المسند إليه قول ابن الدمينة:

تعاللتِ كى أشجى وما بكِ علّة ... تريدين قتلى قد ظفرتِ بذلكِ

وكان المناسب لمقتضى الظاهر أن يقول: قد ظفرتِ به؛ لأن القتل غير محسوس، ولكن أشار الشاعر إلى أن قتله كالمحسوس فى الظهور.

وإن كان المظهر الذى وضع موضع المضمر غير اسم الإشارة، فيكون ذكر المظهر لما يأتى.

١- لزيادة تمكّن المسند إليه فى ذهن السّامع، نحو قوله تعالى: ﴿قل هو الله أحد الله الصمد﴾، فإن مقتضى الظاهر هو الصمد، ولكن وضع لفظ الجلالة موضع الضمير ليتمكّن فى ذهن المخاطب أن الله تعالى هو الذى يصمدُ إليه ويُقصَد فى الحوائج، لا غيره.

ونظيره فى وضع المظهر (غير اسم الإشارة) موضع المضمر فى غير

المسند إليه قوله تعالى: ﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل﴾، وكان مقتضى الظاهر: "وبه نزل".

٢- أو لإدخال الروع والهيبة فى قلب السّامع، ٣- أو لتقوية داعى المأمور إلى الامتثال، ومثالهما قول الخلفاء: "أمير المؤمنين يأمرك بكذا" دون قولهم: "أنا آمرك" بضمير المتكلم؛ لتقوية الأمر الداعى إلى الامتثال، فإن لفظ "أنا" لا يكون فيه من الهيبة ما يكون فى لفظ "أمير المؤمنين".

وعلى وضع المظهر موضع المضمر لتقوية داعى المأمور -فى غير المسند إليه- قوله تعالى: ﴿فإذا عَزَمْتَ فتوكّل على الله﴾ دون علىّ؛ لأن فى لفظ "الله" من تقوية الداعى إلى التوكل عليه ما لا يكون فى ضمير المتكلم؛ لدلالته على جميع صفات الكمال.

٤- أو الاستعطاف، أى يوضع المظهر موضع المضمر للاستعطاف، وطلب الرحمة كقول الشاعر[١]:

إلهى عبدك العاصى أتاكا مقرّا بالذنوب وقد دعاكا

لم يقل الشاعر: أنا العاصى؛ لما فى لفظ عبدك من الخضوع، وإبراز الحاجة إلى الرحمة، وترقّب الشفقة.

مفهوم الالتفات عند السكاكى وعند الجمهور

الالتفات لغةً: هو مأخوذ من التفات الإنسان من يمينه إلى شماله، ومن شماله إلى يمينه.

واصطلاحًا عند السكاكى: هو نقل الكلام عن مقتضى الظاهر إلى

---

(١) هو إبراهيم بن أدهم. (فيض الفتاح ١ : ٤٥٧)

خلافه، أو عن أحد الطرق الثلاثة (التكلم والخطاب والغيبة) إلى آخر منها.

وعند الجمهور: هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر من تلك الطرق، ويكون ذلك الطريق على خلاف مقتضى الظاهر، وهذا هو معنى كلام المصنف: قال السكاكى: هذا (نقل الكلام من الحكاية إلى الغيبة) غير مختصّ بالمسند إليه، بل يقع فى غيره أيضًا، ولا بالحكاية والغيبة، بل كل من التكلم والخطاب والغيبة مطلقًا ينقل إلى الآخر، ويسمى هذا النقل عند علماء المعانى التفاتًا، كقول الشاعر:

بانت سُعاد فأمسى القلب معمودًا[1] وأخلفتك ابنة الحرّ المواعيدا

حيث عبّر أولا بالقلب الذى يدل على التكلم، ثم قال: أخلفتك ولم يقل: أخلفتنى، فعند السكاكى فى قول الشاعر: إلهى عبدك التفات؛ لأنه نقل عن "ياء" المتكلم فى "إلهى" إلى لفظ "عبدك" الغائب، وكذا فى قوله تعالى: ﴿فإذا عَزَمْتَ فتوكّل على الله﴾، فإن مقتضى الظاهر هو "علىّ" وأمّا عند الجمهور ففى الأول التفات دون الثانى، فكل التفات عند الجمهور فهو التفات عند السكاكى، وليس كل التفات عند السكاكى التفاتًا عند الجمهور، كما فى هذه الآية.

أمثلة الالتفات الستة

١- من التكلم إلى الخطاب: قوله الله: ﴿وما لى لا أعبد الذى فطرنى وإليه ترجعون﴾، وكان مقتضى الظاهر: "وإليه أرجع"

٢- ومن التكلم إلى الغيبة: قوله تعالى: ﴿إنّا أعطيناك الكوثر فصل

(١) محزونا.

لربك وانحر﴾، وكان مقتضى الظاهر "فصل لنا".

٣- ومن الخطاب إلى التكلم: قول علقمة بن عبدة:

طحا بكِ قلب فى الحسان طروب   بُعَيد الشباب عصر حان مشيب[1]

يُكلّفنى ليلى وقد شطّ وليُها   وعادت عوادٍ بيننا وخطوبُ

وكان الخطاب فى "طحا بك" إلى النفس، فكان مقتضى الظاهر يكلّفك بالخطاب، ولكن جاء بصنعة الالتفات.

٤- ومن الخطاب إلى الغيبة: قوله تعالى: ﴿حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم﴾ وكان مقتضى الظاهر "جرين بكم".

٥- ومن الغيبة إلى التكلم: قوله تعالى: ﴿والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابًا فسقناه﴾، وكان مقتضى الظاهر "فساقه الله".

٦- ومن الغيبة إلى الخطاب: قوله تعالى: ﴿مالك يوم الدين إيّاك نعبد وإيّاك نستعين﴾، وكان مقتضى الظاهر: "إيّاه نعبد" و "إيّاه نستعين".

وأمّا قول امرئ القيس:

تطاول ليلُكِ بالأثمد   ونام الخلىّ ولم ترقدِ

وبات وباتت له ليلة   كليلة ذى العائر الأرمدِ

وذلك من نبإ جاءنى   وخُبِّرتُه عن أبى الأسودِ

فقال الزمخشرى: فيه ثلاث التفاتات، وهذا على رأى السكاكى؛ لأن على تفسيره فى كل بيت التفاتة، وكان مقتضى الظاهر: تطاول ليلى، ولم أرقد، ومن نبإ جاءه بعد ما قال: وبات.

---

(١) أى ذهب بى قلبٌ طالب للحسان، ونشيط فى مراودتها فى نهاية الشباب وأول عصر الشيب، ويكلّفنى القلب بوصل ليلى، وقد بَعُدَ عنى قربها ووصلها، وعادت الموانع والخطوب (الحوادث) بينى وبينها.

حسن الالتفات عند البلغاء

ووجه حسنه على ما ذكره الزمخشرى، هو أن الكلام إذا نقل عن أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسنَ تطريةً لنشاط السّامع، وأكثر أيضًا للإصغاء إليه من إجراءه على أسلوب واحد.

المثال التطبيقى لحسن الالتفات: وقد تختصّ مواقعه بلطائف: كما فى سورة الفاتحة؛ فإن العبد إذا افتتح حمد مولاه الحقيقِ بالحمد عن قلب حاضر، ونفس ذاكرة لما هو فيه بقوله: ﴿الحمد لله﴾ الدال على اختصاصه بالحمد، وأنه حقيق به، وجد من نفسه لا محالة محرّكًا للإقبال عليه، فإذا انتقل على نحو الافتتاح إلى قوله: ﴿ربّ العالمين﴾ الدال على مالك للعالمين، لا يخرج منهم شىء عن ملكوته وربوبيته قوى ذلك المحرّك، ثم إذا انتقل إلى قوله: ﴿الرحمن الرحيم﴾ الدال على أنه منعم بأنواع النعم جلائلها ودقائقها، لضاعفت قوّة ذلك المحرّك، ثم إذا انتقل إلى خاتمة هذه الصفات العظام، وهى قوله: ﴿مالك يوم الدين﴾ الدال على أنه مالك للأمر كلّه يوم الجزاء تناهت قوّته، وأوجب الإقبال عليه، وخطابه بتخصيصه بغاية الخضوع والاستعانة فى المهمّات (كلّها).

وكما فى قوله تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول﴾ وكان مقتضى الظاهر: "واستغفرت لهم"، ولكن عدل عنه إلى طريق الالتفات تفخيمًا لشأن رسول الله ﷺ وتعظيمًا لاستغفاره، وتنبيهًا على أن شفاعة من صفته الرسول من الله بمكان لا يخفى.

٣- ومن خلاف مقتضى الظاهر ما سمّاه السكاكى بالأسلوب الحكيم، وهو تلقّى المخاطب بغير ما يترقب، بحمل كلامه على خلاف مراده، تنبيهًا

على أنه الأولى بالقصد، أو تلقّى السائل بغير ما يتطلب، بتنزيل سؤاله منزلة غيره، تنبيهًا على أنه الأولى بحاله، أو المهمّ له.

مثال الأول: كقول القبعثرى للحجاج -لمّا قال له متوعّدا بالقيد-: "لأحملنك[1] على الأدهم" "مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب" (على الفرس الذى غلب سواده على بياضه، وعلى الفرس الذى غلب بياضه على سواده).

فإن القبعثرى أبرز وعيد الحجاج فى معرض الوعد، وأراه بألطف وجه أن من كان على صفة الأمير فى السلطان وبسطة اليد (الكرم)، فجدير بأن يُعطى الناس لا أن يقيّد فتلقّاه بغير ما يترقب، ونبّهه على أن الحمل على الفرس الأدهم هو الأولى بأن يقصده الأمير.

ومثال الثانى: كقوله تعالى: ﴿يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج﴾، فإنهم قالوا: "ما بال القمر يبدو دقيقًا مثل الخيط، ثم يتزايد قليلا حتى يمتلئ ويستوى، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ"؟ فسألوا عن السبب، وأجيبوا بالغرض والفائدة؛ فإنه هو اللائق بالقصد والسؤال.

وكقوله تعالى: ﴿يسألونك ما ذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾، وقد سألوا أىّ مقدار أو أىّ نوع من المال ينفقون؟ فأجيبوا ببيان المصارف، تنبيهًا على أن المهمّ والأولى بالقصد هو السؤال عن المصارف.

٤- ومن خلاف مقتضى الظاهر التعبير عن المستقبل بلفظ الماضى تنبيهًا على تحقق وقوع مدلول الكلام.

نحو قوله تعالى: ﴿ويوم يُنفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن

---

(١) أى أحسنك

فى الأرض﴾ أى يفزع من فى السماوات ومن فى الأرض، ومثله التعبير عن المستقبل بلفظ اسم الفاعل.

نحو قوله تعالى: ﴿وإن الدين لواقع﴾ أى الجزاء سيقع لازمًا، وكذا التعبير عنه باسم المفعول، نحو قوله تعالى: ﴿ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود﴾ أى يوم يجمع فيه الناس، ويشهدونه، لأن كلا من اسم الفاعل واسم المفعول حقيقةٌ فى الحال، ومجاز فى الاستقبال، فيكون خلاف مقتضى الظاهر.

٥- ومن خلاف مقتضى الظاهر القلب، وهو أن يجعل أحد أجزاء الكلام مكان الآخر، والآخر مكان الأول.

مثاله: كقول العرب: "عرضت الناقة على الحوض" أى عرضت الحوض وأظهرتُه على الناقة لتشرب منه.

وأنكر القلب قوم -من البلغاء- مطلقًا، وقبله قوم مطلقًا، ومنهم السكاكى، والحق أنه إن تضمّن اعتبارًا لطيفًا قُبِل، وإلا رُدّ؛ لأنه عدول عن مقتضى الظاهر من غير نكتة جليلة.

١- مثال القلب الذى فيه اعتبار لطيف: نحو قول رؤبة بن العجاج:

ومهمه مغبّرة أرجاءه كأنّ أرضه سماءه

والمصراع الأخير فيه من باب القلب، فإن المعنى كأنّ لون سماءه لغبرتها لون أرضه، ولكن قلّبه الشاعر.

والاعتبار اللطيف هو المبالغة فى وصف لون السماء بالغبرة، حتى صار بحيث يُشبّه به لون الأرض، مع أن الأرض هى الأصل فى الغبرة.

٢- ومثال القلب الذى ليس فيه اعتبار لطيف، نحو قول عمير بن بشيم القطامى:

فلمـا أن جـرى سـمِن عليـهـا[١] كـمـا طيّنت بالفـدن السـيـاعـا
أمـرتُ بهـا الرجـال ليـأخـذوها ونحن نظنّ أن لن نُسـتطاعـا

والمعنى كما طيّنتَ الفَدَن بالسياع، ولكن قلّبه، فقال: "كما طيّنت بالفدن السياعا" والشاعر يصف الناقة فى سمنها ويُشبّهها بالفدن (القصر)، ولكن ليس فى هذا القلب اعتبار لطيف يُجمِلُ الكلام ويُحسّنه عند البلغاء.

---

(١) لفظ "أن" زائد و "جرى" معناه ظهر، و "السمن" ضد الهزال، و "الفدن" القصر و "السياع" الطين المخلوط بالتبن، وجواب "لمّا" قوله: أمرت.

التمرين

١- كيف يكون وضع المضمر موضع المظهر فى قوله : "نِعْمَ رجلا زيد" وما هو مقتضى الظاهر فى هذا الكلام؟

٢- ولو جعل "زيد" في هذا المثال مبتدأ مؤخرًا، فلما ذا لا يكون على خلاف مقتضى الظاهر؟

٣- ما هى فائدة الإتيان بضمير الشأن والقصّة؟

٤- اذكر فوائد وضع المظهر موضع المضمر إذا كان ذلك المظهر اسم الإشارة.

٥- كم فائدة لوضع المظهر موضع المضمر إذا كان المظهر غير اسم الإشارة؟

٦- اذكر مفهوم الالتفات لغةً واصطلاحًا.

٧- ما هو الفرق بين مذهب السكاكى، ومذهب الجمهور فى الالتفات؟

٨- لما ذا أُستُشهِد بقول الشاعر :

بانت سُعادُ فأمسى القلب معمودا وأخلفتك ابنة الحرّ المواعيدا

٩- اذكر من أمثلة الالتفات ثلاثة فقط.

١٠- اكتب مثالا تطبيقيًا لحسن الالتفات من القرآن المجيد.

١١- ما هو الأسلوب الحكيم؟ ولما ذا يكون على خلاف مقتضى الظاهر؟ مثّل له من القرآن الحكيم.

١٢- عرّف القلب، ومثّل له مع بيان ما هو المقبول منه؟

١٣- طبّق هذا الشعر بما استشهد له :

فلما أن جرى سمنٌ عليها كما طيّنتَ بالفَدَن السياعا

أحوال المسند

(١) ترك المسند وحذفه:

أمّا تركه فلما مرّ فى حذف المسند إليه: ١- من تخييل العدول إلى أقوى الدليلين، ٢- ومن اختبار تنبّه السامع عند قيام القرينة، أو مقدار تنبّهه، ٣- ومن الاختصار والاحتراز عن العبث بناءً على الظاهر.

١- مثال تركه للاختصار والاحتراز عن العبث مع ضيق المقام، كقول الشاعر:

فإنّى وقيّار بها لغريب(١)

فالمسند إلى "قيّار" محذوف لقصد الاختصار، والاحتراز عن العبث بناءً على الظاهر مع ضيق المقام بسبب التوجّع (أى فإنّى لغريب بالمدينة وقيّار -وهو اسم جمل الشاعر- أيضًا غريب بها).

٢- وقول الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأى مختلف

أى نحن بما عندنا راضون، فالمحذوف هنا خبر المعطوف عليه، وفى الشعر السابق المحذوف خبر المعطوف، وهذا هو وجه إيراد المثالين.

٣- مثال الحذف للاحتراز عن العبث من غير ضيق المقام، نحو قولك: "زيد منطلق وعمرو" أى وعمرو منطلق أيضًا.

٤- مثال الحذف للاحتراز عن الغبث ولمتابعة الاستعمال الوارد (من غير ضيق القام) نحو قولك: "خرجت فإذا زيد" أى حاضر، لأن "إذ المفاجأة"

(١) أوّله: ومن يكُ أمسى بالمدينة رحله

تدل على مطلق الوجود، وقد ينضمّ إليها قرينة تدل على خبر خاصّ كلفظ: "خرجت" في هذا المثال، فإنه قرينة على أن المراد فإذا زيد حاضر، أو واقف، أو بالباب.

٥- وقول الشاعر:

إن محلا وإن مُرتحلا   وإنّ في السّفر إذ مضوا مهلا

أي إن لنا حلولا في الدنيا، وإن لنا ارتحالا عنها إلى الآخرة، والمسافرون إلى الآخرة قد توغّلوا في سفرهم، حتى لا رجوع لهم إلى بلادهم (وهي دار الآخرة) كأنّ لهم مهلةً ومدة طويلة.

فالمسند المحذوف هو "لنا" فحذف لقصد الاختصار، والعدول إلى أقوى الدليلين (وهو العقل) ولضيق المقام (وهو المحافظة على الشعر، ولاتباع الاستعمال الوارد، مثل:

إنّ مالا وإن ولدًا

أي إن لي مالا وإن لي ولدًا.

٦- مثال حذف المسند إذا كان المسند إليه فاعلا (لا مبتدأ) قوله تعالى: ﴿قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربّي﴾ تقديره: لو تملكون تملكون مكرّرا لفائدة التأكيد، فأضمر (أي حُذِف من اللفظ) "تملكون" الأول إضمارًا على شريطة التفسير، وأبدل من الضمير المتصل -وهو الواو- الضمير المنفصل -وهو أنتم- لسقوط الفعل الذي اتصل به، فأنتم فاعل للفعل المحذوف ومسند إليه، والفعل المحذوف هو المسند، فالمسند المحذوف ههنا فعل، وفي السابق كان اسمًا.

٧- مثال حذف المسند مع احتمال حذف المسند إليه، نحو قوله تعالى: ﴿فصبر جميل﴾ أي فصبر جميلٌ أجمل، أو فأمري صبرٌ جميلٌ.

لزوم القرينة على حذف المسند

واعلم أن الحذف لا بد له من قرينة دالة عليه ليفهم المعنى، ١- كوقوع الكلام جوابًا عن سؤال محققٍ كقوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنّ الله﴾ أى خلقهن الله، والدليل على أن المحذوف هو الفعل لا الخبر، قوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنّ خلقهنّ العزيز العليم﴾.

٢- أو كوقوعه جوابًا عن سؤال مقدّر، نحو قول ضرار بن نهشل فى رثية أخيه يزيد بن نهشل:

ليُبك يزيد ضارعٌ لخصومة

أى يبيكيه ضارع، فكأنّ سائلا سأل: من يبكيه؟ فقيل: ضارع، فحذف الفعل المسند بقرينة السؤال المقدّر.

ترجيح المبنى للمفعول "ليُبكَ" على المبنى للفاعل "ليَبكِ"

وفضل هذا التركيب (المبنى للمفعول) على خلافه (المبنى للفاعل) من ثلاثة أوجه:

١- أن هذا التركيب (المبنى للمفعول) يفيد إسناد الفعل مرّتين: (١) إجمالا من غير ذكر الفاعل (٢) ثمّ تفصيلا مع ذكر الفاعل.

٢- أن "يزيد" فى هذا التركيب نائب الفاعل، وركن الجملة، لا فضلة.

٣- أن أوّل الكلام فيه غير مُطمع للسامع فى ذكر الفاعل؛ لأن نائب الفاعل موجود، فيكون السامع عند ذكر الفاعل كمن تيسّرت له غنيمة من حيث لا يحتسب، بخلاف خلافه (المبنى للفاعل) حيث لا يفيد تلك الفوائد.

(٢) فوائد ذكر المسند

وأمّا ذكره فإمّا لنحو ما مرّ فى باب المسند إليه:

١- من زيادة التقرير.

٢- أو التعريض بغباوة السامع.

٣- أو الاستلذاذ.

٤- أو التعظيم.

٥- أو الإهانة.

٦- أو بسط الكلام.

٧- وإمّا لتعيين كونه اسمًا، فيستفاد منه الثبوت.

٨- أو كونه فعلا، فيستفاد منه التجدد والحدوث.

٩- أو كونه ظرفًا، فيورث احتمال الثبوت -إن كان متعلّقه شبه الفعل- واحتمال التجدد -إن كان متعلّقه فعلا-.

(٣) فائدة إفراد المسند

وأما إيراد المسند مفردًا (غير جملة):

١- فلكونه غير سببىّ (أى غير مشتمل على الضمير الذى هو كالسبب

فى ربط المسند بالمسند إليه) مع عدم إفادة تقوّى الحكم، نحو زيد منطلق -إذا كان المسند خبرًا- وقام عمرو -إذا كان فعلا مسندا إلى الفاعل- فإنه ليس فيهما ضمير يفيد تقوّى الحكم، ومثال المسند السببى، نحو زيد أبوه منطلق، وهذا الخبر (المسند) جملة، ومثال المسند المفيد للتقوّى، نحو زيد قام، ففيه ضمير ويفيد تقوى الحكم.

(٤) فائدة كون المسند فعلا

وأما كونه فعلا:

١- فلتقييده بأحد الأزمنة الثلاثة -الماضى، والمستقبل، والحال- على أخصر ما يمكن مع إفادة التجدد؛ لأن الفعل دال بصيغته على أحد الأزمنة الثلاثة من غير الحاجة إلى قرينة.

تعريف الماضى: وهو الزمان الذى قبل زمانك الذى أنت ف

تعريف المستقبل: وهو الزمان الذى يترقّب وجوده بعد ه الزمان

تعريف الحال: وهو أجزاء من أواخر الماضى وأوائل المس بل

مثال إفادة الفعل التجدد: قول الشاعر[1]:

أوَ كلّما وردت عكاظ قبيلة ... بعثوا إلىّ عريفهم[2] يتوسّم

أى ينظر العريف إلى علامات وجهى ويتأمل فيها لحظة بعد ظة حتى يعرفنى بفراسته.

---

(١) النصر بن جؤبة.

(٢) عريّف القوم: رئيسهم والقائم بأمرهم، حتى يعرفه كل واحد من القوم، أو يعرف أمور القوم وأوضاعهم أكثر من سائر الناس.

(٥) فائدة كون المسند اسمًا

وأما كونه اسمًا : فلإفادة عدم التقييد بأحد الأزمنة الثلاثة و (عدم) التجدد، بل لإفادة الدوام والثبوت نحو قول الشاعر :

لا يأنف الدرهم المضروب صُرَّتنا　　لكن يمرّ عليها وهو منطلق

إذ معنى الكلام أن الانطلاق ثابت للدرهم مطلقًا، من غير اعتبار تجدده وحدوثه، فإن الاسم موضوع على أن يُثبت به شيء لشيء من غير اقتضاء أنه يتجدد ويحدث شيئًا فشيئًا.

(٦) فائدة تقييد الفعل المسند بمفعول مطلق وغيره

وأمّا تقييد الفعل (المسند) بمفعول مطلق ونحوه من المفاعيل، فلتربية الفائدة وتكثيرها، كقولك : "ضربت ضربًا شديدًا" وضربت زيدًا، وضربت يوم الجمعة، وضربتُ أمامك، وضربته تأديبًا، وضربت بالسوط، وجلست السارية، وجاء زيد راكبًا، وطاب زيد نفسًا، وما ضرب إلا زيد، وما ضربت إلا زيدًا.

و المسند المقيّد فى نحو "كان زيد قائمًا" هو قائمًا لا "كان" لأن المسند هو "قائمًا" وأمّا "كان" فهو رابط بين المسند "قائمًا" والمسند إليه وهو "زيد"

(٧) ترك تقييد المسند بأحد الأزمنة الثلاثة وبالمفعول ونحوه

وأمّا ترك تقييده فلمانع من تربية الفائدة، نحو خوف انقضاء المدة، أو إرادة أن لا يطلع الحاضرون على زمان الفعل، أو مكانه، أو مفعوله، أو عدم العلم بالمقيّدات.

(٨) تقييد الفعل المسند بالشرط

وأما تقييد الفعل المسند بالشرط فلاعتبارات وحالات تقتضى تقييد المسند بالشرط، ولا تُعرف تلك الاعتبارات إلا بعد معرفة تفصيل أدوات الشرط، وقد وقع الفراغ عن ذلك التفصيل فى علم النحو، ولكن لا بد ههنا من النظر فى ثلاث أدوات الشرط (إن، وإذا، ولو).

بحث "إن" و "إذا" و "لو"

١- فـ "إن" و "إذا" يشتركان فى أمر، وهو كونهما للشرط فى الاستقبال، ويفترقان فى شيء، وهو أن الأصل فى "إن" أن لا يكون الشرط فيها مقطوعًا (مجزومًا) بوقوعه، كما تقول لصاحبك: "إن تكرمنى أكرمك" وأنت لا تقطع بأنه يكرمك، والأصل فى "إذا" أن يكون الشرط فيها مقطوعًا بوقوعه، كما تقول: "إذا زالت الشمس آتيك".

٢- ولذلك كان موقع استعمال "إن" الحكم النادر؛ لأن النادر غير مقطوع به فى غالب الأمر، والغالب مع "إذا" لفظ الماضى؛ لكونه أقربَ إلى الجزم بالوقوع نظرًا إلى اللفظ (وإن كان مستقبلا نظرًا إلى المعنى).

مثالهما: قوله تعالى: ﴿فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيّروا بموسى ومن معه﴾ أتى فى جانب "الحسنة" بلفظ "إذا" لأن المراد بالحسنة الحسنة المطلقة التى حصولها مقطوع به، ولذلك ذكرت معرفةً بتعريف الجنس، وأتى فى جانب "السيّئة" بلفظ "إن" لأن السيئة نادرة بالنسبة إلى الحسنة المطلقة، ولذلك نكّرت.

مواضع استعمال "إن" للقطع بوقوع الشرط مجازًا

وقد تستعمل "إن" فى مقام القطع بوقوع الشرط لما يأتى:

١- للتجاهل؛ لاستدعاء المقام إيّاه، كما إذا سئل العبد عن سيّده، هل هو فى الدار؟ وهو يعلم أنه فيها، ومع ذلك يقول: "إن كان فى الدار أخبرك" فيتجاهل العبد خوفًا من السيّد.

٢- ولعدم جزم المخاطب بوقوع الشرط، فيجرى المتكلم الكلام على حسب اعتقاده، كقولك لمن يكذّبك فيما تَخبره: "إن صدقتُ فقل لى: ما ذا تفعل؟" وأنت تعلم أنك صادق.

٣- ولتنزيل المخاطب منزلة الجاهل؛ لعدم جريه على موجب علمه، كما تقول لمن يؤذى أباه: "إن كان أباك فلا تؤذه".

٤- وللتوبيخ على الشرط: وبيان أن المقام -لاشتماله على ما يقلع الشرط عن أصله- لا يصلح إلا لفرض الشرط، كما يُفرض المحال لغرض

من الأغراض.

نحو قوله تعالى: ﴿أفنضرب عنكم الذكر صفحًا إن كنتم قومًا مسرفين﴾ وهذا المثال فى قراءة من قرأ ﴿إن كنتم﴾ بكسر الهمزة، لقصد التوبيخ والتجهيل فى ارتكاب الإسراف، وبيان أن الإسراف من العاقل فى هذا المقام واجب انتفاءه، وحقيق أن لا يكون ثبوته له إلا على مجرد الفرض، فكونهم مسرفين أمر مقطوع به، لكن جىء بلفظ "إن" لأجل ما ذكر من قصد التوبيخ وغيره؛ لاشتمال المقام على الآيات الدالة على أن الإسراف مما لا ينبغى أن يصدر عن العاقل أصلا، فهو بمنزلة المحال.

وقد تستعمل "إن" فى المحال أيضًا، كما فى قوله تعالى: ﴿قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين﴾.

٥- ولتغليب غير المتصف بالشرط على المتصف به، كما إذا كان القيام قطعى الحصول لزيد، غير قطعى لعمرو، فتقول لهما: "إن قمتما كان كذا" فجعل عمرو غالبًا على زيد فى عدم الاتصاف بالقيام، وجىء بلفظ "إن".

كما جعل غير المرتابين غالبًا على المرتابين وجىء بلفظ "إن" فى قوله تعالى: ﴿وإن كنتم فى ريب مما نزّلنا على عبدنا﴾، فإنه كان فيهم من يعرف الحق، وإنما ينكر عنادًا، فجعل الجميع كأنه لا ارتياب لهم، واستعمل لفظ "إن" المفيد عدم القطع بالارتياب.

والتغليب باب واسع يجرى فى فنون كثيرة

الأمثلة: ١- قوله تعالى: ﴿وكانت من القانتين﴾ جُعِل الذكر غالبًا على الأنثى بأن أجرى الصفة المشتركة بينهما على طريقة إجراءها على الذكور

خاصةً، فإن القنوت مما يوصف به الذكور والإناث، ولكن لفظ ﴿قانتين﴾ إنما يجرى على الذكور فقط، فكأن الإناث فرد من الذكور.

٢- وقوله تعالى: ﴿لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودنّ فى ملّتنا﴾ أدخل شعيب -عليه السلام- فى ﴿لتعودنّ فى ملّتنا﴾ بحكم التغليب؛ إذ لم يكن شعيب فى ملّتهم أصلا.

٣- وقوله تعالى: ﴿بل أنتم قوم تجهلون﴾ بتاء الخطاب حيث غلّب جانب ﴿أنتم﴾ على جانب قوم.

٤- وقوله تعالى: ﴿فسجدوا إلا إبليس﴾ عدّ إبليس من الملائكة بحكم التغليب؛ لأن إبليس ليس منهم لقوله تعالى: ﴿كان من الجنّ﴾.

ومن باب التغليب أبوان ونحوه، كالقمران للشمس والقمر.

ولما كانت هاتان الكلمتان (إن وإذا) لتعليق مضمون الجزاء بالشرط فى الاستقبال امتنع أن يكون الشرط والجزاء فى كل واحدة منهما جملةً اسميةً أو فعلا ماضيًا، بل تكون الجملة الشرطية والجزائية فيهما فعلية استقبالية؛ لأن الشرط مفروض الحصول فى الاستقبال، فيمتنع ثبوته بالفعل، أو فى الماضى، والجزاء معلق وموقوف على الشرط، ولا يُخالف عن ذلك (كون الشرط والجزاء فيهما جملةً فعليةً استقباليةً) لفظًا إلا لنكتة، والتقييد بقولنا: "لفظًا" إشارةً إلى أن الجملتين، وإن كانت اسميةً أو فعلا ماضيًا، فالمعنى على الاستقبال.

أمثلة المخالفة لفظاً والمعنى على الاستقبال:

١- نحو إن أكرمتنى أكرمتك ٢- وإن أكرمتنى أكرمك ٣- وإن تكرمنى أكرمتك ٤- وإن أكرمتنى فأنت مكرم ٥- وإن أكرمتنى الآن فقد أكرمتك

أمسِ (أى إكرامى إيّاك قطعى كأنّى أكرمتك بالأمس)، ففى كلّها المعنى على الاستقبال مع المخالفة فى اللفظ.

والنكتة الموعودة مثل إبراز غير الحاصل فى صورة الحاصل لوجوه آتية:

١- إمّا لقوّة الأسباب المجتمعة لوقوع الشرط، نحو إن اشترينا كان كذا وكذا، حال انعقاد الأسباب للشراء.

٢- وإمّا لأجل أن ما هو قريب الوقوع كالواقع فى الماضى، كقولك: "إن متُّ كان كذا وكذا" لقوة الأسباب الموجبة للجزاء.

٣- وإمّا للتفاؤل نحو إن سابقتَ فى اللعب نجحتَ.

٤- وإمّا لإظهار الرّغبة فى وقوع الشرط، نحو إن ظفرتُ بحسن العاقبة فهو المرام، فإن الطالب إذا زادت رغبته فى حصول شىء يكثُرُ تصوره لذلك الشىء، فربما يقع فى خياله حاصلا، فيُعبِّر عنه بلفظ الماضى، وعليه قوله تعالى: ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصّنا﴾ كأنهنّ أردن التحصّن فى الزمان الماضى، فلم يقل: يُرِدْن؛ لإظهار الرغبة فى وقوع التحصّن منهنّ.

٥- وإمّا أن يكون إبراز غير الحاصل فى معرض الحاصل للتعريض -كما قاله السكاكى- نحو قوله تعالى: ﴿لئن أشركتَ ليَحبطنّ عملك ولتكوننّ من الخاسرين﴾ فالمخاطب هو النبى ﷺ وعدم إشراكه مقطوع به، لكن جىء بلفظ الماضى إبرازًا للإشراك غير الحاصل فى معرض الحاصل على سبيل الفرض والتقدير، تعريضًا لمن صدر عنه الإشراك بأنه قد حبطت أعماله، ومثله فى التعريض قوله تعالى: ﴿وَمَا لِىَ لا أعْبُدُ الَّذِىْ فَطَرَنِىْ وَإلَيْهِ تُرْجَعُوْنَ﴾ المراد: وما لكم لا تعبدون الذى فطركم؟ بدليل ﴿وإليه ترجعون﴾؛ إذ لولا التعريض لكان المناسب أن يقال: وإليه أرجع على ما هو الموافق للسياق.

فائدة التعريض

ووجه حسن هذا التعريض إبلاغ دعوة الحق إلى المخاطبين الذين هم أعداء داعى الحق على طريقة وأسلوب لا يورثهم مزيد غضب، وهو ترك نسبتهم إلى الباطل صراحةً، فيعينهم ذلك الأسلوب على قبول الحق؛ فإنه أدخل فى إخلاص النصح لهم، حيث لا يريد المتكلم الداعى لهم إلا ما يريد لنفسه.

ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿قل لا تُسألون عمّا أجرمنا ولا نسأل عمّا تعملون﴾، فإن حق الكلام من حيث الظاهر "لا تُسألون عمّا عمِلنا ولا نُسأل عمّا تُجرمون".

٣- وأمّا "لو" فهى للشرط -تعليق وجود مضمون الجزاء بوجود مضمون الشرط- فى الماضى مع القطع بانتفاء الشرط، فيلزم انتفاء الجزاء، كانتفاء الإكرام لأجل انتفاء المجىء فى قولك: "لو جئتنى لأكرمتك" مع القطع بانتفاء المجىء، فيلزم انتفاء الإكرام، فكلمة "لو" لامتناع الثانى (الجزاء) لأجل امتناع الأول (الشرط)، فالجزاء منتفٍ بسبب انتفاء الشرط، هذا هو مفهوم "لو" عند الجمهور.

ويلزم فى "لو" أمران:

(١) كون جملتيها (الشرط والجزاء) فعلتين (٢) وكون مدخولها فعلا ماضيًا؛ إذا الثبوت -وهو مدلول الجملة الاسمية- ينافى التعليق، والاستقبال ينافى الماضى، فلا يُعدل فى شرطها عن الفعل الماضى إلا لنكتة.

نكتة دخول "لو" على الفعل المضارع

فدخولها على الفعل المضارع: (١) إما لقصد استمرار الفعل فى الماضى وقتًا فوقتًا نحو قوله تعالى: ﴿لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتّم﴾، والفعل فى الآية هو الإطاعة، يعنى امتناع وقوعكم فى الهلاك بسبب امتناع استمرار النبى ﷺ على إطاعتكم؛ لأن المضارع يفيد الاستمرار، ودخول "لو" عليه يفيد امتناع الاستمرار، وقوله تعالى: ﴿الله يستهزئ بهم﴾ حيث لم يقل: "الله مستهزئ بهم" قصدًا إلى استمرار الاستهزاء وتجدده وقتًا فوقتًا (أى لا يزال يجزيكم الله كما لا تزالون تستهزئون).

(٢) وإمّا لتنزيل المضارع منزلة الماضى؛ لصدور المضارع عمّن لا خلاف فى إخباره، نحو قوله تعالى: ﴿ولو ترى إذ وُقفوا على النار﴾، فهذه الحالة إنما تكون فى القيامة الآتية فى المستقبل، لكنها جُعِلت بمنزلة الماضى المتحقق، فاستعمل فيها "لو" و "إذ" المختصّان بالماضى، لكن عدل عن لفظ "الماضى" فلم يقل: "لو رأيت" إشارةً إلى أنه كلام من لا خلاف فى إخباره، والمستقبل عنده بمنزلة الماضى فى تحقق الوقوع، ومثله قوله تعالى: ﴿ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربّهم﴾.

(٣) وإمّا لاستحضار صورة الواقعة فى ذهن المخاطبين، كما فى قوله تعالى: ﴿ربما يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾ وإذا كان ودادهم يوم القيامة، فاختيارهم "يودّ" على "ودّ" إنما يكون لاستحضار مودّتهم؛ لأن المضارع يدل على الحال الحاضر الذى من شأنه أن يشاهد، فاستحضر الله تعالى تلك الصورة بلفظ المضارع ليشاهدها السّامعون.

ويجوز أن يكون الغرض هذا الاستحضار أيضًا فى قوله تعالى: ﴿ولو

ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم﴾ وفى أمثاله، وكذلك من نوع الاستحضار قوله تعالى: ﴿والله الّذى أرسل الرياح فتثير سحابًا فسقناه إلى بلد ميّت﴾ حيث جيء بلفظ المضارع "فتثير" بعد قوله تعالى: ﴿أرسَلَ﴾ استحضاراً لتلك الصورة البديعة الدالّة على القدرة الباهرة من إثارة السحاب المسخّر بين السماء والأرض على كيفية عجيبة لا يقدر عليها غيره تعالى.

التمرين

١- ما هو محل الاستشهاد فى قول الشاعر:

فإنّى وقيّار بها لغريب

وفى قول الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت ... بما عندك راضٍ والرأى مختلف

٢- لما ذا استشهد بقوله تعالى: ﴿لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربّى﴾.

٣- بيّن المسند المحذوفَ فى قوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنّ الله﴾ ولما ذا لا يكون المحذوف خبرًا، وما الدليل عليه؟

٤- ما هو وجه ترجيح المبنى للمفعول على المبنى للفاعل فى قول الشاعر:

"ليُبكَ يزيدُ ضارع لخصومة" وما هو المسند المحذوف؟

٥- اذكر ستةً من فوائد ذكر المسند.

٦- ما هو المسند غير السببىّ مثّل له.

٧- ما هو محل الاستشهاد فى قول الشاعر؟

لا يأنف الدرهم المضروب صُرّتنا لكن يمرّ عليـها وهو منطلق

٨- ما هو المسند فى المثال الآتى، وما هو قيده؟

"كان زيد قائمًا"

٩- ما هو الفرق بين "إن" و "إذا" اذكر مثالاً يتضح منه كل واحد منهما.

١٠- اذكر مواضع استعمال "إن" للشرط المقطوع به مع أسبابه.

١١- اذكر مثال التعريض وفائدته.

١٢- بيّن مفهوم "لو" عند الجمهور ثم لازمه.

١٣- ما هى نكتة دخول "لو" على الفعل المضارع؟ وبيّن مثاله.

(٩) تنكير المسند وفوائده

وأمّا تنكيره: ١- فإمّا لإرادة عدم الحصر (حصر المسند فى المسند إليه) وعدم الإشارة إلى معهود، كقولك: زيد كاتب، وعمرو شاعر.

٢- وإمّا للتنبيه على ارتفاع شأنه، نحو قوله تعالى: ﴿هدًى للمتقين﴾ على أنه خبر مبتدأ محذوف أو خبر ﴿ذلك الكتاب﴾.

٣- أو انحطاط شأنه، نحو هو سارق، وما زيد شيئًا.

(١٠) تخصيص المسند

وأما تخصيصه بالإضافة -نحو هذا كلام عمر الفاروق، أو بالوصف نحو زيد رجل عالم- فلكون الفائدة أتمّ وأكمل؛ لأن زيادة الخصوص توجب

أتّمية الفائدة، وأمّا ترك تخصيصه فظاهر مما سبق فى ترك تقييد المسند إليه من عدم تربية الفائدة.

(١١) تعريف المسند وفائدته

أمّا تعريفه فلإفادة السّامع: ١- إمّا حكمًا على أمر معلوم للسّامع (وهو المسند اليه) بطريق من طرق التعريف الستة (المذكورة فى تعريف المسند إليه) بأمر آخر (هو المسند) مثله (مثل الأمر المعلوم الأول) فى كونه معلومًا للسّامع بأحد من تلك الطرق.

٢- وإمّا إفادة لازم حكم (لازم فائدة الخبر) بين الأمرين المعلومين كذلك، فإذا كان للشيء صفتان من صفات التعريف، ويعرف السّامع اتصافه بإحداهما دون الأخرى، فيجعله المتكلم باعتبار الأولى مبتدأ، وباعتبار الثانية خبرًا كما فى المثالين الآتيين:

نحو زيد أخوك، وزيد المنطلق، معرّفا بلام العهد أو لام الجنس وعكسهما (أخوك زيد، والمنطلق زيد) ففى الأول تعريف المسند بالإضافة، وفى الثانى باللام.

واعلم أنه إذا كان السّامع يعرف شخص زيد واسمه (زيد) ولا يعرف أنه أخوه، فيقال له: "زيد أخوك" وكذا إذا كان يعرف زيدًا (شخصه واسمه)، ولكن لا يعرف هل هو منطلق أم لا؟ فيقال له: "زيد المنطلق".

وأمّا إذا كان يعرف أنه له أخًا، ولكن لا يعرف شخصه واسمه ويعرف زيدًا، فيقال له: "أخوك زيد" وكذلك كان يعرف أن شخصًا مّا متصف بوصف الانطلاق، ولا يعرف من هو؟ ويعرف زيدًا، فيقال له: "المنطلق

زيد" ، وهذا هو الفرق بين المثالين تقديمًا وتأخيرًا.

الإشكال وجوابه

فإن قيل : "زيد" فى المثال المذكور دالّ على الذات ، فهو متعيّن لكونه مبتدأ سواء تقدّم أو تأخّر ، و "المنطلق" أمر نسبىّ ووصف ، فهو متعيّن للخبرية تقدم أو تأخر ، فكيف جعل "المنطلق" مبتدأ فى قوله : "والمنطلق زيد"؟

نقول فى الجواب : "المنطلق" لا يجعل مبتدأ إلا بعد اعتباره الشخص الذى له الانطلاق ، وإنه بهذا المعنى لا يجب أن يكون خبرًا ، و "زيد" لا يجعل خبرًا إلا بعد اعتباره صاحب اسم (زيد) ومسمّى بزيد ، وإنه بهذا المعنى لا يجب أن يكون مبتدأ.

أنواع تعريف الجنس فى المسند

وتعريف المسند بلام الجنس : (١) قد لا يفيد قصر المعرّف على المسند إليه كما فى قول الخنساء[١] :

إذا قبُحَ البكاء على قتيل   رأيتُ بكاءك الحسن الجميلا

(المفعول الأول "بكاءك" مسند إليه ، والمفعول الثانى "الحسن الجميلا" مسند معرّف بلام الجنس).

(٢) وقد يفيد قصر المسند المعرّف على المسند إليه ، إمّا تحقيقًا كقولك :

---

(١) تماضر بنت عمرو.

"زيد الأمير" إذا لم يكن أمير سواه.

وإما مبالغةً لكمال معناه فى المسند إليه، كقولك: "عمرو الشجاع" أى الكامل فى الشجاعة، فتخرج الكلام فى صورة توهم أن الشجاعة لم توجد إلا فيه؛ لعدم الاعتداد بشجاعة غيره؛ لقصورها عن رتبة الكمال.

(٣) ثم المعرّف بلام الجنس المقصور على المسند إليه، قد يكون على إطلاقه كما فى المثالين السّابقين (زيد الأمير وعمرو الشجاع).

وقد يقيّد بوصف، أو حال، أو ظرف، أو نحو ذلك، كما تقول: "هو الرجل الكريم، وهو السّائر راكبًا، وهو الأمير فى البلد، وهو الواهب ألف قنطار، وجميع ذلك معلوم بالاستقراء، وتصفّح تراكيب البلغاء.

(٢ ١) إيراد المسند جملةً وفائدته

وأمّا كونه جملةً: ١- فإمّا لإرادة تقوّى الحكم بنفس التركيب، كما مر فى نحو زيد قام.

٢- وإمّا لكونه سببًا (مشتملا على الضمير العائد إلى المسند إليه) نحو زيد أبوه قائم، فإن هذه الجملة مشتملة على الضمير العائد إلى المسند إليه، وليس ذلك الضمير نفسه مسندًا إليه، بخلاف الضمير فى "زيد قام" فإنه عائد إلى المبتدأ ومسند إليه لقام وفاعل له.

٣- وقد يكون المسند جملة فعلية لإفادة التجدد، والدلالة على أحد الأزمنة الثلاثة على أخصر وجه، فإن من شأن الفعلية أن تدل على التجدد.

٤- وقد يكون جملة اسمية لإفادة الدوام والثبوت، ومن شأن الاسمية أن تدل على الثبوت.

مثال كون الجملة الفعلية للتجدد (فى غير المسند) قوله تعالى : ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا﴾ ، و مثال كون الجملة الاسمية للثبوت (فى غير المسند) قوله تعالى : ﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم﴾ ، وقوله تعالى : ﴿قالوا سلامًا قال سلام﴾ إذ أصل الأول نسلّم عليك سلامًا ، وتقدير الثانى سلام عليكم.

٥- وقد يكون جملةً شرطيةً للاعتبارات المختلفة الحاصلة من أدوات الشرط (إن ، ولو ، وإذا) ، كما مرّت فى بحث أدوات الشرط .

٦- وقد يكون جملة ظرفية لاختصار الفعلية ؛ إذ الظرفية مقدّرة بالفعل على الأصح ؛ لأن الفعل هو الأصل فى العمل.

(١٣) تأخير المسند ووجهه

وأمّا تأخيره فلأن ذكر المسند إليه وتقديمه أهمّ كما مر فى بحث تقديم المسند إليه.

(١٤) تقديم المسند وحكمته

وأمّا تقديمه فإمّا لتخصيصه بالمسند إليه ، أى لقصر المسند إليه على المسند ، كقوله تعالى : ﴿لكم دينكم ولى دين﴾ وقولك : "قائم هو" لمن يقول : "زيد إمّا قائم أو قاعد" وقولهم : "تميمىٌّ أنا" أى أنا تميمىٌّ لا قيسى ، ففيها قصر المسند إليه على المسند ، ونحو قوله تعالى : ﴿لا فيها غول ولا هم يُنزفون﴾ أى بخلاف خمور الدنيا فإنها تغتال العقول وتسلبها ، ولأجل أن

تقديم المسند (الظرف) يفيد التخصيص لم يُقدّم الظرف فى قوله تعالى : ﴿لا ريبَ فيه﴾ لئلا يفيد التخصيص المفهوم من التقديم ثبوت الريب فى سائر كتب الله تعالى .

٢- أو يكون التقديم للتنبيه من أوّل الأمر على أن المقدم مسند وخبر لا نعت ؛ إذ النعت لا يتقدم على المنعوت ، بخلاف المسند ؛ فإنه يتقدم على المسند إليه كقوله تعالى : ﴿ولكم فى الأرض مستقرٌّ ومتاع إلى حين﴾ وقول حسّان بن ثابت رضى الله عنه فى مدح النبى ﷺ :

لـه هِمَـمٌ لا منتهى لـكبـارها وهمّته الصغرى أجلّ من الدهر

٣- أو للتفاؤل : نحو قول الشاعر :

سَعِدت بغُرّة وجـــهك الأيام وتزيّنت ببـقـــاءك الأعـــوام

(هذا مثال لتقديم الفعل المسند وهو "سعدت" ، فإنه لو قال : الأيام سعدت لم يفد التفاؤل) .

٤- أو للتشويق إلى ذكر المسند إليه ، كقول الشاعر :

ثلاثة تُشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر

فإن "ثلاثة" مع صفتها تشرق المسند المقدّم ، وقوله : "شمس الضحى" إلى آخره المسند إليه المتأخر (أى هذه الثلاث تُزيّن الدنيا بسبب حسنها وجمالها فأبو إسحاق -وهو المعتصم بالله- لا يكون أقلّ من الشمس والقمر) .

تنبيه وإيقاظ: واعلم أن كثيرًا مما ذكر فى هذا الباب ، وفى باب أحوال المسند إليه من الأحوال (كالذكر والحذف ، والتعريف والتنكير ، والتقديم والتأخير ، والإطلاق والتقييد وغيرها) غير مختص بالمسند والمسند إليه ، بل يوجد فى متعلقات الفعل أيضًا ، والفَطِن إذا أتقن اعتبار تلك الأحوال فيهما

لا يخفى عليه اعتبارها فى غيرهما.

التمرين

١- ما هى فائدة تنكير المسند وفائدة تخصيصه؟

٢- ما هو الفرق بين هذين المثالين: زيدن المنطلق، المنطلق زيد وكذا بين قوله: "زيد أخوك"، وقوله: "أخوك زيد"؟

٣- ما هو الإشكال الوارد على قوله: "المنطلق زيد"، وما هو جوابه؟

٤- اذكر أنواع التعريف فى المسند المعرّف بلام الجنس، كم هى؟

٥- وضّح الفرق بين القصر المفهوم من قوله: "زيد الأمير"، والقصر المفهوم من قوله: "عمرو الشجاع".

٦- بيّن فائدة إيراد المسند جملة (اسمية، أو فعلية، أو شرطية).

٧- لما ذا استُشهِد بقوله تعالى: ﴿لا فيها غول﴾؟

٨- ما هو محل الاستشهاد فى قول الشاعر:

له هِمَمٌ لا منتهى لكبارها　　　وهمّته الصغرى أجلّ من الدهر

٩- ولما ذا مثّل بقول الشاعر:

سَعِدت بغُرّة وجهك الأيام　　　وتزيّنت ببقاءك الأعوام

١٠- عيّن المسند والمسند إليه فى قول الشاعر:

ثلاثة تُشرق الدنيا ببهجتها　　　شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر

أحوال متعلقات الفعل

(مقدمة)

١- والمراد بـ "متعلقات الفعل" المفاعيل الخمسة، والحال، والتمييز، والمستثنى، والظرف، والجار والمجرور وغيرها.

٢- والمراد بـ "أحوالها" ما مرّ فى البابين السّابقين من أحوال المسند إليه وأحوال المسند، ولكن المبحوث عنه فى هذا الباب بعض تلك الأحوال، كحذف المفعول، وتقديمه على الفعل، وتقديم المعمولات بعضها على بعض، وغيره مما له حاجة شديدة إلى البحث عنه على حدةٍ، وخصوصية مع الفعل وشبهه.

وأمّا الأحوال المشتركة (من الذكر، والتعريف، التنكير، والعطف، والتأكيد، والإبدال) فلا حاجة إلى إعادتها.

٣- واعلم أن حال الفعل (المتعدى) مع المفعول كحاله مع الفاعل (فى أنه لا تتم الفائدة إلا به) فكما أنك إذا أسندت الفعل إلى الفاعل كان غرضك أن تفيد وقوعه (صدوره) منه، لا أن تفيد وجود الفعل فى نفسه فقط، كذلك إذا عدّيته إلى المفعول، كان غرضك أن تفيد وقوعه عليه، لا أن تفيد وجود الفعل فى نفسه فقط، فقد اجتمع الفاعل والمفعول فى أن عمل الفعل فيهما إنما كان ليُعلمَ تعلّقه بهما، فعمِلَ الرفع فى الفاعل ليُعلم تعلّقه به من جهة صدوره عنه، وعمِلَ النصب فى المفعول ليُعلَم تعلّقه به من جهة وقوعه عليه.

٤- أمّا إذا أريد الإخبار بوجود الفعل فى نفسه من غير إرادة أن يُعلمَ

ممن صدر، أو على من وقع؟ فالعبارة المناسبة له أن يقال : كان ضرب، أو وقع ضرب، أو وجد، أو نحو ذلك من ألفاظ تفيد وجود الفعل فى نفسه.

٥- فإذا أسند الفعل المتعدى إلى فاعله، ولم يذكر له مفعول، وكان الغرض منه إثباته لفاعله، أو نفيه عنه مطلقًا (من غير اعتبار عموم فى الفعل، أو خصوص فيه، ومن غير اعتبار تعلّقه بمن وقع عليه) نُزّل ذلك الفعل منزلة اللازم، فلا يُذكر له مفعول؛ لئلا يتوهم السّامع أن الغرض الإخبار به باعتبار تعلّقه بالمفعول، ولا يقدّر له مفعول أيضًا؛ لأن المقدّر فى حكم المذكور.

٦- أقسام الفعل المنزّل بمنزلة اللازم : وهذا الفعل على ضربين : الأول : أن يجعل الفعل مطلقًا -من غير اعتبار العموم والخصوص- كنايةً عن ذلك الفعل حال كونه متعلقّا بمفعول مخصوص دلت القرينة على ذلك المفعول.

والثانى : أن لا يجعل كناية عنه (عن الفعل المتعلق بمفعول مخصوص دلت القرينة عليه)، مثال الأول : كقول البحترى يمدح المعتزّ بالله ويعرّض بالمستعين بالله :

شجو حسّاده وغيظ عداه   أن يرى مبصر ويسمع واعٍ

فالمعنى المراد أن رؤية آثاره ومحاسنه وسماع أخباره الدالة على كماله سبب لحزن حسّاده وغيظ أعدائه، ولكن الشاعر أغفل عن ذكر المفعولين (آثاره وأخباره) ليمكن له أن يبيّن أن محاسن الممدوح قد ذاع صيتها واشتهر أمرها، حتى صارت ظاهرة لكل ذى بصر وذى سمع فلم تبقَ الحاجة إلى ذكرها.

وقد نزّل "يرى" و"يسمع" منزلة اللازم، أى يصدر من الفاعل الرؤية والسماع من غير أن يتعلّقا بمفعول مخصوص، ثم جعلهما كنايتين عن الرؤية

والسماع المتعلقين بمفعول مخصوص وهو محاسن الممدوح وأخباره الظاهرة.

كأن الشاعر يقول: إنما محاسن الممدوح وآثاره لم تخف على من له بصر وسمع؛ لكثرتها واشتهارها، ولكن حسّاده وأعداءه يتمنّون أن لا يكون فى الدنيا من له عين يبصر بها، ومن له أذن يسمع بها، كى يخفى استحقاقه للإمامة، فيجدوا بذلك سبيلا إلى منازعته فى الإمامة.

ومثال الثانى: كقوله تعالى: ﴿قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ أى لا يستوى الذين يوجد منهم العلم (بأىّ شىء كان) والذين لا يوجد منهم العلم.

فلم يُجعل العلم هنا كناية عن علم متعلق بشىء مخصوص تدل القرينة عليه (كما جُعِل الرؤية والسمع فى المثال الأوّل كنايةً عن السمع والرؤية الخاصّين المتعلقين بمحاسن الممدوح وأخباره الظاهرة).

وذكر السكاكى فى "بحث حذف المفعول" أن الحذف قد يكون للقصد إلى نفس الفعل بتنزيل المتعدى منزلة اللازم، نحو فلان يعطى ويمنع، أى يصدر ويُوجد منه الإعطاء والمنع من غير رعاية فرد دون فرد فى الوقوع على المفعول، بل المطلوب إسناد نفس الإعطاء والمنع إلى الفلان، ولذلك جعلوهما للمبالغة.

ثم قال السكاكى: إذا كان المقام خطابيًا (يكتفى فيه بمجرد الظن) لا استدلاليًا (يطلب فيه اليقين البرهانى) أفاد الفعل الذى حُذِف مفعوله العموم فى أفراد الفعل، لأن القصد إلى فرد دون فرد آخر، مع وجود حقيقة الفعل فيهما تحكّم وترجيح أحد المتساويين على الآخر.

أسرار حذف المفعول

وأمّا إذا كان الغرض (مع عدم ذكر المفعول) إفادة تعلّقه بمفعول خاص غير مذكور وجب تقدير ذلك المفعول بحسب القرائن الدالة عليه، ووجب حذفه من اللفظ لما يأتى:

١- إمّا للبيان بعد الإبهام، كما فى فعل المشيئة، إذا لم يكن فى تعلّقه بمفعوله غرابة، كقولك: "لو شئتُ جئت أو لم أجئ" أى لو شئت المجئ أو عدم المجئ، فإنك متى قلتَ: "لو شئتُ" علم السّامع أنك علقت المشيئة بشىء، فيقع فى نفسه أن ههنا شيئًا تعلّقت به مشيئتك، بأن يكون ذلك الشىء أو لا يكون، فإذا قلتَ: "جئتُ" أو "لم أجئ" عُرِف ذلك الشىء، فيكون لفظ "جئت" قرينة على المفعول المحذوف.

ومنه قوله تعالى: ﴿فلو شاء لهداكم أجمعين﴾ وقوله تعالى: ﴿من يشإ الله يضلله﴾ فإن الجزاء -هو لفظ ﴿لهداكم﴾ ولفظ ﴿يضلله﴾- قرينة على أن ما يتعلق به المشيئة هو "الهداية" و "الضلالة" فإن تعلّق المشيئة بهما لا يكون غريبًا.

وأما إذا كان فى تعلّق الفعل بالمفعول غرابةً (وقلة الاستعمال) فذكرت المفعول لتثبته فى ذهن السّامع وتؤنسه بذكره، كما يريد الرجل أن يخبر عن عزّه ويقول: "لو شئتُ أن أردّ على الأمير لرددت، وإن شئتُ أن ألقى الخليفة كل يوم لقيتُه" فإن تعلّق المشيئة بالرد على الأمير، وبلقاء الخليفة كل يوم غريب لا يتبادر إلى ذهن السّامع، فذكَرَه ولم يُقَدِّرْهُ.

ومنه قول الشاعر:

ولو شئتُ أن أبكى دمًا لبكيته ... عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

فإن تعلّق المشيئة ببكاء الدم غريب، فذكر المفعول وهو "أن أبكى دمًا"،
وأمّا قول الشاعر:

فلم يبقَ منّى الشوق غير تفكّرى　　فلو شئتُ أن أبكى بكيتُ تفكّرًا

فليس منه (من قسم ترك الحذف لأجل غرابة تعلّق المشيئة بالبكاء)؛ لأنه لم يرد أن يقول: فلو شئتُ أن أبكى تفكرًا لبكيتُ تفكرًا، ولكنه أراد أن يقول: أفنانى النحول (الهزال)، فلم يبقَ منّى وفىّ غير خواطر تجول فى قلبى، حتى لو شئتُ البكاء فمسحت جفونى وعصرت عينى ليسيل منها دمع لم أجده، بل خرج منها بدل الدمع التفكر، فالمراد بالبكاء فى الأوّل (فى الشرط) البكاء الحقيقى (وهو خروج الدمع)، وفى الثانى (الجزاء) غير الحقيقى (وهو خروج التفكر)، فالبكاء الثانى لا يصحّ أن يكون تفسيرًا للأول.

والحاصل أنه ذكر مفعول المشيئة (أن أبكى) لأجل عدم إمكان كون البكاء الثانى تفسيرًا بعد الإبهام؛ لأن الثانى غير الأوّل.

٢- وإمّا للدفع توهّم السامع فى أوّل الأمر إرادة شىء غير المراد، كقول البحترى:

وكم ذدتَ عنّى من تحامل حادث　　وسورة أيام حززن إلى العظم

(أى كم من ظلم حادث دفعتَه عنى، وكم من شدّة الأيام التى قطعن اللحم ووصلن إلى العظم دفعتها عنّى).

إذ لو قال: "حززن اللحم" (أى لو ذكر المفعول) لجاز أن يتوهم السّامع قبل ذكر ما بعده وهو "إلى العظم" أن الحزّ (القطع) كان فى بعض اللحم، ولم ينتهِ إلى العظم، فترك الشاعر ذكر اللحم ليبرئ السّامع من هذا الوهم، ويلقى فى ذهنه من أوّل الأمر أن الحزّ مضى فى اللحم حتى لم يردّه إلا

العظم.

٣- وإمّا لأنه أريد ذكر المفعول ثانيًا على وجه يتضمن إيقاع الفعل على صريح لفظه، إظهارًا لكمال العناية بوقوع الفعل عليه، كقول البحترى:

قد طلبنا فلم نجد لك فى السّؤ دد والمجد والمكارم مثلا

أى قد طلبنا لك مثلا، فحذف المفعول (لك مثلا) من اللفظ، إذ لو ذكر المفعول فى اللفظ لكان المناسب "فلم نجده" بالضمير الراجع إلى المثل، وفيه تفويت للغرض، وهو أن يوقع نفى الوجود على صريح لفظ "المثل" لكمال العناية بعدم وجدان المثل.

ولهذا المعنى بعينه عكس ذو الرمة (حيث ذكر المفعول فى الفعل الأول) فى قوله:

ولم أمدح لأرضيه بشعرى لئيمًا أن يكون أصاب مالا

فإنه أعمل الفعل الأول "أمدح" فى صريح لفظ "لئيمًا" وأعمل الفعل الثانى "أرضيه" فى ضميره؛ إذ كان غرض الشاعر إيقاع نفى المدح على اللئيم صريحًا لكمال العناية به دون الإرضاء.

٤- وإمّا لقصد تعميم المفعول (لئلا يتوهم السامع قصر الفعل بالمفعول الذى ذكر مع الفعل) مع الاختصار، كما تقول: "قد كان (صدر) منك ما يؤلم" يعنى كلَّ أحد وكلَّ إنسان، ولم يذكر المفعول بصيغة العموم؛ لأنه يفوت الاختصار. وعليه (الحذف لأجل التعميم) ورد قوله تعالى: ﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾ أى يدعو كل أحد.

٥- وإمّا للرعاية على الفاصلة، كما فى قوله تعالى: ﴿والضحى والليل إذا سجى ما ودّعك ربّك وما قلى﴾ أى وما قلاك وأبغضك.

٦- وإمّا لاستهجان ذكر المفعول، كما فى قول عائشة رضى الله عنها:

"ما رأيت منه ﷺ ولا رأى منى" تعنى عائشة رض العورة، أى ما رأيت عورة النبى ﷺ وما رأى عورتى.

٧- وأمّا لمجرد الاختصار، نحو قولك: "أصغيتُ إليه" أى أذنى، و "أغضيت عليه" أى بصرى، ومنه قوله تعالى: ﴿ربّ أرِنى (أى ذاتك) أنظر إليك﴾، وقوله تعالى: ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾ أى أنه لا ندّ له.

تقديم بعض متعلقات الفعل عليه

وأمّا تقديم المفعول ونحوه (من الأمور المذكورة) على الفعل:

١- فلردّ الخطأ فى التعيين، كقولك: "زيدا عرفتُ" لمن اعتقد أنك عرفتَ إنسانا وأنه غير زيد، فإنه مُصيب فى اعتقاد وقوع عرفانك على إنسان، ومخطئ فى تعيين أنه غير زيد، وتقول فى تأكيده: هذا الرد "لا غيره" أى زيدا عرفت لا غيره، ويقال لهذا الرد: قصر القلب، كما سيأتى فى باب القصر.

٢- أو لردّ الخطأ فى الاشترك، كقولك: "زيداً عرفتُ لمن اعتقد أنك عرفت زيداً وعمروا"، وتقول فى تأكيده: "زيدا وحده عرفت"، ويقال لهذا الرد: قصر الإفراد، وسيأتى.

١- ولا يصحّ التقديم فى قولك: "ما زيداً ضربت ولا أحداً من الناس" لتناقض الأوّل المفيد وقوع الضرب على أحد غير زيد، والثانى المفيد عدم وقوعه على أحد من الناس؛ لأن قوله: "ولا أحدا من الناس" صريح فى نفى الضرب عن غير زيد أيضاً.

٢- وكذلك لا يصح التقديم فى قولك: "ما زيداً ضربت ولكن أكرمته"

لأن الكلام ليس لردّ الخطأ فى الفعل بأن الصواب هو الإكرام دون الضرب، بل الكلام لبيان الخطأ فى المضروب بأنه ليس بزيد، ولكن هو عمرو، فتقديم "زيدًا" يدل على أن الخطأ فى تعيين الفعل مع أن الخطأ فى تعيين المفعول، وهذا لا يوجب التقديم.

الاحتمالان فى قوله: "زيدًا عرفته"

١- وأما نحو قولك: "زيدا عرفته" فإن قُدّر المفسّر المحذوف قبل المنصوب (عرفت زيدًا عرفته) فهو من باب التوكيد، وهو تكرير لفظ "عرفت" وإن قُدّر بعد المنصوب "زيدًا عرفتُ" أفاد التقديم التخصيص.

٢- وأمّا نحو قوله تعالى: ﴿وأمّا ثمودَ فهديناهم﴾ (بقراءة النصب) فلا يفيد إلا التخصيص؛ لامتناع تقدير الفعل مقدمًا ﴿أمّا فهدينا ثمودَ﴾ للزوم وجود الفاصل بين "أمّا" و "جوابه" (وهو هنا لفظ "ثمود") فيكون تقديره: وأما ثمودَ فهديناهم فهديناهم بتقديم المفعول، فيفيد التخصيص.

٣- وكذلك (يفيد التقديم التخصيص) إذا قلت: "بزيد مررتُ" بتقديم الجار والمجرور أفاد أن سامعك كان يعتقد مرورك بغير زيد، فأزلتَ عنه الخطأ وخصّصتَ مرورك بزيد دون غيره.

النسبة بين التقديم والتخصيص

والتخصيص فى غالب الأمر لازم للتقديم، يعنى أن التخصيص

لا ينفك عن التقديم فى أغلب الأوقات، ولكن عن تقديم ما حقّه التأخير، فإذا قدّم شىء حقه التأخير يفيد هذا التقديم التخصيصَ غالبًا، وإنما قلنا: غالبًا؛ لأن التقديم قد يكولمجرّد الاهتمام أو التبرك، أو الاستلذاذ، أو موافقة كلام السّامع، أو ضرورة الشعر، أو رعاية الفاصلة.

الأمثلة: ١- ولذلك يقال فى تفسير قوله تعالى: ﴿إيّاك نعبد وإيّاك نستعين﴾ نخصّك بالعبادة ولا نعبد غيرك، ونخصّك بالاستعانة ولا نستعين غيرك.

٢- وفى تفسير قوله تعالى: ﴿إن كنتم إياه تعبدون﴾ إن كنتم تخصّونه بالعبادة.

٣- وفى قوله تعالى: ﴿ويكون الرسول عليكم شهيدًا﴾ (بتقديم عليكم) أن الغرض اختصاص شهادة الرسول ﷺ بهذه الأمة.

٤- وفى قوله تعالى: ﴿لإلى الله تحشرون﴾ أى إلى الله لا إلى غيره تحشرون.

اجتماع الاهتمام مع التخصيص

ويفيد التقديم فى جميع ذلك (المذكور من الأمثلة) بعد التخصيص (أى مع التخصيص) اهتمامًا بشأن المقدّم؛ لأن البلغاء يقدّمون الشىء الذى شأنه أهمّ، وبيانه أولى، ولإظهار الاهتمام بشأن اسم الله قدّر العامل المحذوف فى ﴿بسم الله﴾ مؤخرا، ففيه التخصيص والاهتمام كلاهما.

وأمّا تأخير ﴿باسم ربك﴾ عن العامل فى قوله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربّك﴾ فلأجل أهمية تقديم الفعل هناك؛ لأنها أوّل سورة نزلت وأُمرَ

بقراءتها، فتقديم القراءة أهمّ وأولى.

وعند السكاكى ﴿باسم ربك﴾ متعلق بـ﴿اقرأ﴾ الثانى، فيكون العامل هناك أيضًا مؤخرًا، ومعنى ﴿اقرأ﴾ الأول: افعل القراءة وأوجدها من غير لحاظ تعلقها بشىء، مثل قولهم: "فلان يُعطى ويمنع" ثمّ فسرها بقوله: "باسم ربك الذى خلقَ اقرأ"، ولكنّ المصنف فى "الإيضاح" ردّ قول السكاكى.

وجوه تقديم بعض معمولات الفعل على بعضٍ

وهو: ١- إمّا لأن أصله التقديم، ولا مقتضى للعدول عنه، كتقديم الفاعل على المفعول، نحو ضرب زيد عمرًوا، وتقديم المفعول الأول على الثانى (فيما يقتضى المفعولين فصاعدًا) نحو أعطيت زيدًا درهمًا.

٢- وإمّا لأن ذكره (البعض المقدّم) أهمّ، والعناية به أتمّ، فيقدم المفعول على الفاعل إذا كان غرض المخاطب معرفة وقوع الفعل على من وقع عليه، لا وقوعه ممن وقع منه، كما إذا خرج رجل على السلطان وعاث (أفسد) فى البلاد، وكثر منه الأذى، حتى قتل ذلك الرجل، وأردتَ أن تخبر بقتله، فتقول: "قتل الخارجىّ فلان" بتقديم المفعول (الخارجى) لأن الناس يريدون معرفة قتله حتى يخلصوا من شرّه، وليس لهم فائدة فى معرفة قاتله، وقد يلزم تقديم الفاعل على المفعول إذا كان الغرض معرفة صدور الفعل ممن صدر عنه، لا وقوعه على من وقع عليه، كما إذا كان رجل ضعيف لا بأس به فقتل رجلا، فتقول: "قتل فلان (الرجل الضعيف) رجلا" بتقديم القاتل؛ لأن الذى يهتمّ به الناس من شأن هذا القتل هو ندرته، وبعده من الظن عن

مثل هذا الرجل الحقير، فلا يكون القتل باعتبار محل وقوعه سببًا للتعجب، بل إنما يكون سببًا للتعجب باعتبار محل صدوره ووجوده، وهو القاتل، ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإيّاهم﴾ قدّم المخاطبين (كم) فى هذه الآية لأن المخاطبين بها الفقراء الذين يكون عندهم الإملاق بالفعل، فَقُدِّمَ الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم، وفى قوله تعالى: ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإيّاكم﴾ الخطاب للأغنياء بدليل ﴿خشية إملاق﴾ أى خوف الفقر، وليس عندهم الفقر بالفعل، فكان رزق أولادهم هو المطلوب الأهمّ دون رزقهم؛ لأنه حاصل لهم بالفعل -فقدّم الوعد برزق أولادهم على الوعد برزقهم-.

٣- وإمّا لأن فى التأخير إخلالا ببيان المعنى، كما فى قوله تعالى: ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه﴾ لأن فى تأخير ﴿من آل فرعون﴾ إخلالا بالمعنى؛ حيث يتوهم أن "من" متعلقة بـ "يكتم" فلم يفهم أن الرجل من آل فرعون، بل يفهم أن كتمان الإيمان من آل فرعون، والمقصود هو الأول.

أو يكون فى التأخير إخلال بالتناسب، كما فى قوله تعالى: ﴿فأوجس فى نفسه خيفةً موسى﴾ قُدّم الجار والمجرور، والمفعول على الفاعل لرعاية مناسبة الفواصل فى آخر الآيات، فإنها بالألف المقصورة.

التمرين

١- ما هو المراد من "متعلّقات الفعل ومن أحوالها"؟

٢- ما هوا لفرق بين تعلق الفعل المتعدّى بالفاعل وبين تعلّقه بالمفعول؟

٣- متى ينزّل الفعل المتعدى منزلة اللازم، ولما ذا؟

٤- كم قسمًا للفعل المنزّل بمنزلة اللازم؟ اذكر مثالا لها.

٥- اذكر قول السكاكى فى حذف المفعول، لما ذا يكون الحذف؟

٦- اذكر وجه حذف المفعول إذا كان تعلّق الفعل بمفعول مخصوص قد حُذف عن اللفظ.

٧- لما ذا استُشهد بقول الشاعر:

ولو شئتُ أن أبكى دما لبكيته ... عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

٨- أظهر محل الاستشهاد فى قول الشاعر:

فلم يبقَ منّى الشوق غير تفكرى ... فلو شئت أن أبكى بكيت تفكرًا

٩- اشرح قول البحترى، وأظهر موضع الاستشهاد فيه:

وكم ذدتَ عنّى من تحامل حادث ... وسورة أيام حززن إلى العظم

١٠- اذكر الوجه الرابع والخامس لحذف المفعول.

١١- ما هو وجه تقديم المفعول ونحوه؟

١٢- ولما ذا لا يصح التقديم فى هذين المثالين؟

١- "ما زيدًا ضربت ولا أحدًا من الناس"

٢- "ما زيدًا ضربت ولا أكرمته"

١٣- ما هما الاحتمالان فى "زيدًا عرفته"؟

١٤- لما ذا قُدّم العامل فى قوله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربّك﴾؟

١٥- اذكر مثالا لتقديم بعض معمولات الفعل على بعض؟

بحث القصر

مفهوم القصر لغةً وا صطلاحًا:

١- أمّا لغةً: فهو الحبس، تقول: "قصرتُ اللقحة على فرسى"، إذا جعلت درّها له لا لغيره، ومنه قوله تعالى: ﴿حور مقصورات فى الخيام﴾.

٢- واصطلاحًا: فهو تخصيص شىء بشىء بطريق معهودٍ من الطرق الثلاثة (من قصر الإفراد والقلب والتعيين).

أقسام القصر:

وهو على قسمين: حقيقى وغير حقيقى.

١- تعريف القصر الحقيقى: هو تخصيص شىء بشىء بحسب الحقيقة والواقع، بأن لا يتجاوز الشىء الأول عن الثانى إلى غيره أصلا، كقصر الضحك بالإنسان.

٢- تعريف القصر غير الحقيقى: هو تخصيص شىء بشىء بالإضافة إلى الشىء الثالث، بأن لا يتجاوز عن الثانى إلى الثالث، وإن أمكن أن يتجاوز إلى شىء آخر، كقصر زيد بالقيام بمعنى أنه ليس بقاعد، وإن أمكن أن يكون زيد آكلا وماشيًا إلى غيرهما من الصّفات الممكنة له، ويقال لغير الحقيقى: "الإضافى" أيضًا.

أقسام القصر الحقيقى:

وهو على نوعين: ١- قصر الموصوف على الصفة ٢- وقصر الصفة

على الموصوف .

تعريف قصر الموصوف على الصفة : هو أن لا يتجاوز الموصوف من تلك الصفة إلى صفة أخرى ، ولكن جاز أن يكون لتلك الصّفة موصوف آخر .

تعريف قصر الصّفة على الموصوف : هو أن لا يتجاوز تلك الصّفة عن ذلك الموصوف إلى موصوف آخر ، وإن أمكن أن يكون لذلك الموصوف صفة أخرى .

أقسام القصر غير الحقيقى

وكذلك القصر غير الحقيقى له هذان القسمان : من قصر الموصوف على الصفة وعكسه .

تنبيه: والمراد بالصفة فى باب القصر "الصفة المعنوية" أى اللغوية ، وهو المعنى القائم بالغير ، لا النعت النحوى الذى له شرائط خاصّة (كما ذكرت فى علم النحو) .

الأمثلة: مثال القسم الأول من القصر الحقيقى ، كقولك : "ما زيد إلا كاتب" إذا أردت أنه لا يتصف بصفة غير الكتابة ، ولكن هذا لا يكاد يوجد فى الكلام ؛ لأنه ما من شىء متصوّر إلا وتكون له صفات تتعذّر الإحاطة بها ، فكيف نجزم بأنه ليس له صفة أخرى غير الكتابة؟

ومثال القسم الثانى منه كقولنا : "ما فى الدار إلا زيد" ، فالحصول فى الدار المعينة مقصور على زيد ، وهذا كثير الوقوع فى الكلام ، وقد يُقصد بالقسم الثانى من القصر الحقيقى المبالغة لعدم الاعتداد بموصوف غير مذكور ،

فيجعل كالمعدوم.

١- تعريف القسم الأول (قصر الموصوف على الصفة) من القصر غير الحقيقى: هو تخصيص أمر (موصوف) بصفة، دون صفة أخرى، أو تخصيص أمر بصفة مكان (بدل) صفة أخرى (الأول: هو قصر الإفراد، والثانى: هو قصر القلب).

٢- تعريف القسم الثانى منه: هو تخصيص صفة بأمر (موصوف) دون أمر آخر أو مكان (بدل) أمر آخر، فإن المخاطب إمّا كان يعتقد اتصافه بصفة، فأثبت له المتكلم صفةً غير الصفة الأولى، وهو قصر القلب، أو كان يعتقد اتصافه بوصفين، فأثبت أحدهما ونفى الآخر، وهو قصر الإفراد، وكذلك فى قصر الموصوف على الصفة، كان المخاطب يعتقد أن الموصوف بالقيام هو زيد، فقال المتكلم: بل هو عمرو، أو كان يعتقد أن الموصوف به زيد وعمرو، فأثبت المتكلم بأنه زيد وحده.

مفهوم كلمة "دون":

ومعنى "دون" فى الأصل (فى اللغة) أدنى مكان من الشىء، يقال: "هذا دون ذاك" إذا كان (الأول) أحطّ (أسفل) من الثانى قليلا، ثم استُعير للتفاوت فى الأحوال والرتب، ثمّ اتُّسِع فيه فاستُعمِل فى كلّ تجاوز حدّ إلى حدّ وتخطّى حكم إلى حكم.

أقسام التخصيص بشىء دون شىء
(فى القصر غير الحقيقى)

١- تخصيص أمر بصفة دون أخرى، ردًا على من يعتقد الشركة، أى

اتصاف ذلك الأمر بتلك الصّفة وغيرها جميعًا، كقولك: "ما زيد إلا كاتب أمام من يعتقد أن زيدا كاتب وشاعر.

٢- تخصيص صفة بأمر دون أمر آخر ردًا على من يعتقد أن المتصف بالشاعرية زيد وعمرو، كقولك: "ما شاعر إلا زيد أمام من يعتقد أن زيدًا شاعر وعمرًوا أيضًا شاعر، وهذا هو قصر الإفراد.

أقسام التخصيص بشيء مكان شيء آخر (فى القصر غير الحقيقى)

١ - تخصيص أمر بصفة مكان صفة أخرى، أمام من يعتقد اتصاف ذلك الأمر بغير تلك الصفة، فيخصّص المتكلم الموصوف بالصفة المذكورة، وينفى غيرها، كقولك: "زيد شاعر لا كاتب".

٢- تخصيص صفة بأمر مكان أمر آخر، أمام من يعتقد اتصاف غير ذلك الأمر بتلك الصّفة، كقولك: "زيد شاعر لا عمرو" فى ردّ من يزعم أن عمرواً شاعر، فهذا هو قصر القلب.

وأمّا إذا كان المخاطب يتساوى عنده اتصاف أمر بوصف الكتابة، أو الشاعرية، وكذلك إذا تساوى عنده أن الكاتب زيد أو عمرو، فتقول فى الأول: زيد كاتب لا شاعر، وفى الثانى: زيد كاتب لا عمرو، فهذا هو قصر التعيين.

الأقسام الثانوية للقصر غير الحقيقى

١- قصر الإفراد: هو تخصيص الموصوف بصفة يزعم المخاطب اشتراكها بين الاثنين، أو تخصيص الصّفة بموصوف يزعم المخاطب وجود

صفة أخرى أيضًا فيه، وسمّى بالإفراد؛ لقطع الشركة والتخصيص بموصوف واحد، أو بصفة واحدة.

٢- قصر القلب: هو تخصيص الموصوف بصفة بدل صفة أخرى يزعم المخاطب اتصافه بها، أو تخصيص الصّفة بموصوف بدل موصوف آخر يزعم المخاطب وجود تلك الصفة فيه، وسُمّى به؛ لقلب ما يزعمه المخاطب موصوفًا أو صفةً.

٣- قصر التعيين: وهو تخصيص الموصوف بصفة كان عند المخاطب اتصافه بها، وبغيرها سواءً، أو تخصيص الصفة بموصوف كان وجودها فيه، وفى غيره سواءً، وسُمّى به؛ لتعيين ما هو مبهم عند المخاطب.

الأمثلة:

١- ما زيد إلا كاتب، وما القائم إلا زيد.

٢- زيد كاتب لا شاعر، الكاتب زيد لا عمرو

٣- إنما زيد كاتب، إنما الكاتب عمرو.

شروط قصر الإفراد وقصر القلب

١- شرط قصر الإفراد (فى قصر الموصوف على الصفة) عدم تنافى الوصفين، كالكاتب والشاعر، حتى يتصوّر اجتماعهما فى اعتقاد المخاطب، ثم بقولك: "ما زيد إلا شاعر" تنفى أحدهما وتزيل الاشتراك، أمّا فى المتنافيين كالقائم والقاعد، فلا يمكن اجتماعهما، فكيف يعتقد المخاطب الاشتراك، حتى يحتاج المتكلم إلى الإفراد؟

٢- شرط قصر القلب (فى قصر الموصوف على الصفة) وجود التنافى بين الوصفين، حتى لا يزعم المخاطب الاشتراك، فيكون الوصف المنفى فى قولنا: "ما زيد إلا قائم" هو القعود أو الاضطجاع أو غيرهما مما ينافى القيام، وقد يتحقق قصر القلب فى صورة عدم تنافى الوصفين أيضًا، كما إذا اعتقد المخاطب كون زيد شاعرًا، وأنت تقول: "ما زيد إلا كاتب" فإنه قصر قلب عند البلغاء، كما صرّح به صاحب "المفتاح"، فاشتراط التنافى عند صاحب "التلخيص" على الأغلب.

وقصر التعيين أعمّ من أن يكون الوصفان متنافيين، كالقائم والقاعد، أو لا، كالكاتب والشاعر، فكل مثال يصلح لقصر الإفراد، أو القلب يصلح لقصر التعيين دون العكس (كما فى قصر الإفراد، أو قصر القلب، حيث يصدق قصر التعيين بدونهما؛ حيث يوجد فى الإفراد التعيين بدون القلب، وفى القلب بدون الإفراد).

طرق القصر وأداته

وهى أربعة: ١- منها العطف، كقولك فى قصر الموصوف على الصفة إفرادًا: "زيد شاعر لا كاتب" أو "ما زيد كاتبًا بل شاعر" وتقول فيه قلبًا: "زيد قائم لا قاعد"، أو "ما زيد قاعدًا بل قائم"، وفى قصر الصفة على الموصوف: "زيد قائم لا عمرو" -فى الإفراد- وكذلك تقول فى القلب: "ما زيد قائمًا بل عمرو".

٢- ومنها النفى مع الاستثناء، كقولك فى قصر الموصوف على الصفة إفرادًا: "ما زيد إلا شاعر"، وقلبًا: "ما زيد إلا قائم"، ومثال قصر التعيين

قوله تعالى: ﴿وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون﴾ أى قال الكفار للرسل: لستم فى دعواكم للرسالة عندنا بين الصدق والكذب، بل أنتم عندنا كاذبون فيها، وفى قصر الصفة على الموصوف أفرادًا وقلبًا تقول: "ما قائم إلا زيد" و "ما من شاعر إلا عمرو".

وجه كون "ما" و "إلا" للقصر:

وتحقيق وجه القصر (فى قصر الموصوف على الصفة) أنه متى قيل: "ما زيد" توجّه النفى إلى صفة زيد لا إلى ذاته؛ لأن المطلوب نفى الصفات، فإذا قيل: "إلا شاعر" حصل القصر.

ووجه القصر فى الثانى (قصر الصفة على الموصوف) أنه متى قيل: "ما شاعر" فأدخِل النفى (ما) على الوصف الثابت "الشاعر" من غير ذكر الموصوف المعين توجّه النفى إلى زيد وعمرو وغيرهما.

ثم قيل: "إلا زيد" جاء القصر (قصر الشاعرية فى زيد ونفيها عن غيره).

٣- ومنها لفظ "إنما" كقولك (فى قصر الموصوف على الصفة إفرادًا): "إنما زيد كاتب"، وقلبًا: "إنما زيد قائم"، وفى قصر الصفة على الموصوف (إفرادًا وقلبًا) "إنما قائم زيد" و "إنما شاعر عمرو".

الدليل على إفادة "إنما" القصر

وهو بمعناهما من ثلاثة أوجه: ١- لقول المفسّرين فى قوله تعالى: ﴿إنما حرّم عليكم الميتة والدم﴾ بالنصب: معناه ما حرّم عليكم إلا الميتة،

وهذا المعنى مطابق لقراءة الرفع أيضًا.

٢- ولقول النحاة: "إنما" لإثبات ما يذكر بعدها، ونفى ما سواه، نحو: إنما زيد قائم لإثبات قيام زيد، ونفى القعود عنه، وإنما يقوم زيد لإثبات القيام لزيد ونفيه عن عمرو.

٣- ولصحة انفصال الضمير معها، كقولك: "إنما يضرب أنا"، كما تقول: ما يضرب إلا أنا (أى كما يصح انفصال الضمير بعد "ما" و "إلا" كذلك جاز بعد "إنما"، فعلم أنها بمعناهما)، وكذلك فى قول الفرزدق:

أنا الذائد الحامى الذمار وإنما ... يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى[1]

يعنى فصّل الشاعر ضمير "أنا" عن عامله (يدافع) أى لم يقل: أدافع"، بل أخّره لقصد الحصر.

وكذلك قول عمرو بن معديكرب:

قد علمت سلمى وجاراتها ... ما قطّر الفارس إلا أنا

أى ما أصرع الفارس عن فرسه إلا أنا بانفصال الضمير وتأخيره.

٤- ومنها التقديم أى تقديم ما حقه التأخير، كتقديم الخبر على المبتدأ، أو المعمولات على الفعل، كقولك فى قصر الموصوف على الصفة إفرادًا: "شاعر هو" ردًا لمن يعتقده شاعرًا وكاتبًا، وتقول فيه قلبًا: "قائم هو" ردًا لمن يعتقده قاعدًا، وفى قصر الصفة على الموصوف إفرادًا: "أنا كفيتُ مهمّك" أى أنا وحدى، ردًا لمن يعتقد أنك وغيرك كفيتما مهمّه، وتقول فيه قلبًا: "أنا كفيت مهمّك" أى لا غيرى، ردًا لمن يعتقد أن غيرك كفى مهمّه دونك.

---

(١) أى أنا الدافع المحافظ عهده وحريمه، وإنما أنا أدافع عن أحساب القوم لا غيرى، أو مثلى يدافع عنهم.

الفرق بين تلك الطرق الأربعة

والفرق بينها من وجوه: ١- الأول أن دلالة الرابع (التقديم) على القصر بمفهوم الكلام، أعنى إذا تأمل صاحب الذوق السليم فى التقديم أدرك القصر، وإن لم يعرف أنه اصطلاح البلغاء، وأمّا الثلاثة الباقية (العطف، والنفى مع الاستثناء وإنما) فتدل على القصر بالوضع؛ لأن الواضع وضعها لمعانٍ تفيد القصر.

٢- الوجه الثانى: أن الأصل (الأولى) فى الأول (العطف) النص على المثبت والمنفى، كما مرّ فى قول القائل: "زيد قائم لا قاعد" و "قام عمرو لا زيد"، فلا يترك النص عليهما إلا لكراهة الإطناب فى مقام الاختصار، كما إذا قيل: "زيد يعلم النحو والتصريف والعروض والقوافى" (فى قصر الموصوف على الصفة) أو قيل: "زيد يعلم النحو وعمرو وبكر وخالد" (فى قصر الصفة على الموصوف) فتقول فى الأول: "زيد يعلم النحو لا غير" أى لا غير النحو أعنى لا التصريف، ولا العروض و لا القوافى، فترك المنفى لأجل كراهة الإطناب.

وتقول فى الثانى: "زيد يعلم النحو لا غير" أى لا غير زيد، أى لا عمرو يعلم النحو ولا بكر ولا خالد، فهنا أيضًا ترك المنفى لأجل الاختصار، وكراهة الإطناب.

ومثل "لا غير" "لا ما سواه" و "لا من عداه" و "ليس غير" فى إفادة النفى بالاختصار

أمّا الأصل (الأولى) فى الثلاثة الباقية (النفى مع الاستثناء، وإنما،

والتقديم) التصريح على المثبت فقط، أى يذكر معها المثبت دون المنفى، كما هو الظاهر من الأمثلة السابقة.

٣- الوجه الثالث: أن النفى بـ "لا العاطفة" لا يجامع الثانى (النفى والاستثناء)، فلا يقال: "ما زيد إلا قائم لا قاعد"؛ لأن شرط المنفى بـ "لا" أن لا يكون منفيًا قبل كلمة "لا" بغيرها (من أدوات النفى)؛ لأن "لا" موضوعة لنفى شىء بعد إثبات شىء آخر لا للمتبوع (نحو زيد قائم لا قاعد، ففيه إثبات القيام لزيد، ثم نفى القعود عنه) لا لنفى شىء ثانيًا، بعد نفيه أولا. نعم يجامع الثانى (لا العاطفة) الأخيرين (إنما والتقديم) فيقال: "إنما زيد كاتب لا شاعر" و "هو يأتينى لا عمرو"؛ لأن النفى (المفهوم منهما غير مصرّح به (كما هو مصرّح به فى النفى والاستثناء)، فصح النفى بـ "لا" العاطفة بعدهما (إنما والتقديم) كما صح النفى بها فى المثال الآتى: (امتنع زيد عن المجىء لا عمرو) فإن "امتنع" يدل على نفى المجىء عن زيد، لكن لا صريحًا، بل ضمنًا.

اختلاف السكاكى والشيخ عبد القاهر

١- قال السكاكى: شرط اجتماع "لا" العاطفة مع "إنما" أن لا يكون الوصف (المذكور بعد "إنما") مختصًا بالموصوف، كما فى قوله تعالى: ﴿إنما يستجيب الذين يسمعون﴾ فإنه يمتنع أن يقال: ولا الذين لا يسمعون، فإن كل عاقل يعلم أن الاستجابة لا تكون إلا ممن يسمع.

٢- وقال الشيخ عبد القاهر: لا تحسن مجامعة "لا" لـ "إنما" فى الوصف المختص كما تحسن فى غير المختصّ، وهذا (قول الشيخ) أقرب إلى

الصواب؛ إذ لا دليل على الامتناع عند قصد زيادة التحقيق والتأكيد.

وحاصل الكلام: أن السكاكى منع مجامعة "لا" لـ"إنما" فى الوصف المختص، وأجازها الشيخ، ولكن جعلها غير حسن، وقول الشيخ أقرب إلى الصّواب عند البلغاء.

٤- الوجه الرابع: أن الأصل (الأولى) فى الثانى (النفى والاستثناء) أن يكون الحكم الذى أُستُعمِل فيه (الثانى) مما يجهله المخاطب وينكره، كقولك لصاحبك (وقد رأيت شبحًا (شخصًا) من بعيد): "ما هو إلا زيد" إذا كان ذلك الصاحب يعتقده غير زيد ويصرّ على الإنكار (إنكار كونه زيدًا).

ومنه قوله تعالى: ﴿وما من إله إلا الله﴾ حيث يعتقد المشركون ألوهية غير الله، ويصرّون عليه، وينكرون ألوهية الله تعالى.

وأمّا الثالث (إنما): فإن الأصل والأولى فيه أن يكون الحكم الذى أُستُعمل هو فيه مما يعلمه المخاطب ولا ينكره، ومعناه أن يكون من شأن الخبر الذى دخل فيه "إنما" أن لا يجهله المخاطب ولا ينكره حتى أن إنكاره يزول بأدنى تنبيه لعدم إصراره عليه، كقولك: "إنما هو أخوك" و "إنما هو صاحبك القديم" لمن يعلم ذلك ويقرّبه، وتريد أن ترقّق (توجد الرقة) فى قلب المخاطب على الأخ والصاحب.

تنزيل القصر المعلوم منزلة المجهول لاعتبار مناسب

وقد ينزّل (القصر) المعلوم منزلة القصر المجهول لاعتبار مناسب.

١- فيستعمل الثانى (النفى والاستثناء) لقصر الإفراد، نحو

قوله تعالى: ﴿وما محمّد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ أى محمد ﷺ مقصور على الرسالة لا يتعدّاها إلى البراءة من الهلاك، فالمخاطبون (وهم الصحابة رضى الله عنهم) كانوا عالمين بكونه ﷺ مقصوراً على الرسالة، ولا يمكن الجمع بين الرسالة والتبرئ عن الهلاك، ولكن لما كانوا يعدّون هلاكه أمراً عظيماً نزّل استعظامهم هلاكه منزلة جهلهم وإنكارهم إياه، فاستعمل للقصر النفى والاستثناء.

١- القصر المعلوم: هو قصر محمد ﷺ على الرسالة.

٢- والاعتبار المناسب: هو الإشعار بعظم الهلاك فى نفوسهم وشدّة حرصهم على بقائه ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿وما أنت بمسمع من فى القبور إن أنت إلا نذير﴾، فإنه ﷺ كان لشدّة حرصه على هداية الناس يكرّر دعوة المنكرين عن الإيمان، ولا يرجع عنها، فكان فى مقام من ظنّ أنه يملك -مع صفة الإنذار- إيجاد السماع فى الكفّار الذين لا يقبلون السماع، فقصره الله بـ "النفى والاستثناء" فى صفة الإنذار ونفى عنه صفة إيجاد السماع فى الكفار الذين هم كالأموات.

٢- وقد يستعمل النفى والاستثناء فى المعلوم الذى هو بمنزلة المجهول لقصر القلب، كقوله تعالى حكايةً عن بعض الكفار: ﴿إن أنتم إلا بشر مثلنا﴾ أى أنتم مقصورون بالبشرية ولستم رسلا، فالكفّار نزّلوا المخاطبين (الرسل) منزلة من ينكر أنهم بشر (مع اعترافهم بأنهم بشر) لاعتقاد القائلين: أن الرسول لا يكون بشراً مع إصرار الرسل على دعوى الرسالة.

الإشكال والجواب عنه: أمّا الإشكال: فإن قوله تعالى: ﴿إن نحن إلا بشر مثلكم ولكنّ الله يمنّ على من يشاء من عباده﴾ يدل على أن الرسل

قد اعترفوا بقصر البشرية فيهم وانتفاء الرسالة عنهم، كما قال الكفار.

وأمّا الجواب: فإن قول الرسل هذا من قبيل مجاراة الخصم للتبكيت والإلزام، فإن من عادة المجيب إعادة كلام الخصم على وجهه، ثم الجواب عنه، فكذلك الرسل عليهم السلام أعادوا كلام الكفار، ثم أجابوا عنه، كأنهم قالوا: إنّ ما قلتم من كوننا بشراً مثلكم هو كما قلتم لا ننكره، ولكن ذلك لا يمنع أن يكون الله قد منّ علينا بالرسالة، كما يدل عليه الاستثناء ﴿ولكن الله يمنّ على من يشاء من عباده﴾، ففى كلام الرسل تبكيت الكفار، لا تسليم انتفاء الرسالة.

تنزيل القصر المجهول منزلة المعلوم لادعاء ظهوره

وقد ينزّل القصر المجهول منزلة المعلوم لادعاء المتكلم ظهور القصر المجهول، فيستعمل للقصر الثالث "إنّما" نحو قوله تعالى: ﴿إنما نحن مصلحون﴾ ادّعى المنافقون على أن كونهم مصلحين ظاهر جلى، حقيقٌ بالقصر، أى بقصر أنفسهم فى الإصلاح، ولذلك جاء جوابهم: ﴿ألا إنهم هم المفسدون﴾ للرد عليهم مؤكداً بما ترى (من جعل الجملة اسميةً، وتعريف الخبر باللام، وتوسيط الفصل، والتصدير بحرف التنبيه، ثم بـ "إنّ").

الفرق بين طريق "إنّما" وطريق "العطف"

واعلم أن لطريق "إنما" مزيّة وفضيلة على طريق "العطف"، وتلك

المزيّة أنه يعقل من "إنما" إثبات الفعل لشيء ونفيه عن غيره دفعةً واحدةً (من غير حاجة إلى شيء آخر) بخلاف العطف، (فإن النفي بـ "لا" العاطفة موقوف على الإثبات قبله، نحو زيد قائم لا قاعد).

وإذا استقريتَ مواضع استعمال "إنما" وجدت التعريض أحسن مواقعها، كما في قوله تعالى: ﴿إنما يتذكّر أولوا الألباب﴾ فإنه تعريض بذم الكفار وأنهم من فرط العناد، وغلبة الهوى في حكم من ليس بذي عقل، فأنتم (أيها المسلمون) في طمعكم منهم أن يتذكّروا كمن طَمِع ذلك من غير أولي الألباب.

وكذا قوله تعالى: ﴿إنما أنت منذر من يخشاها﴾ وقوله تعالى: ﴿إنّما تنذر الذين يخشون ربّهم بالغيب﴾ المعنى على أن من لم تكن له هذه الخشية، فكأنه ليس له أذن تسمع، وقلب يعقل، فالإنذار معه كالإنذار مع البهائم.

مواضع القصر وتأخير المقصور عليه

ثم القصر: ١- يقع بين المبتدأ و الخبر، كما مر في أمثلة قصر الموصوف على الصفة وعكسه.

٢- وكذلك يقع بين الفعل والفاعل.

٣- وبين الفاعل والمفعول.

٤- وبين المفعول الأول والثاني (في باب أعطيت).

٥- وبين الحال وذي الحال، وغيرها من متعلقات الفعل.

مثال الأول (قصر الفعل على الفاعل): نحو ما قام إلا زيد، ومثال الثاني: نحو ما ضرب زيد إلا عمرواً، وعكسه: نحو ما ضرب عمرواً إلا

زيد، ومثال الثالث: نحو ما أعطيت زيدًا إلا درهمًا، ومثال قصر المفعول الثانى على الأول نحو ما أعطيت درهمًا إلا زيدًا، ومثال الرابع: نحو ما جاء زيدٌ إلا راكبًا، وفى عكسه: ما جاء راكبًا إلا زيد.

ففى القصر بالنفى والاستثناء يؤخر المقصور عليه مع حرف الاستثناء، كما تقول فى قصر الفاعل على المفعول إفرادًا أو قلبًا بحسب المقام: ما ضرب زيد إلا عمروًا، فعمرو مقصور عليه، ومؤخر عن المقصور (زيد) مع أداة الاستثناء وهى (إلا)، وعلى قصر الفاعل على المفعول قلبًا ورد قوله تعالى: ﴿ما قلتُ لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربّى وربّكم﴾، فإن المعنى: إنى لم أترك ما أمرتنى به أن أقول لهم ذاهبًا إلى خلافه؛ لأنه فى جواب قوله تعالى: ﴿أأنت قلت للنّاس اتخذونى وأمّى إلهَينِ من دون الله﴾ يعنى يا عيسى! أإنك تركتَ ما أمرتك أن تقوله إلى ما لم آمرك أن تقوله، فإنى أمرتك أن تدعو الناس إلى أن يعبدونى، ثم إنك دعوتهم إلى أن يعبدوا غيرى؟

جواز تقديم المقصور عليه مع أداة الاستثناء على المقصور

وجاز تقديم المقصور عليه مع أداة الاستثناء على المقصور إذا كانا بحالهما، أى كان المقصور عليه بعد الأداة متصلا به، وأمّا إذا تأخر حرف الاستثناء عن المقصور عليه (حيث وقع بينهما فصل) فيختل المعنى، وهذا التقديم قليل الوقوع فى كلام البلغاء.

مثال التقديم: نحو ما ضرب إلا عمروًا زيد (فى قصر الفاعل على

المفعول) وما ضرب إلا زيد عمرواً (فى قصر المفعول على الفاعل).

وجه القلّة: لأن التقديم يستلزم قصر الصفة (وهو الضرب فى المثالين المذكورين) قبل تمامها؛ لأن تمام الفعل المتعدى إنما يكون بالفاعل والمفعول كليهما، فإذا قدم أداة الاستثناء إما يلزم قصره على الفاعل قبل وقوعه على المفعول، أو قصره على المفعول قبل صدوره من الفاعل، ولكن لمّا كان المتعلق مذكوراً فى آخر الكلام حكم بجوازه على قلّة.

وجه إفادة النفى والاستثناء القصر فى جميع المذكور (يعنى بين المبتدأ والخبر، وبين الفاعل والمفعول، والحال وذى الحال) أن النفى فى الكلام الناقص -وهو الاستثناء المفرّغ- (الذى حُذف فيه المستثنى منه) يتوجه إلى مقدّر وهو مستثنى منه عام، مناسب للمستثنى فى جنسه، وصفته.

١- أمّا توجّهه إلى مقدر (هو مستثنى منه) فلكون "إلا" للإخراج واستدعاء الإخراج مخرَجًا.

٢- وأمّا عمومه فليمكن الإخراج منه بعد شموله المستثنى وغيره.

٣- وأمّا مناسبته فى جنس المستثنى، فالمراد أن يكون المستثنى منه فى نحو ما ضرب زيد إلا عمرواً (أحدًا) أى ما ضرب زيد أحدًا إلا عمرواً، وفى قولنا: "ما كسوت زيداً إلا جبّة" لباسًا أو ثوبًا، أى ما كسوت زيداً لباسًا إلا جبّة، وفى نحو ما جاء زيد إلا راكبًا، ما جاء كائنًا على حال من الأحوال إلا راكبًا يعنى يكون المستثنى، والمستثنى منه من جنس واحد.

٤- والمراد بصفة المستثنى كونه فاعلا، أو مفعولا، أو حالا، مثلا فى قولنا: ما ضرب زيد إلا عمرواً يكون المستثنى منه المقدر مفعولا، كما أن عمرواً مفعول، أى ما ضرب زيد أحدًا إلا عمرواً، وفى "ما ضرب عمرواً إلا زيد" يكون المستثنى منه فاعلا، أى ما ضرب عمرواً أحد إلا زيد".

فإذا أثبت شىء من ذلك المنفى المقدر بـ "إلا" حصل القصر، ضرورة بقاء ما عدا المستثنى على صفة الانتفاء، وأمّا فى "إنما" فيؤخر المقصور عليه، تقول: "إنما زيد قائم"، و "إنما ضرب زيد" و "إنما ضرب زيد عمروًا"، فالواقع أخيرًا (بعد "إنما") هو المقصور عليه أبدًا.

وإذا أردت الجمع بين "إنما" و "العطف" فقل: "إنما هذا لك لا لغيرك" ولا يجوز تقديم المقصور عليه بـ "إنما" على غيره من المقصور للالتباس، كما إذا قلنا فى "إنما ضرب زيد عمروًا": "إنما ضرب عمروًا زيد".

واعلم أن حكم "غير" حكم "إلا" فى إفادة القصرين (قصر الموصوف على الصفة، وقصر الصفة على الموصوف)، وفى امتناع مجامعة "لا" العاطفة، تقول فى قصر الموصوف على الصفة إفرادًا: "ما زيد غير شاعر"، وقلبًا: "ما زيد غير قائم"، وفى قصر الصفة على الموصوف (إفرادًا أو قلبًا بحسب المقام) "لا شاعر غير زيد"، فلا تقول: "ما زيد غير شاعر لا كاتب"، ولا "لا شاعر غير زيد لا عمرو".

التمرين

١- عرّف القصر لغةً واصطلاحًا، وبيّن أقسامه مع تعريفاتها.
٢- اشرح كلمة "دونَ".
٣- اذكر أقسام التخصيص بشىء مكان شىء فى القصر غير الحقيقى.
٤- اذكر تعريفات قصر الإفراد، والقلب، والتعيين بأمثلتها.
٥- ما هى شروط قصر الإفراد والقلب؟ بيّنها.
٦- كم طرقًا للقصر، وما هى؟

٧- لأيّ قصر مثّل بهذه الآية : ﴿إن أنتم إلا تكذبون﴾؟

٨- ما هو الدليل على إفادة "إنما" القصر؟ اذكره.

٩- بيّن الوجوه الأربعة فى الفرق بين الطرق الأربعة للقصر.

١٠- ما هو معنى "تنزيل المعلوم منزلة المجهول فى باب القصر"؟

١١- ما هو محل الإشكال فى هذه الآية : ﴿إن نحن إلا بشر مثا<. ' '

١٢- ما هى مزية "إنما" على "العطف"؟ استشهد لها م الآية.

١٣- اذكر مواضع القصر كما درستَ.

١٤- ما هو وجه إفادة "إنما" القصر فى جميع الأمثلة المذكورة لها.

بحث الإنشاء

مفهوم الإنشاء لغةً وا صطلاحًا:

١- أمّا لغةً: فهو بمعنى الإبداع والإيجاد، كما فى قوله تعالى: ﴿أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون﴾.

٢- وأمّا اصطلاحًا: فهو يطلق على معنيين: ١- على نفس الكلام الذى ليس له فى الخارج نسبة تطابقه أو لا تطابقه، وبهذا المعنى هو مقابل الخبر.

٢- وعلى ما هو فعل المتكلم، أعنى إلقاء هذا الكلام.

والمقصود بالبحث ههنا المعنى الثانى، بدليل تقسيمه إلى الطلب وغير الطلب الذين هما فعل المتكلم.

أقسام الإنشاء

وهو ضربان: طلب كما سيأتى شرحه، وغير طلب، كأفعال المقاربة، وأفعال المدح والذم، وصيغ العقود، والقسم ونحوها.

ولا يبحث عن القسم الثانى فى البلاغة؛ لقلة المباحث البيانية المتعلقة به، ولأن أكثر أقسامه فى الأصل إخبار نقلت إلى الإنشاء، ولا شك أن الطلب يستدعى مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب؛ لامتناع تحصيل الحاصل

أنواع الإنشاء الطلبى

وأنواعه كثيرة (خمسة): ١- منها التمنّى: وهو طلب حصول الشىء على سبيل المحبة، واللفظ الموضوع للتمنّى هو "ليت"، وليس من شرط صحة التمنّى إمكان وقوع المتمنّى، تقول: "ليتَ الشباب يعود" كما تقول: ليت زيدًا يجىء"

قال الشاعر: يا ليت أيام الصبا رواجع

بخلاف الترجّى، فإن الإمكان فيه شرط، تقول: "لعلّ زيدًا يجىء" ولا تقول: "لعل الشباب يعود"، وقد يستعمل "هل" و"لو" أيضًا للتمنّى كما تقول: "هل لى من شفيع"؟ فى مكان تعلم أنه لا شفيع لك، فتتمنّى الشفيع ولا تجده.

ومنه قوله تعالى حكايةً عن الكفار: ﴿فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا﴾، وتقول (فى التمنى بـ"لو"): "لو تأتنى فتُحدّثنى (بالنصب)".

دلالة حروف التحضيض على التمنّى

قال السكاكى: وكأنّ جروف التنديم والتحضيض (وهى: هلا وألا (بقلب الهاء همزة) و لولا، ولوما) مأخوذة منهما (من هل ولو).

وزيد مع "هل" و"لو" ما و لا، فقيل: هلا، ولولا، ولوما؛ ليتولد من التمنّى فى الماضى التنديم، نحو "هلا أكرمت زيدًا"، وفى المضارع لتحضيضُ، نحو "هلا تقوم" كأنه كان يتمنّى الإكرام فى الماضى، كما يتمنى

القيام فى المضارع، وهذا حاصل قول السكاكى لا نصّه.

وقد يأتى "لعلّ" أيضًا للتمنّى لبعد المرجوّ عن الحصول، فتعطى حكم "ليت"، نحو: "لعلّى أحج فأزورك" (بالنصب)، وعليه قراءة عاصم فى رواية حفص: ﴿لعلّى أبلغ الأسباب أسباب السماوات فأطّلع إلى إله موسى وإنى لأظنه كاذبًا﴾.

بحث الاستفهام

٢- ومنها الاستفهام: وهو طلب فهم الشيء وحصوله فى الذهن، فإن كان ذلك الشيء وقوع النسبة بين أمرين (فى الإيجاب)، أو لا وقوعها (فى السلب)، فحصوله فى الذهن تصديق، وإلا فهو تصور، ففى قول القائل: "أزيد قائم" طلب التصديق، وفى قوله: "أخلّ فى الإناء أم عسل؟" طلب التصور.

ألفاظ الاستفهام

والألفاظ الموضوعة له كما يأتى: ١- الهمزة، وهل، وما، ومن، وأىّ، وكم، وكيف، وأين، وأنّى، ومتى، وأيّان.

بحث الهمزة

فالهمزة: لطلب التصديق، كقولك: "أقام زيد؟" و "أزيد قائم؟" أو لطلب التصور، كقولك: أخلّ فى الإناء أم عسل؟ عالمًا بوجود شيء فى

الإناء طالبًا لتعيينه، وقولك: "فى الخابية خلّك أم فى الزق؟" ولأجل أن الهمزة تأتى لطلب التصور أيضًا لم يقبح فى طلب تصور الفاعل، قولك: "أزيد قام"، وفى طلب تصور المفعول "أعمروًا عرفتَ؟"، وقبح قولك: "هل عمروًا عرفتَ؟" لأن "هل" لا يأتى لطلب التصور، والمسئول عنه بالهمزة هو ما يليها.

١- فإذا كان الشك فى الفعل نفسه، وأردتَ بالاستفهام أن تعلم وجوده، تقول: "أضربت زيدًا؟".

٢- وإذا كان الشك فى الفاعل من هو؟ تقول: "أأنت ضربتَ زيدًا؟".

٣- وإذا كان الشك فى المفعول من هو؟ تقول: "أزيدًا ضربت؟".

بحث "هل"

٢- و "هل" لطلب التصديق فحسب، كقولك: "هل قام زيد؟" و "هل عمرو قاعد؟"، ولاختصاص "هل" بطلب التصديق امتنع "هل زيد قام أم عمرو؟" لأن هذا التركيب إنما يكون لطلب التصور، فإن "أم" المتصلة قرينة على أن المراد طلب تعيين أحدهما، وهو تصور، ولهذا قبح "هل زيدًا ضربتَ؟" لأن تقديم المفعول يستدعى حصول التصديق بنفس الفعل، والشك فى وقوعه على المفعول المقدّم، فيكون "هل" لطلب تصور المفعول، ولكن لا يكون ممتنعًا لإمكان أن يكون "زيدًا" مفعولا لفعل محذوف.

وأمّا "هل زيدًا ضربته": فلا يكون قبيحًا لجواز أن يكون العامل مقدّمًا ومقدّرا، ويفسّره العامل المذكور، أى "ضربتَ زيدًا ضربتَه"، وقال السكاكى: بقبح "هل رجلٌ عُرِف" لأجل قبح "هل زيدًا ضربت" (أى يكون

الشكّ فى تصور الفاعل، لا فى التصديق بنفس الفعل، وإنما يكون "هل" لطلب التصديق، لا لطلب التصور)، ولكن يلزم السكاكى أن لا يقول: بقبح "هل زيد عرِف" لامتناع تقدير التأخير، ثم التقديم فيه عنده؛ لأن زيدًا معرفة صح الابتداء به من غير اعتبار التأخير والتقديم فيه، بخلاف "رجل عرف" فإن رجلا مؤخر فى التقدير، ثم قدّم لصحة الابتداء به مع أن هذا التركيب "هل زيد عرفَ" قبيح بإجماع النحاة.

وجه قباحة "هل رجل عُرِف"
و "هل زيد عُرِف"

وعلّة قباحة هذين التركيبين عند غير السكاكى أن "هل" فى الأصل بمعنى "قد"، وهمزة الاستفهام مقدّرةٌ قبلها، فأصلها "أهل"، ثم تركوا همزة الاستفهام قبلها لكثرة وقوعها فى الاستفهام، فأقيم "هل" مقام الهمزة وصارت تابعةً لها فى إفادة الاستفهام، و "قد" من خواص الأفعال يدخل عليها، لا على الأسماء، فكذا ما هى بمعناه، وهو "هل" لا تدخل على الأسماء، وأمّا "هل زيد قائم": فلا يكون قبيحًا؛ لأن البلغاء قد استعملوها وأمثالها، وما ذكر العلامة فى "مختصره" من وجه عدم القباحة، فيمجّه العقل السليم، ويتنفّر عنه الطبع المستقيم.

الفرق بين "هل" و "الهمزة"

والفرق بينهما من وجهين: أولا: أن "هل" تخصّص المضارع

بالاستقبال (مثل السين والسوف) دون الهمزة، فعلى هذا لا يصح "هل تضرب زيدًا وهو أخوك" فإن الحال -وهو أخوك- يدل على زمان الحال، و"هل" تجعل الفعل العامل -وهو تضرب- مختصًا بالاستقبال مع أن قصد المتكلم هو إنكار الفعل الواقع فى الحال، فلا تصلح "هل" لإنكار الفعل الواقع فى الحال.

ويصح "أتضرب زيدًا وهو أخوك"، فإن الهمزة لا تخصص المضارع بالاستقبال، فجاز أن تكون لإنكار الفعل الواقع فى الحال، أو الواقع فى الاستقبال.

وثانيًا: أن "هل" مختصّة بطلب التصديق، وأمّا الهمزة فأعمّ من طلب التصور والتصديق، كما مر.

ولهذين الوجهين من الفرق (اختصاصها بطلب التصديق، وتخصيصها المضارع بالاستقبال) كان لها (لكلمة "هل") مزيد اختصاص بشىء يدل على الزمان ظاهرًا من غير الحاجة إلى قرينة، وذلك الشىء هو الفعل، فإن الزمان جزء من مفهومه نحو "ضَرَبَ" بخلاف الاسم (كاسم الفاعل) لأن الزمان ليس جزءً من مفهومه، بل يدل عليه بالعرض، نحو: "ضارب" فإنه يدل على ذات قام بها الضرب، ومن لازم الضرب أن يكون فى الزمان -فالزمان من عرضيات الاسم، وليس من ذاتياته وجزءً من مفهومه- فتكون دلالة الفعل على الزمان أظهر من دلالة الاسم عليه.

وجه تخصيص "هل" بالأمرين

١- فعلة تخصيص "هل" بالفعل ظاهر؛ لأنها تجعل الفعل المضارع

مخصوصًا بالاستقبال، فلازم أن يكون مدخولها فعلا.

٢- وأمّا علة كونها لطلب التصديق فقط، فلأن التصديق هو الحكم بثبوت شيء لشيء، أو انتفاءه عنه، والنفى والإثبات إنما يوجّهان إلى المعانى والأحداث التى هى مدلولات الأفعال، لا إلى الذوات التى هى مدلولات الأسماء.

مزيّة ﴿فهل أنتم شاكرون﴾
على التراكيب الثلاثة الآتية

ولأجل أن لها مزيد اختصاص بالفعل كان قوله تعالى: ﴿فهل أنتم شاكرون﴾ أدلّ على طلب الشكر من قولنا: ١- ﴿فهل تشكرون﴾، ومن قولنا: ٢- ﴿فهل أنتم تشكرون﴾ لأن إبراز ما سيتجدد -وهو الشكر- فى صيغة الأمر الثابت فى الحال -وهو اسم الفاعل- أكثر دلالةً على كمال العناية بحصوله (يعنى أكثر دلالة) من إبقاءه على أصله (وهو الفعل)، كما فى "هل تشكرون" و"فهل أنتم تشكرون" لأن "هل" فى هذين التركيبين على أصلها داخلة على الفعل، ولم تعدل عن أصلها، حتى تدل على نكتة زائدة، وهى كمال العناية، وكذلك: ﴿فهل أنتم تشكرون﴾ أدلّ على طلب الشكر من قولنا: ٣- "أفأنتم شاكرون" وإن كان صيغته (الجملة الاسمية) للثبوت؛ لأن "هل" أكثر طلبًا للفعل من الهمزة، فترك الفعل أعنى عدم ذكره مع "هل" (فى ﴿فهل أنتم تشكرون﴾ أدلّ على كمال العناية بحصول الشكر.

وبما أن "هل" أدعى للفعل من الهمزة لا يحسن هذا التركيب "هل زيد منطلق" إلا من البليغ؛ لأنه الذى يقصد بهذا الكلام الدلالة على ثبوت الانطلاق، وإبراز ما سيوجد وقتًا فوقتًا فى معرض الموجود فى الحال.

أقسام "هل" باعتبار المطلوب

وهى قسمان : بسيطة ومركبة .

١ - أمّا البسيطة : فهى التى يطلب بها وجود الشىء، كقولنا : "هل الحركة موجودة؟" .

٢- والمركبة : هى التى يطلب بها وجود شىء لشىء، كقولنا : "هل الحركة دائمة؟" ، أمّا بقية ألفاظ الاستفهام (غير "الهمزة" و "هل") فلطلب التصور فقط .

٣- أمّا "ما" فقيل : يطلب به : (١) إما شرح الاسم ومفهومه، كقولنا : "ما النسر؟" (٢) وإمّا ماهية المسمّى والمفهوم، كقولنا : "ما الحركة؟" أى ما هى حقيقة مسمّى هذا اللفظ؟ ويقع الطلب بـ"هل البسيطة" فى الترتيب بين الأول ("ما" الشارحة) وبين الثانى ("ما" الحقيقية التى يطلب بها ماهية الشىء) يعنى أن الترتيب الطبيعى يقتضى أن يطلب أولا شرح الاسم، ثم يطلب وجود المفهوم فى حد ذاته، ثم يسأل عن ماهيته وحقيقته .

التطبيق : ما هو مفهوم لفظ "زيد" وهل ذلك المفهوم موجود؟ وما هى حقيقة ذلك المفهوم؟

الفرق بين المفهوم الإجمالى للاسم وبين ماهيته

والفرق بينهما كثير ؛ لأن كل من ذُكِر عنده اسم فهم منه شيئًا على النحو الذى يدل عليه الاسم إذا كان عالمًا باللغة ، وهذا هو المفهوم الإجمالى لذلك

الاسم.

وأمّا الحد الدال على ماهية ذلك الاسم: فلا يقف عليه ولا يعلمه إلا المرتاضون فى صناعة المنطق.

إنما يكون للموجودات حدود حقيقية واسمية وللمعدومات حدود اسمية فقط

فالموجودات لمّا كان لها حقائق ومفهومات، فلها حدود حقيقية واسمية، وأمّا المعدومات فليس لها إلا المفهومات، فليس لها حدود حقيقية، بل لها حدود اسمية فقط؛ لأن الحدّ الحقيقى إنما يكون بعد أن يكون الشىء موجودًا، وأمّا إذا كان الشىء معدومًا، فليس له حقيقة حتى يُعرّف بها، فكيف يكون له حد حقيقى؟

الفرق بين التعريف الحقيقى والاسمى: ١- إذا ذكر فى تعريف الشىء حقيقته وماهيته، فهو تعريف حقيقى، ويقال له: "الحدّ" أيضًا.

٢- وأمّا إذا ذُكر فى تعريفه المفهوم الذى يفهم من لفظه، فهو تعريف اسمى، ويقال له: "الرسم" أيضًا.

فالتعريفات التى تُذكر للأشياء فى التعليمات الابتدائية كلّها حدود اسمية؛ لضعف ذهن المبتدئين عن فهم حقائق الأشياء، فإذا أقيم على وجود تلك الأشياء، وعلى حقائقها برهان، يطلق على تعريفاتها الحدود الحقيقية.

وليس هذا البحث من فن البلاغة، وإنما ذكرتها اقتداءً بإمام المنطق والفلسفة العلامة التفتازانى رحمه الله تعالى.

مفهوم كلمة "ما" عند السكاكى

وقال السكاكى: يسأل بـ"ما" (إمّا) عن الجنس، تقول: "ما عندك" أىّ أجناس الأشياء عندك؟ وجوابه: إنسان أو فرس، أو كتاب، وكذلك تقول: "ما الكلمة؟" و "ما الكلام؟" أى من أىّ أجناس الألفاظ هما؟ وفى التنزيل: ﴿فما خطبكم﴾ أى من أىّ أجناس الخطوب خطبكم؟ ومنه قوله تعالى: ﴿ما تعبدون من بعدى﴾ أى أىّ جنس من أجناس الموجودات تؤثرونه للعبادة؟

٢- أو يسأل بـ"ما" عن الوصف، تقول: "ما زيد؟" و "ما عمرو؟" وجوابه: "الكريم"، أو "الفاضل"، أو نحوهما، وأمّا سؤال فرعون بـ"ما" فى قوله تعالى: ﴿وما رب العالمين﴾.

١- فإمّا عن الجنس لاعتقاده -لجهله بالله تعالى- أن لا موجود مستقلا بنفسه سوى الأجسام، كأنه قال: أىّ أجناس الأجسام هو؟ وعلى هذا الاحتمال جواب موسى عليه السلام بالوصف للتنبيه على الطريق الموصل إلى معرفة الله تعالى، وهو أوصافه تعالى، ولكن لمّا لم يطابق الجواب السؤال عند فرعون عجّب الجهلة ا لذين حوله من قول موسى عليه السّلام بقوله: ﴿ألا تستمعون﴾ ثم لمّا وجد موسى عليه السلام مصرّا على الجواب بالوصف (بدون ذكر أىّ جنس) استهزأ بموسى وجنّنه بقوله: ﴿إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون﴾ وحين رأى موسى عليه السلام أن فرعون وملأه لم يفطنوا لذلك (لكلام موسى) فى المرّتين غلّظ عليهم فى الثالثة بقوله: ﴿إن كنتم تعقلون﴾.

٢- وإمّا سؤال عن الوصف طمعًا من فرعون فى أن يسلك موسى عليه السلام معه فى الجواب كسلوك سائر الحاضرين لو كانوا هم المسئولين، فإنه لو سأل عن أحد من الحاضرين مثل ما سأل عن موسى عليه السلام لأجابه "أنت رب العالمين" لشهرته بينهم بهذا الوصف، ولأجل هذه الشهرة قالت السّحرة -بعد ما عرفوا الحق-: ﴿آمنا بربّ العالمين ربّ موسى وهارون﴾ زادوا هذا البدل للاحتراز عن طمع فرعون.

بحث "مَن"

٤- وأمّا "من": فقال السكاكى: هو للسؤال عن الجنس من ذوى العلم، تقول: "من جبرئيل؟" أى أبشر هو أم ملك أم جنّى؟ وكذا تقول: "من إبليس؟" أجنّى هو أم ملك؟ ومن فلان؟

ومنه قوله تعالى: ﴿فمن ربّكما يا موسى﴾ أى أ ملك هو أم بشر أم جنّى؟ أنكر فرعون أن يكون لهما ربّ سواه؛ لادّعائه الربوبية لنفسه، فأجاب موسى عليه السّلام بقوله: ﴿ربنا الذى أعطى كلّ شيء خلقه ثم هدى﴾ وأنت لست كذلك.

وعند غير السكاكى "من" للسؤال عن العارض المشخّص لذى العلم، أى عن الأمر الذى يعرض لذى العلم، فيفيد تشخيصه وتعيينه، كقولك: "من فى الدار؟" فيجاب باسم العلم، أى زيد أو عمرو، وهذا أظهر؛ لأنه إذا قيل: من فلان؟ يجاب بما يفيد تشخيص الفلان، ولا نسلّم صحة الجواب بنحو "بشر أو جنّى" كما زعمه السكاكى[1]، ولكن قول السكاكى: ظاهر،

---

(١) الإيضاح ص١٣٩.

وإن لم يكن أظهر، فلا ينكر عن صحته فيما مثّل واستشهد به.

بحث أيّ وكم

٥- وأمّا "أيّ": فللسؤال عما يميّز أحد المتشاركين في أمر شامل لهما، يقول القائل: عندي ثياب، فتقول: أيّ الثياب هي؟ فتطلب من القائل وصفًا يميّزها عندك عمّا يشاركها في الثوبية، ومنه قوله تعالى: ﴿أيّ الفريقين خير مقامًا﴾ أي نحن أم أصحاب محمد ﷺ؟ وقوله تعالى: ﴿أيّكم يأتيني بعرشها﴾ أي الإنسي أو الجني؟

٦- وأمّا "كم": فللسؤال عن العدد، فإذا قلت: كم درهمًا لك؟ وكم رجلا رأيت؟ فكأنك قلت: "أعشرون أم ثلاثون أم كذا؟" وكم ثوبك؟ أي كم شِبرًا أو كم ذراعًا؟ ومنه قوله تعالى: ﴿سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بيّنة﴾، وقوله تعالى: ﴿قال قائل منهم كم لبثتم﴾ أي كم يومًا أو كم ساعةً؟ وقوله تعالى: ﴿كم لبثتم في الأرض عدد سنين﴾ أي كم سنةً.

بحث "كيف" و "أين"

٧- وأمّا "كيف": فللسؤال عن الحال، فإذا قيل: كيف زيد؟ فجوابه: صحيح، أو سقيم، أو مشغول، أو نحو ذلك.

٨- وأمّا "أين": فللسؤال عن المكان، فإذا قيل: أين زيد؟ فجوابه: في الدار، أو في المسجد، أو في السوق، ونحو ذلك.

بحث "متى" و "أيّان"

٩ و١٠ - وأمّا "متى" و "أيان" : فللسؤال عن الزمان، فإذا قيل : متى جئت؟ أو أيّان جئتَ؟ قيل : يوم الجمعة، أو يوم الخميس، وقيل : "أيّان" يأتى للزمان المستقبل، نحو أيّان يُثمِر هذا النخل؟

وتستعمل "أيان" فى مواضع التفخيم، كقوله تعالى : ﴿يسأل أيّان يوم القيامة﴾، وقوله تعالى : ﴿أيّان يوم الدين﴾.

بحث "أنّى"

١١ - وأمّا "أنّى" : فتستعمل تارةً بمعنى "كيف" قال الله تعالى : ﴿فأتوا حرثكم أنّى شئتم﴾ أى كيف شئتم قيامًا وقعودًا، مستلقيًا ومضطجعًا، وأخرى بمعنى "من أين" نحو قوله تعالى : ﴿أنّى لكِ هذا﴾ أى من أين لكِ هذا؟

المعانى الأخر لهذه الألفاظ (غير الاستفهام)

ثم هذه الألفاظ كثيراً ما تُستعمل فى معانٍ غير الاستفهام بحسب ما يناسب المقام.

١ - منها كون "كم" للاستبطاء، نحو "كم دعوتك" أى استبطأتَ فى المجىء وتأخّرت، وعليه ورد قوله تعالى : ﴿حتى يقول الرسول والذين آمنوا

متى نصر الله﴾ .

٢- ومنه كون "ما" للتعجب، نحو قوله تعالى: ﴿ما لى لا أرى الهدهد﴾ أى أتعجّب من غيابه بلا إذن.

٣- ومنها كون "أين" للتنبيه على الضلال، نحو قوله تعالى: ﴿فأين تذهبون﴾ أى ترك القرآن، والذهاب إلى غيره ضلال وكفر.

٤- ومنها استعمال "الهمزة" للوعيد. كقولك لمن يسيئ الأدب: "ألم أؤدب فلانا؟" إذا كان المخاطب عالما بذلك التأديب، ومنه قوله تعالى: ﴿ألم نهلك الأولين﴾ .

٥- ومنها كون "الهمزة" للتقرير، أى حمل المخاطب على الإقرار، وشرطه أن يلى الهمزة الشيء المقرر به، كقولك: أفعلت؟ إذا أردت إقراره بالفعل، وكذلك أ أنت فعلت؟ إذا أردت أن تقرره بأنه الفاعل، ومنه قوله تعالى: ﴿أ أنت فعلتَ هذا بآلهتنا يا إبراهيم﴾ .

٦- ومنها استعمال "هل" بمعنى الأمر، نحو قوله تعالى: ﴿فهل أنتم مسلمون﴾ أى كونوا مسلمين، وقوله تعالى: ﴿فَهَل مِن مُدّكر﴾ أى اتّعظوا وتذكّروا.

٧- ومنها كون "الهمزة" للإنكار لأجل التوبيخ إمّا فى الماضى، أى بمعنى ما كان ينبغى أن يكون، نحو أعصيتَ ربك؟ أو فى المستقبل بمعنى لا ينبغى أن يكون، كقولك للرجل يضيع حق أحد: أ تنسى قديم إحسان فلان؟ أى لا ينبغى أن يكون كذلك، ومنه قوله تعالى: ﴿أ غير الله تدعون﴾، وقوله تعالى: ﴿أ غير الله أتخذ وليّا﴾ .

ومن أمثلة كون "الهمزة" للإنكار، قوله تعالى: ﴿أ ليس الله بكافٍ عبده﴾ بلى، كافٍ عبده؛ لأن إنكار النفى بـ"ليس" فى الحقيقة نفى له،

فالنفى المفهوم من "الهمزة" سَلبَ النفى المفهوم من "ليس"، ونفى النفى إثبات، وهذا المعنى أراد من قال: "إن الهمزة فيه للتقرير" أى حمل المخاطب على الإقرار بما دخله النفى "ليس"، وهو "الله كافٍ عبده" لا الإقرار بالنفى، وهو عدم الكفاية.

وإمّا يكون الإنكار بالهمزة لأجل التكذيب فى الماضى، أى بمعنى لم يكن، كقوله تعالى: ﴿أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا﴾ أى لم يفعل كذلك، أو لأجل التكذيب فى المستقبل، أى بمعنى لا يكون، نحو قوله تعالى: ﴿أنلزمكموها وأنتم لها كارهون﴾ أى لا يكون كذلك، ولإنكار الفعل (بالهمزة) صورة أخرى غير المذكورة، وهى نحو أ زيداً ضربتَ أم عمرواً أمام من يردّد الضرب بينهما، أى ضربت أحدهما من غير أن يعتقد تعلّقه بغيرهما.

شرط الإنكار بالهمزة

ويشترط فى الإنكار (بالهمزة) أن يلى الشىء المنكر الهمزة، كقوله تعالى: ﴿أبشراً منا واحداً نتبعه﴾ وقوله تعالى: ﴿أهم يقسمون رحمة ربك﴾ أى ليسوا متولّين رحمة الله حتى يصطفوا للنبوة من يريدون.

٨- ومنها كون "الهمزة" للتهكم والاستهزاء، نحو قوله تعالى: ﴿أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا خيراً﴾.

٩- ومنها استعمال "مَن" للتحقير، نحو مَنْ هذا؟ استحقاراً بشأنه مع أنك تعرفه.

١٠- ومنها استعمال "مَن" للتهويل أو التخويف، كقوله تعالى (فى

قراءة ابن عباس رضى الله عنه) : ﴿ولقد نجّينا بنى إسرائيل من العذاب المهين مَن فرعون (بفتح الميم ورفع فرعون)﴾ بلفظ الاستفهام، كما وصف الله تعالى العذابَ بأنه "مهين" لشدّته وفظاعة شأنه، أراد أن يصوّر كنهه، فقال: "مَن فرعونُ" أى أتعرفون من هو فى فرط عتوّه وتجبّره، وما ظنكم بعذاب يكون هو المعذَّب، ثم عرّف حاله بقوله: ﴿إنه كان عاليًا من المسرفين﴾.

١١- ومنها إتيان "أنّى" للاستبعاد، نحو قوله تعالى: ﴿أنّى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولّوا عنه وقالوا معلّم مجنون﴾، وقوله تعالى: ﴿يومئذٍ يتذكّر الإنسان وأنّى له الذكرى﴾.

١٢- ومنها استعمال "كيف" للتوبيخ والتعجيب جميعًا، نحو قوله تعالى: ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه تُرجعون﴾ أمّا دلالته على التوبيخ فلأن الكفر مع هذه الحال ينبئ عن الانهماك فى الغفلة أو الجهل، وأمّا التعجيب فلأن هذه الحال تأبى أن لا يكون للعاقل علم بالصّانع، فعلمه به يأبى أن يكفر، ونظيره قوله تعالى: ﴿أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب﴾.

بحث الأمر

٣- النوع الثالث من الإنشاء الطلبى الأمر.

تعريف الأمر: هو صيغة (سواء كانت مقترنةً باللام، نحو ليحضر زيد، أو لم تكن، نحو أكرم عمروًا، أو كانت اسم الفعل، نحو رويد بكرًا) موضوعة لطلب الفعل استعلاءً (خصّ بالاستعلاء) لتبادر الذهن (إليه) عند سماعها، ولإطباق أئمة اللغة على إضافة الصيغة إلى الأمر بقولهم: صيغة

الأمر ومثال الأمر، ولام الأمر، والأمر إنما يكون من جانب العالى للسافل، وأمّا ما سواه (من الالتماس والدعاء) فموقوف على القرينة.

معانى الأمر غير الطلب

ثم إن صيغة الأمر قد تستعمل فى غير طلب الفعل بحسب مناسبة المقام.

١- فقد تكون للإباحة (لإبراز أن المأمور به مباح ليس بلازم) كقولك فى مقام الإذن: "جالس زيدًا أو عمروًا"، وكقول الشاعر:

أسيئ بنا أو أحسنى لا ملومةً لدينا ولا مقليةً إن تقلّتِ

أى لا أنتِ ملومة ولا مُقلية، يعنى إساءتك وإحسانك سواء عندنا، ونحن راضُونَ بكليهما.

٢- وقد تكون للتهديد والتخويف، كقوله تعالى: ﴿اعملوا ما شئتم﴾ لظهور أن ليس المراد الأمر بكل عمل شاءوا، وقول الرجل لعبد شتم مولاه، ثم أدّبه المولى: "اشتم مولاك".

٣- وقد تكون للتعجيز، كقولك عن يدعى أمرًا تعتقد أنه ليس فى وسعه: "افعله أنظرك" وعليه (عند البعض) قوله تعالى: ﴿قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر فى صدوركم﴾ وقوله تعالى: ﴿فأتوا بسورة من مثله﴾.

٤- وقد تكون للتسخير (أى كون المأمور به مسخرًا وتابعًا لحكم الأمر التكوينى)، كقوله تعالى: ﴿كونوا قردةً خاسئين﴾.

٥- وقد تكون للإهانة، كقوله تعالى: ﴿ذُقْ إنك أنت العزيز الكريم﴾.

٦- وقد تكون للتسوية بين الأمرين، كقوله تعالى: ﴿أنفقوا طوعًا أو كرهًا لن يتقبل منكم﴾، وقوله تعالى: ﴿اصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم﴾.

٧- وقد تكون للتمنّى، كقول امرئ القيس:

ألا أيّها الليل الطويل ألا انجلى   بصبح وما الإصباح منك بأمثل

إذ ليس المراد طلب الانجلاء عن الليل؛ لأنه ليس فى وسعه، بل يتمنّى انجلاءه.

٨- وقد تكون للدعاء إذا استعملت فى طلب الفعل على سبيل التضرع، نحو ﴿ربّ اغفر لى ولوالدىّ﴾.

٩- وقد تكون للالتماس إذا استعملت فى طلب الفعل على سبيل التلطف، كقولك لمن يساويك فى الرتبة: "افعل كذا" بدون الاستعلاء (أى عدّ الآمر نفسه عاليًا).

١٠- وقد تكون للاحتقار، نحو قوله تعالى حكايةً عن موسى عليه السلام: ﴿ألقوا ما أنتم ملقون﴾.

تلك عشرة كاملة لمن لم يكن عقله حاضراً عند الدراسة.

ما هو مقتضى الأمر، الفور أو التراخى؟

قال السكاكى: حق الأمر الدلالة على طلب الفعل على الفور؛ لأنه الظاهر من طلب الفعل، ولتبادر الفهم إليه عند الأمر بشىء بعد ما كان الآمر أمر بخلافه، ثم أراد تغيير الأمر الأول بأمره الثانى، ولا يتبادر الفهم إلى الجمع بين الأمرين، وإرادة تراخى الأمر الثانى.

كما إذا قال المولى لعبده : ثم ، ثم قال له قبل قيامه : "اضطجع حتى المساء" ، يتبادر الفهم إلى أن المولى غيّر الأمر بالقيام إلى الأمر بالاضطجاع ، ولم يرد الجمع بين القيام والاضطجاع مع إرادة تراخى الاضطجاع ، والحق على خلافه كما حُقّق فى علم أصول الفقه .

النوع الرابع من الإنشاء الطلبى "النهى"

٤ - تعريف النهى : هو طلب ا لكفّ عن الفعل استعلاءً .

صيغة النهى : وله حرف واحد ، وهو "لا" ا لجازمة (الداخلة على الفعل المضارع) .

مثاله : نحو قولك : "لا تفعل" ، ومنه قوله تعالى : ﴿ولا تقل لهما أفّ ولا تنهرهما﴾ وهو كالأمر فى الاستعلاء ، أى يعدّ الناهى نفسه عاليًا ، وقد يستعمل النهى فى غير طلب الكفّ عن الفعل ، كالتهديد ، نحو قولك لعبد لا يمتثل أمرك : "لا تمتثل أمرى" أى فتجد عاقبة عصيانك .

تقدير الشرط بعد هذه الأربعة

واعلم أن هذه الأربعة (أعنى التمنّى ، والاستفهام ، والأمر ، والنهى) تشترك فى كونها قرينةً دالة على تقدير الشرط بعدها ، وكون الجزاء عقبها مجزومًا بـ "إن" المضمرة .

١ - كقولك : ليتَ لى مالا أنفقه أى إن أُرزَق مالا أنفقه .

٢ - وقولك : أينَ بيتك أزرك ، أى إن تعرّفنى بيتك أزرك .

٣- وقولك: أكرمنى أكرمك أى إن تكرمنى أكرمك.

٤- وقولك: لا تشتم يكن خيرًا لك، أى إن لا تشتم يكن خيرًا لك.

وأمّا العرض فمولّد من الاستفهام، فليس قسمًا برأسه؛ لأن الهمزة فيه للاستفهام دخلت على فعل منفى، وامتنع حملها على حقيقة الاستفهام للعلم بعدم النزول، فى المثال الآتى: كقولك لمن تراه لا ينزل: "ألا تنزل بنا فتصيب خيرًا؟" أى إن تنزل بنا تصب خيرًا.

ويجوز تقدير الشرط فى غير هذه المواضع بقرينة تدل على الشرط، نحو قوله تعالى: ﴿أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولى﴾ أى إن أرادوا وليًا بالحق، فالله هو الولى بالحق لا ولى سواه.

والقرينة على تقدير ا لشرط الفاء فى ﴿فالله﴾ ونحو قوله تعالى: ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذًا لذهب كل إله بما خلق﴾ أى لو كان معه إله إذًا لذهب، والقرينة لام الابتداء.

بحث النداء

٥- الخامس من الإنشاء الطلبى النداء.

تعريف النداء: هو طلب إقبال الشىء بحرف نائب مناب أدعو -لفظًا كان ذلك الحرف أو تقديرًا- نحو: يا الله!، وقوله تعالى: ﴿يوسف أعرض عن هذا﴾ وقد تستعمل صيغته لغير النداء.

١- وقد تكون للإغراء، نحو قولك لمن أقبل عليك يتظلّم (يُظلَم ويُظهِر مظلوميته عند أحد): يا مظلوم! قصدًا إلى إغرائه وحثّه على زيادة الإظهار وبثّ الشكوى، ويحمل النداء على الإغراء؛ لأن الإقبال حاصل فيه أيضًا.

٢- وقد تكون للاختصاص، كما فى قولهم: "أنا أفعل كذا أيّها الرجل، أصله (يا أيّها الرجل بتقدير "ياء") ونحن نفعل كذا، أيّها القوم، واغفر اللهم لنا أيتها العصابة أى مخصّصا إيّاك من بين الرجال، أو مخصّصين إيّاكم من بين الأقوام أو العصائب.

وقوع الخبر موقع الإنشاء

ثمّ الخبر يقع موقع الإنشاء، لوجوه: ١- للتفاؤل، نحو "وفّقك الله" بلفظ الماضى، كأنه وقع إعطاء التوفيق.

٢- ولإظهار الحرص فى وقوعه (وقوع المطلوب) نحو رزقنى الله لقاءك، وأمّا الدعاء بصيغة الماضى (نحو رحمه الله، وغفر الله له) إذا كان من البليغ، فيحتمل التفاؤل، وإظهار الحرص.

٣- وللاحتراز عن صورة الأمر أدبًا نحو قول العبد للمولى (حينما حوّل المولى وجهه عن عبده): ينظر المولى إلىّ ساعة، فلا يقول: انظر إلىّ ساعةً؛ لأن فيه ترك الأدب.

٤- ولحمل المخاطب على المطلوب، بأن يكون المخاطب ممن لا يحبّ نسبة الكذب إلى الطالب المتكلم، كقولك لصاحبك الذى لا يحبّ تكذيبك: "تأتينى غدًا" مقام ائتنى غدًا؛ لحمله على الإتيان بألطف طريق، فلو لم يأتِ غدًا، فكأنه جعلك كاذبًا فى قولك: "تأتينى غدًا".

تنبيه:

ما ذكرناه فى الأبواب الخمسة السابقة (قبل الإنشاء) ليس كله مختصًا

بالخبر، بل فى كثير منه حكم الإنشاء كحكم الخبر، يظهر ذلك بأدنى توجّه، فليعتبره الناظر الذى ينظر بنور البصيرة فى لطائف الكلام وأسراره.

التمرين

١- بيّن مفهوم الإنشاء لغةً واصطلاحًا.

٢- مثّل للإنشاء غير الطلبى، ولما ذا لا يبحث عنه فى فن البلاغة؟

٣- كيف يدل حروف التحضيض على التمنّى؟

٤- كم هى أداة الاستفهام؟

٥- لما ذا قبح "هل عمروًا عرفتَ" ولم يقبح "أعمروًا عرفتَ"؟

٦- ما هو الفرق بين "هل زيدًا ضربت" وبين "هل زيدًا ضربته"؟

٧- بيّن وجه قباحة "هل رجل عُرِف" و "هل زيد عُرِف".

٨- ما هو الفرق بين الهمزة وهل؟ اذكره.

٩- عرّف هل البسيطة وهل المركبة، ومثّل لهما.

١٠- بيّن الفرق بين المفهوم الإجمالى للاسم وبين ماهيته؟

١١- لما ذا يكون للموجودات الحدود الحقيقية والاسمية وللمعدومات الحدود الاسمية فقط؟

١٢- هل كلمة "ما" فى قوله تعالى: ﴿وما ربّ العالمين﴾ للسؤال عن الجنس، أو عن الوصف؟ بيّن الصورتين.

١٣- اذكر الاختلاف بين السكاكى وغيره فى كلمة "مَن".

١٤- بيّن المعانى ا لأخر للهمزة و "هل" غير الاسفهام.

١٥- اكتب معانى الأمر غير الطلب.

١٦- ما هو رأى السكاكى فى مقتضى الأمر، هل هو على الفور أم على التراخى؟

١٧- اشرح معنى كون "صيغة النداء" للاختصاص، ومثّل له.

١٨- ما هى وجوه وقوع الخبر موقع الإنشاء؟ مثّل لها.

بحث الفصل والوصل

أهمية مباحث الفصل والوصل عند البلغاء:

واعلم أن تمييز موضع إحدى الجملتين من الآخر على ما تقتضيه البلاغة فنّ منها عظيم الخطر، صعب المسلك، دقيق المأخذ، لا يعرفه على وجهه ولا يحيط علمًا بكنهه إلا من أوتى فهم كلام العرب، وله طبع سليم، ورُزِق فى إدراك أسرار كلام العرب ذوقًا صحيحًا، ولهذا قَصَر بعض العلماء "البلاغة" على معرفة الفصل من الوصل، وتمييز موضع كل واحد من الآخر، وإنما أراد بذلك التنبيه على مزيد غموض هذا البحث، وأن أحدًا لا يكمل فى سائر فنون البلاغة إلا بعد أن كمل فى هذا الفن (الفصل والوصل) فوجب الاعتناء بتحقيقه على أبلغ وجه فى البيان.

تعريف الوصل والفصل:

١- والوصل: هو عطف بعض الجمل على بعض.

٢- والفصل: ترك ذلك العطف.

الفرق بين الكلام والجملة

وهما مترادفان لغةً، كما هو المشهور، وأمّا فى الاصطلاح: فالجملة أعمّ من الكلام؛ لأن الكلام ما تضمن الإسناد الأصلى، وكان مقصوداً لذاته، والجملة ما تضمن الإسناد الأصلى، سواء كان مقصوداً لذاته أولا، فالمصدر والصّفات المسندة إلى فاعلها، ليست كلامًا ولا جملةً؛ لأن إسنادها ليس أصليًا، والجملة الواقعة خبرًا، أو وصفًا، أو حالا، أو شرطًا، أو صلةً جملة، وليست بكلام؛ لأن إسنادها ليس مقصوداً لذاته، فلهذا اختار فى التعريف لفظ "الجمل" على لفظ "الكلام".

أنواع جملة وقعت بعدها جملة أخرى

إذا أتت جملة بعد جملة، فالأولى منهما: ١- إمّا أن يكون لها محلّ من الإعراب (بأن وقعت فاعلا، أو مفعولا، أو حالا، أو تمييزًا، أو غيرها).

٢- أو لا يكون لها محلّ من الإعراب (بأن لم تقع فى محل المفرد)

وعلى الأول: (١) إن قصد التشريك بينها، وبين الثانية فى حكم الإعراب عُطفت الثانية على الأولى (أى يكون بين الجملتين وصل)، وهذا كعطف المفرد على المفرد؛ لأن الجملة لا يكون لها محلّ من الإعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد.

شرط عطف الجملة على الجملة

فكما يُشترط فى كون العطف (بالواو ونحوه) مقبولا فى المفرد أن يكون بين المعطوف والمعطوف عليه جهة جامعة (وقدر مشترك) نحو جاءنى زيد وعمرو، فالجهة الجامعة بينهما هو المجىء، فكذلك يُشترط فى كون عطف الجملة على الجملة (بالواو ونحوه) مقبولا أن يكون بينهما جهة جامعة.

مثال عطف المفرد على المفرد نحو قوله تعالى: ﴿يعلم ما يلج فى الأرض ما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها﴾، ومثال عطف الجملة على الجملة نحو قول القائل: زيد يكتب ويشعر، وعمرو يُعطى ويمنع، وقوله تعالى: ﴿والله يقبض ويبسط وإليه تُرجعون﴾، ولاشتراط وجود الجهة ا لجامعة بين المعطوف والمعطوف عليه عيب على قول أبى تمام:

لا والذى هو عالم إن النّوى صَبِرٌ وإن أبا الحسين كريم

إذ لا مناسبة بين كرم أبى الحسين، ومراراة النوى، ولا تعلق لأحدهما بالآخر.

(٢) وإن لم يقصد التشريك بينهما ترك عطفها عليها، مثال عدم التشريك وترك العطف، قوله تعالى: ﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنّا معكم إنما نحن مستهزءون الله يستهزئ بهم﴾ فلم يُعطف ﴿الله يستهزئ بهم﴾ على ﴿إنا معكم﴾؛ لأنه لو عطف عليه لكان من مقول المنافقين، وليس منه.

٢- وأمّا على الثانى (أى لا يكون لها محلّ من الإعراب) (١) فإن قصد بيان ارتباط الثانية بالأولى على معنى بعض حروف العطف (مثل التراخى بلا مهلة، أو مع مهلة، أو ذكر أحد الأمرين من غير تعيين) عطفت الثانية على الأولى بذلك الحرف، فتقول فى التراخى من غير مهلة: "دخل زيد فخرج

عمرو" إذا أردت أن تخبر أن خروج عمرو كان بعد زيد، ولكن من غير مهلة، وتقول: "خرجت ثم خرج زيد" إذا أردت أن تخبر أن خروج زيد كان بعد خروجك مع مهلة، وكذلك تقول: "يعطيك زيد ديناراً أو يكسوك جبّة" إذا أردت أن تخبر أنه يفعل واحداً منهما لا بعينه، وعليه قوله تعالى: ﴿سننظر أصدقتَ أم كنتَ من الكاذبين﴾ أى صدر منك أحد الأمرين من غير تعيين أحدهما.

(٢) وإن لم يقصد بيان الارتباط، فإن كان للأولى حكم لم يُقصد إعطاءه للثانية تعيّن الفصل (وترك العطف) كقوله تعالى: ﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنّا معكم إنما نحن مستهزءون الله يستهزئ بهم﴾ ولم يعطف ﴿الله يستهزئ بهم﴾ على ﴿قالوا﴾ لئلا يشاركه فى الاختصاص بالظرف المقدّم (وهو قوله تعالى: ﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم﴾ فإن استهزاء الله تعالى بهم (وهو أن خذلهم فخلاهم وما سوّلت لهم أنفسهم مستدرجًا إياهم من حيث لا يشعرون متصل دائم، لا ينقطع بكل حال، خلوا إلى شياطينهم أم لم يخلوا إليهم.

وإن لم يكن للأولى حكم كذلك (أى حكم لم يقصد إعطاءه للثانية، بأن لا يكون لها حكم زائد على مفهوم الجملة، أو يكون لها ذلك الحكم، ولكن قصد إعطاءه للثانية أيضًا) فإمّا: ١- أن يكون بين الجملتين كمال الانقطاع بدون إيهام أن يكون فى الفصل (ترك العطف) خلاف المقصود.

٢- أو يكون بينهما كمال الاتصال.

٣- أو كانت الثانية بمنزلة المنقطعة عن الأولى.

٤- أو بمنزلة المتصلة بها، فكذلك يتعيّن الفصل فى هذه الصور الأربعة، وإن لم يكن شيء من تلك الصّور، فالوصل متعيّن.

٥- وقد يكون بين الجملتين كمال الانقطاع مع إيهام خلاف المقصود فى الفصل وترك العطف.

٦- وقد يكون التوسط بين كمال الانقطاع وكمال الاتصال، ففى هاتين الصورتين يتعيّن الوصل، كما سيأتى.

١- أمّا وجوب الفصل فى كمال الانقطاع فلوجهين:

الأول: اختلاف الجملتين خبراً وإنشاءً لفظًا ومعنًى، بأن تكون إحدى الجملتين خبراً لفظًا ومعنًى، والأخرى إنشاءً كذلك، كقولهم: "لا تدنُ من الأسد يأكلك"، وقول الشاعر[1]:

وقال رائدهم أرسوا نزاولها ... فكل حتف امرئ يجرى بمقدار

أى قال مقدم القوم: "أقيموا نعالج الحرب ونقاتل، فإن موت كل نفس يجرى بقدر الله، فلا الجبن ينجيه، ولا الإقدام يرديه، فلما كان "أرسوا" إنشاءً لفظًا ومعنًى و "نزاولها" خبراً كذلك لم يعطفه عليه، أو لاختلافهما خبراً وإنشاءً معنى، لا لفظًا، كقولك: "مات فلان رحمه الله" فإن "مات" و "رحِم" خبران لفظًا، ولكن "رحمه" إنشاءً معنى دون "مات".

والثانى: عدم الجامع بينهما، كقولك: "زيد طويل، عمرو نائم" وقولك: "العلم حسن، وجه زيد قبيح".

٢- وأمّا وجوب الفصل فى كمال الاتصال فيكون لأمور ثلاثة: الأول: أن تكون الثانية كالتأكيد المعنوى للأولى فى إفادة التقرير، ودفع توهم المجاز أو الغلط عن الأولى مع اختلافهما فى المعنى، كقوله تعالى: ﴿آلم ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾، فإن مرتبة ﴿لا ريب فيه﴾ فى هذه الآية مرتبة "نفسه" فى قولك: "جاءنى الخليفة نفسُه" فى دفع توهم التجوز والغلط؛ لأنه لمّا

---

(١) غياث بن غوث التغلبى.

بولغ فى وصف الكتاب ببلوغه الدرجة القصوى من الكمال بسبب إيراد المبتدأ اسم الإشارة (ذلك) وتعريف الخبر "الكتاب" باللام أمكن للسّامع قبل أن يتأمله أن يظنّ بالمتكلم أنه ألقى هذا الكلام جزافًا من غير تحقيق، فذكر ﴿لا ريب فيه﴾ بعده نفيًا لذلك الظن، كما ذُكِر بعد الخليفة (فى المثال السابق) لفظ "نفسه" دفعًا لهذا التوهم.

أو تكون الثانية للأولى كالتأكيد اللفظى لاتحاد المعنى فيهما، كقوله تعالى: ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدًى للمتقين﴾ فإن ﴿هدًى للمتقين﴾ معناه أنه فى الهداية بالغ درجةً لا يدرك كنهها، حتى كأنه هداية محضة، وهذا عين معنى ﴿ذلك الكتاب﴾ لأن معناه كما مر: الكتاب الكامل، والمراد بكماله كماله فى الهداية؛ لأن الكتب السماوية بحسبها (الهداية) تتفاوت فى درجات الكمال، فمرتبة ﴿هدًى للمتقين﴾ بعد ﴿لا ريب فيه﴾ كمرتبة زيد الثانى فى قولك: جاءنى زيد زيد، وكذا قوله تعالى: ﴿سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ فإن معنى قوله: ﴿لا يؤمنون﴾ معنى ما قبله من عدم فائدة الإنذار.

٢- والثانى: أن تكون الثانية بدلا من الأولى، لكون الأولى غير وافية بالمراد تمامًا، و الثانية وافية بتمام المراد، مع أن المقام يقتضى الاعتناء بشأن المراد لنكتة، ككونه مطلوبًا فى نفسه، أو فظيعًا، أو عجيبًا، أو لطيفًا.

ثم هذا البدل على نوعين: بدل البعض عن الأولى، أو بدل الاشتمال عنها.

مثال بدل البعض: قوله تعالى: ﴿أمدّكم بما تعلمون، أمدّكم بأنعام وبنين وجنّات وعيون﴾، فإنها مسوقة للتنبيه على نعم الله عند المخاطبين، وقوله فى الجملة الثانية: ﴿أمدّكم بأنعام وبنين وجنّات وعيون﴾، أوفى بتأدية

المراد مما قبله؛ لدلالته على نعم الله بالتفصيل من غير إحالة على علم المخاطبين مع كونهم معاندين.

ولا شك أن الإمداد بما ذكر من الأنعام وغيرها بعض الإمداد بما يعلمون من النعم التى لا تحصى.

ومثال بدل الاشتمال: قوله تعالى: ﴿اتّبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرًا وهم مهتدون﴾ فإن المراد من الآية حمل المخاطبين على اتباع المرسلين، وقوله تعالى: ﴿اتبعوا من لا يسألكم أجرًا وهم مهتدون﴾، أوفى بتأدية ذلك المراد؛ لأن معناه لا تخسرون معهم شيئًا من دنياكم وتربحون صحّة دينكم، فينتظم لكم خير الدنيا وسعادة الآخرة، وقول الشاعر:

أقول له ارحل لا تقيمنّ عندنا وإلا فكن فى السرّ والجهر مسلمًا

فإن المراد بهذا القول إظهار كمال الكراهة لإقامته عندهم بسبب خلاف سرّه العلن، وقوله فى الجملة الثانية: "لا تقيمنّ عندنا" أوفى بتأديته؛ لدلالته عليه بالمطابقة مع التأكيد، بخلاف "ارحل" فى الجملة الأولى.

فمرتبة الجملة الثانية من كل واحد من الآية والبيت مرتبة "حسنها" فى قولك: "أعجبتنى الدار حسنها" فكما أن "حسنها" بدل اشتمال عن الدار كذلك الجملة الثانية فى الآية والبيت بدل اشتمال عما قبلها؛ لمغايرة الثانية عن الأولى فيهما، ووجود المناسبة بينها وبين الجملة الأولى.

والثالث: أن تكون الثانية عطف بيان للأولى، بأن يكون فى الأولى نوع خفاء، ويقتضى المقام إزالته، كقوله تعالى: ﴿فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾، فصل (لم يعطف) جملة "قال" عما قبلها لكونها تفسيرًا، وبيانًا لها، فمرتبة "قال" مرتبة لفظ "عمر" فى قول الشاعر:

أقسم بالله أبو حفص عمر

فكما أن عمر عطف بيان لأبى حفص كذلك "قال يا آدم" بيان لقوله: ﴿فوسوس إليه الشيطان﴾.

٣- وأمّا وجوب الفصل فى شبه الانقطاع بينهما، فلكون عطف الثانية على الأولى موهمًا لعطفها على غيرها (أى لعدم المناسبة بين الثانية والأولى) ولذلك يسمّى هذا الفصل قطعًا.

مثاله: قول الشاعر:

وتظن سلمى أننى أبغى بها ... بدلا أراها فى الضلال تهيم

لم يعطف "أراها" على "تظنّ" لئلا يتوهم السّامع أنه معطوف على "أبغى" لقربه منه مع أنه ليس بمراد.

٤- وأمّا وجوب الفصل فى شبه الاتصال بينهما، فلكون الثانية جوابًا عن سؤال اقتضته الأولى، فتنزّل الثانية منزلة الجواب، فتفصل الثانية عن الأولى كما يفصل الجواب عن السؤال.

ويسمّى الفصل لذلك استئنافًا، وكذا الجملة الثانية أيضًا تسمّى استئنافًا، فظهر من هذا الكلام أن للاستئناف معنيين: (١) عدم عطف الجملة الثانية على الأولى.

(٢) وكون الجملة الثانية جوابًا عن سؤال يفهم من الجملة الأولى، ويسمّى الأول الاستئناف النحوى، والثانى الاستئناف البيانى.

وقال السكاكى: "فينزل تلك السؤال منزلة السؤال الواقعى" وتنزيل السؤال المفهوم من فحوى الكلام منزلة السؤال الواقعى، (١) إما لتنبيه السّامع على موقعه، (٢) أو لإغنائه عن السؤال، (٣) أو لئلا يسمع المتكلم من السامع شيئًا، (٤) أو لئلا ينقطع كلامه بسبب سؤال السامع، (٥) أو

للقصد إلى تكثير المعنى بتقليل اللفظ لأجل تقدير السؤال، وترك العاطف.

أقسام الاستئناف البيانى

والاستئناف على ثلاثة أضرب: لأن السؤال المفهوم من الجملة الأولى، (١) إمّا سؤال عن مطلق سبب الحكم (الذى تدل عليه الجملة الأولى) نحو قول الشاعر(١):

قال لى كيف أنت قلت عليل   سهر دائم وحزن طويل

فكأنَّ السائل سأل مرةً ثانيةً، وقال: ما بالك عليلا أو ما سبب علّتك؟ بقرينة العرف، والعادة من السؤال عن سبب المرض، فأجاب المخاطب: "سهر دائم وحزن طويل".

٢- وإمّا سؤال عن سبب خاص للحكم المفهوم من الأولى، كقوله تعالى: ﴿وما أبرّئ نفسى إن النفس لأمّارة بالسّوء﴾ فكأنَّ سائلا سأل لما ذا تبرّئ نفسك؟ فقال: إن النفس لأمّارة بالسّوء، مؤكّدا بـ "إنّ" و "لام الابتداء"، وهذا النوع من الاستئناف يقتضى تأكيد الحكم المفهوم من الجملة الأولى، كما مرّ فى باب أحوال الإسناد من أن المخاطب إذا كان طالبًا مترددًا حسن تقوية الحكم بمؤكد.

٣- وإمّا سؤال عن غير السبب المطلق والخاص، بل عن شىء له تعلق بالجملة الأولى يقتضى المقامُ السؤال عنه، كقوله تعالى: ﴿قالوا سلامًا قال سلام﴾ كأنه قيل: فما ذا قال إبراهيم عليه السلام؟ فقيل فى الجواب ﴿قال سلام﴾، فليس هناك سؤال عن سبب سلام الملائكة لا خاصًا، ولا مطلقًا،

---

(١) أبو العلاء المعرّى.

بل السؤال عما يقتضى كلامهم من الجواب ، وقول الشاعر :

زعم العواذل أنّنى فى غمرة　　　صدقوا ولكن غمرتى لا تنجلى

فإن الشاعر لّما أبدى الشكاية من جماعات العذّال كان ذلك مما يحرّك السّامع ليسأل "أصدقوا فى ذلك أم كذبوا؟" ، فأخرج الكلام مخرج الجواب ، ففصل ولم يعطف .

طرق الاستئناف

وله طريقان : الأول : أن يكون بإعادة اسم ما استُئِنف عنه (ما سئل عنه) نحو : أحسنتَ إلى زيد؟ زيد حقيق بالإحسان ، فكأنه قيل : لما ذا أحسن إليه؟ فقيل فى الجواب : زيد حقيق إلخ .

والثانى : أن يكون بذكر وصف ما استُئِنف عنه نحو : أحسنت إلى زيد صديقك القديم أهل لذلك ، فكأنّ المخاطب سأل ، وقال : لما ذا أحسنتَ إليه؟ فقيل : صديقك القديم أهل ذلك .

والاستئناف بذكر الوصف أبلغ وأقرب إلى البلاغة لاشتماله على بيان سبب الإحسان وهو الصداقة .

حذف الجملة المستأنفة بعضاً أو كلا

١ - وقد يحذف صدر الاستئناف (فعلا كان أو اسمًا) لقيام قرينة ، نحو قوله تعالى : ﴿يُسبّح له فيها بالغدو والآصال رجال﴾ فيمن قرأ ﴿يُسبّح﴾ مبنيًا للمفعول ، فكأنه قيل : من يُسبّحه؟ فقيل : رجال ، أى يُسبّحه رجال ،

فالمحذوف فعل، وعليه قولهم: نعم الرجل زيد، أو نعم رجلا زيد (وقولهم: بئسَ الرجل عمرو) على قول من يجعل المخصوص خبرًا لمبتدأ محذوف، أى هو زيد، أو عمرو، لا على قول من يجعله مبتدأ مؤخرًا، ولما قيل: نعم الرجل، أو نعم رجلا، فأبهم الفاعل بجعله معهودًا ذهنيًا مظهرًا (الرجل) أو مضمرًا (الضمير المستتر فى نعم)؛ كأنّه سئل عن تفسير الفاعل، فقيل: هو زيد، ثم حذف المبتدأ (وهو صدر الجملة الاستئنافية) والمحذوف هنا اسم، وهو الضمير.

٢- وقد تحذف الجملة المستأنفة كلّها، ويقام ما يدل عليها مقامها، كقول الحماسى[1] يهجو بنى أسد:

زعمتم أنّ إخوتكم قريش لهم إلف وليس لكم إلاف

حذَفَ الاستئناف الذى هو جواب، وهو "كذبتم فى زعمكم" وأقام قوله: "لهم إلف وليس لكم إلاف" مقامه؛ لدلالته عليه، كأنّ المخاطبين قالوا: أصدقنا فى زعمنا هذا أم كذبنا؟ فقيل: "كذبتم" فحُذِفَ هذا الاستئناف كله، وأقيم المصراع الثانى مقامه؛ لدلالته على كذب زعمهم.

٣- وقد تحذف الجملة المستأنفة، ولا يقام شىء مقامها، كقوله تعالى: ﴿نعم العبد﴾ أى أيوب، على قول من يجعل المخصوص خبر مبتدأ محذوف، فكأن السائل قال: من هذا العبد؟ فقيل: هو أيوب، فحذفت الجملة الاستئنافية كاملةً، ومثله قوله تعالى: ﴿فنعم الماهدون﴾ أى نحن، فكأنه قيل: من الماهدون؟ فقيل: "هم نحن"، ثم حذف الاستئناف (المبتدأ والخبر" كاملا من غير إقامة شىء مقامه.

٥- وأما وجوب الوصل فى كمال الانقطاع حين إيهام خلاف المقصود،

---

(١) مساور بن هند.

فإنما يكون لدفع ذلك الإيهام كقول البلغاء : " لا ، وأيّدك الله " ، فإنه لو لم يعطف بالواو لأوهم السامع الدعاء عليه لا له ، وأمّا بعد الوصل والعطف يزول هذا الوهم ، ويتقررالمقصود ، وهو أن " لا " لردّ الكلام السابق ، كأنه قيل : هل الأمر كذلك؟ فقيل : لا ، وأيّدك الله ، مع أن ما قبل الواو إخبار ، وما بعده دعاء وإنشاء ، وبينهما كمال الانقطاع .

٦- وأمّا وجوب الوصل لأجل التوسط بين حالتى كمال الانقطاع ، وكمال الاتصال ، فله ضربان :

الأول : أن يتفقا خبراً أو إنشاءً لفظًا ومعنًى ، كقوله تعالى : ﴿يخادعون الله وهو خادعهم﴾ وقوله تعالى : ﴿يخرج الحىّ من الميت ويخرج الميت من الحىّ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم﴾ وقوله تعالى : ﴿كلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾ .

والثانى : أن تتفقا كذلك معنًى ، لا لفظًا ، وكان بينهما وجه جامع ، كقوله تعالى : ﴿وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانًا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنًا﴾ فقد عطف قوله : ﴿قولوا﴾ على قوله : ﴿لا تعبدون﴾ فهما وإن اختلفا لفظًا فى كون أحدهما خبراً ، والآخر إنشاءً ، ولكن لم يختلفا معنى ؛ لأن ﴿لا تعبدون﴾ بمعنى " لا تعبدوا " فيكون إنشاءً معنًى ، وهذا أبلغ من صريح النهى ، فكأنّ المخاطب أخذ يعمل بهذا النهى ، وأمّا عامل ﴿إحسانًا﴾ فإمّا " وتحسنون " بمعنى أحسنوا ، فيكون مثل لا تعبدون ، أو صريح الأمر ، وهو " أحسنوا " فيوافق " لا تعبدون " معنًى ، وإن خالفه لفظًا .

وقد ذكرنا أنه لو لم يوجد الجامع بين الجملتين يكون بينهما كمال الانقطاع ، ووجب الفصل ، فحان أن نشرح ذلك الجامع ، ونقول :

١- والجامع بين الجملتين يجب أن يكون باعتبار الطرفين (المسند إليه والمسند) فيهما جميعًا، كقولك: يشعر زيد ويكتب، ويعطى ويمنع (فى الجملة الفعلية) وقولك: زيد شاعر وعمرو كاتب، وزيد طويل وعمرو قصير (فى الجملة الاسمية) هذا إذا كان بين زيد وعمرو مناسبة الأخوة، أو الصداقة، بل أو العداوة، كما أن بين الكتابة والشعر، وبين الطول القصر مناسبة بخلاف، زيد شاعر وعمرو كاتب، بدون المناسبة بين زيد وعمرو، فإنه لا يصح الوصل، وإن كان المسندان (شاعر وكاتب) متناسبين، وكذلك لا يصح الوصل فى قوله: "زيد شاعر وعمرو طويل" مطلقًا (سواء كان بين زيد وعمرو مناسبة أم لا؟ لأنه لا يكون بين المسندين (شاعر وطويل) مناسبة، وعليه قوله تعالى: «إن الّذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون» لأنه قطع وفُصِل عما قبله، فإنه كلام فى شأن الذين كفروا، وما قبله كلام فى شأن القرآن قصدًا وأولا.

٢- أنواع الجامع بين الجملتين

والجامع بين الجملتين على ثلاثة أنواع: عقلى، ووهمىّ، وخيالىّ، وقبل تفصيل وتمثيل هذه الأنواع لا بد من تمهيد يُسهّل لنا المباحث القادمة حول الجامع.

١- ومن القوى المدركة العقل: وهى القوة العاقلة المدركة للكليات.

٢- ومنها الوهم: وهى القوة المدركة للمعانى الجزئية الموجودة فى المحسوسات، من غير أن يتأدّى إليها من طرق الحواس الظاهرة، كإدراك العداوة أوالصداقة من زيد مثلا.

٣- ومنها الخيال : وهى قوة تجتمع فيها صور المحسوسات ، وتبقى فيها بعد غيبتها عن الحس المشترك .

٤- ومنها الحسّ المشترك : وهى القوة التى تتأدى إليها صور المحسوسات من طرق الحواس الظاهرة فتدركها ، وهى الحاكمة بين المحسوسات الظاهرة ، كالحكم بأن هذا الأصفر (لونًا) هو هذا الحلو (طعمًا) ، والمراد بالصور ما يمكن إدراكه بإحدى الحواس الظاهرة ، والمراد بالمعانى ما لا يمكن إدراكه بها .

٥- ومنها المفكّرة : وهى القوة التى لها استطاعة التفصيل والتركيب بين الصور المأخوذة من الحسّ المشترك ، وبين المعانى المدركة بالوهم بعضها مع بعض ، وهذه القوة دائمًا لا تتعطل ، لا نومًا ولا يقظةً ، ولا يكون عملها منتظمًا ، بل النفس تستعملها على أىّ نظام تريد ؛ فإن استعملتها بواسطة القوة الوهمية ، فهى المتخلية ، وإن استعملتها بواسطة القوة العاقلة وحدها ، أو مع القوة الوهمية ، فهى المفكّرة[1] .

هذه وما بعدها من المباحث المنطقية التى خلطها السكاكى بالبلاغة وعقّدها ، وكدّر مشرعها ، ثم جاء التفتازانى العلامة ، فألقى الملح على الجراحة ، وفصّلها وطوّلها وأغفل الدارس والمدرس عن المسائل البلاغية والأدبية الصّافية التى يُستمدّ منها فى إدراك كلام الله تعالى ، وفهم سنة رسوله ﷺ .

١- والجامع العقلى : هو أمر بسببه يقتضى العقل اجتماع الأمرين فى القوة المفكّرة ، وذلك الاجتماع : (١) إما أن يكون بسبب اتحادهما فى التصور ، نحو زيد كاتب ، وهو شاعر .

---

(١) المطول ص٣٤٩ طبع القاهرة بترتيب وتغيير وتسهيل .

(٢) أو يكون بسبب التماثل، وهو اشتراكهما فى وصف له نوع اختصاص بهما، كما تقول زيد ضاحك وعمرو ضاحك، فإن العقل بسبب تجريدهما عن التشخص الذى يكون لهما فى الخارج يرفع ويزيل التعدد عنهما، فيصيران متحدين (يعنى إنسانًا ضاحكًا).

(٣) أو يكون لأجل تضايف بينهما، وهو كون الأمرين بحيث لا يمكن تصور كل منهما إلا بعد تصور الآخر، كتضايف العلة والمعلول، مثل طلوع الشمس ووجود النهار، والنار والحرارة، وتضايف الأقل والأكثر، نحو الأربعة والثمانية، فإن عدد الأربعة يفنى قبل الثمانية، فالأول أقل بالنسبة إلى الثانى، كما أن الثانى أكثر بالنسبة إلى الأول.

٢- والجامع الوهمى: هو أمر يتخيّل الوهم بسببه اجتماع الأمرينِ عند المفكرة، وهو (١) إمّا أن يكون بسبب أن بين تصورهما شبه التماثل (أى ظنّ الوهم اشتراكهما فى وصف خاص لهما) كالتماثل الموهوم بين لون البياض ولون الصفرة، فإن القوة الواهمة تُظهِرُ هذين اللونينِ فى معرض المثلين بأنهما نوع واحد، وإن كان بينهما تباين عقلى فى الواقع.

ولأجل ذلك (أى المماثلة الوهمية) حَسُنَ الجمع بين الثلاثة (الآتية) فى قول الشاعر:

ثلاثــة تشرق الــدنيــا ببهــجتهــا   شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر

فالقوة الواهمة تحكم بتماثل هذه الثلاثة، وكونها من نوع واحد، مع اختلافها فى العوارض، وأمّا العقل فيحكم بتباينها.

(٢) أو يكون ذلك الجامع الوهمى بسبب التضاد بين تصور الأمرين، وهو التقابل بين الشيئين الوجوديين بحيث يتعاقبان (يأتى كلّ واحد عقب الآخر) على محل واحد، كالتضاد بين السواد والبياض فى المحسوسات،

وبين الإيمان والكفر فى المعقولات.

فإن الإيمان: هو تصديق النبى ﷺ فى جميع ما عُلِم مجيئه عليه السلام به بالضرورة يعنى قبول النفس لذلك بالاختيار، والإذعان له، وأمّا الكفر فهو إنكار شىء من ضروريات الدين، وكالتضاد بين ما يتّصف بالصفات المذكورة مثل الأبيض والأسود، والمؤمن والكافر.

(٣) أو يكون بسبب شبه التضاد بينهما، كالسماء والأرض (فى المحسوسات) فإنهما وجوديان: أحدهما: فى غاية الارتفاع، والآخر: فى غاية الانحطاط، وهذا هو معنى شبه التضاد، وليسا بمتضادّين؛ لعدم ورودهما على محل واحد.

وكـ "الأول" و "الثانى" (فيما يعمّ المحسوسات والمعقولات) فإن معنى "الأول" هو الذى يكون سابقًا على الغير، ولا يكون قبله شىء، ومعنى "الثانى" هو الذى يكون مسبوقًا بواحد، أى كان قبله واحد فقط، فصارا مشابهين للمتضادين باعتبار اشتمالهما على وصفين لا يمكن اجتماعهما.

وإنما جعل التضاد وشبهه جامعًا وهميًا؛ لأن الوهم ينزّلهما منزلة التضايف، فإنه لا يحضر أحد المتضادين أو الشبهين بهما عند الوهم إلا ويحضره الضد الآخر أو المشابه بالضدّ الآخر، ولذلك تجد الضدّ أقرب خطورًا بالبال عند حصول الضد الآخر.

٣- والجامع الخيالى: هو أمر يقتضى الخيال بسببه اجتماعهما فى المفكّرة، وذلك الجامع إنما يكون بين الجملتين بسبب تقارن سابق -على العطف- بين تصورهما فى الخيال، وأسباب التقارن مختلفة، ولأجل اختلاف الأسباب اختلفت الصور الثابتة فى الخيالات ترتّبا ووضوحًا.

فكم من صور لا انفكاك بينها فى خيال زيد، وهى فى خيال عمرو

لا تجتمع أصلا، وكم من صور لا تغيب عن خيال، وهى فى خيال أخر لا تكاد تلوح، كما يحكى عن وراّق يصف حاله، ويقول:

عيشى أضيق من محبَرَة، وجسمى أدقّ من مسطرة، وجاهى أرقّ من الزجاج، وحظّى أخفى من شقّ القلم، وبدنى أضعف من قصبة، وطعامى أمرّ من العَفْصِ[1]، وشرابى أشدّ سوادًا من الحبر، وسوء الحال ألزم من الصمغ[2].

ولصاحب علم المعانى فضل احتياج وكثرة حاجة إلى التنبّه لأنواع الجامع؛ لأن معظم أبواب علم المعانى وهو "باب الفصل والوصل"، مبنى على الجامع، وخصوصًا حاجته إلى الجامع الخيالى، فإن جمعه على مجرى الإلف والعادة بحسب انعقاد الأسباب فى إثبات الصور فى الخيال.

مثال الجامع الخيالى:

هو كالجمع بين الإبل، والسماء، والجبال، والأرض فى قوله تعالى: ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رُفعت وإلى الجبال كيف نُصِبت وإلى الأرض كيف سُطِحت﴾ بالنسبة إلى أهل الوبر، فإنّ جلّ انتفاعهم فى معاشهم من الإبل، فتكون عنايتهم مصروفة إليها، وانتفاعهم منها لا يحصل إلا بأن ترعى الإبل وتشرب، وذلك بنزول المطر، فيكثر تقلّب وجوههم فى السماء، ثم لا بدّ لهم من مأوى يؤويهم، وحصن يتحصّنون به، ولا شيء لهم فى ذلك كالجبال، ثم لا غنى لهم (لتعذّر مكثهم فى منزل واحد) عن التنقل من أرض إلى أرض، فإذا فتّش البدوى فى خياله وجد

---

(١) العفص: شجرة البلّوط، وثمرها مرّجدًا. (المعجم الوجيز ص٤٢٥)

(٢) مادة لزجة تسيل من بعض الأشجار، ويستعمل فى إلصاق الأوراق. (المعجم الوجيز ص٣٧٠)

صور هذه الأشياء حاضرة فيه على الترتيب المذكور، بخلاف الحضرى؛ فإنه إذا تلا هذه الآيات قبل الوقوف على ما ذكرنا ظنّ النسق معيبًا؛ لجهله بما يكون فى خيال البدوى من الترتيب.

محسّنات الوصل

وما ذكرنا سابقًا من الجامع العقلى والوهمى والخيالى كان من مصحّحات ومجوّزات الوصل، وأما الآن فنذكر محسّنات الوصل ومزيّناتِه.

ومن محسّنات الوصل تناسب الجملتين فى الاسمية، -بأن تكونا اسميتين- والفعلية -بأن تكونا فعليتين- وفى المضى والمضارعة، بأن يكون الفعل فى كل واحدة منهما ماضيًا أو مضارعًا، إلا لمانع، كما إذا أريد بإحداهما التجدد، وذكرت لأجله الجملة الفعلية، وبالأخرى الثبوت وجىء بالجملة الاسمية، فيقال: "قام زيد، وعمرو قاعد"، أو يراد فى إحداهما المضى وفى الأخرى المضارعة، فيقال: "زيد قام وعمرو يقعد"، أو يراد فى إحداهما الإطلاق، وفى الأخرى التقييد بالشرط، كقوله تعالى: ﴿قالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكًا لقضى الأمر﴾ فجملة "لقضى الأمر" معطوفة على "قالوا" لكون شرطه (ولو أنزلنا ملكًا) معطوفًا على قالوا مع أن "قالوا" ليست جزاءً لشرط ومقيّدة به، وأمّا "لقضى الأمر" مقيّدة به وجزاء له.

التمرين

١- عرّف الفصل والوصل، وبيّن أهمية هذا الباب عند البلغاء.

٢- أوضح الفرق بين الكلام والجملة.

٣- اذكر شرط عطف الجملة على الجملة، ومثّل له.

٤- لما ذا لم يُعطف ﴿الله يستهزئ بهم﴾ على سابقه ﴿إنا معكم﴾ .

٥- اذكر أمثلة للصور الستة للفصل والوصل .

٦- بيّن وجوه وجوب الفصل فى صورة كمال الانقطاع، وكمال الاتصال مع الأمثلة .

٧- ما هى وجوه وجوب الفصل فى صورتى شبه كمال الانقطاع، وشبه كمال الاتصال؟ مثّل لها .

٨- اذكر أقسام الاستئناف الثلاثة مع الأمثلة .

٩- كم طريقًا للاستئناف بيّنها مع الأمثلة؟

١٠- ما ذا تعرف بالنسبة إلى حذف الاستئناف؟

١١- لما ذا أُستُشهد بقول الشاعر؟

زعمتم أنّ إخوتكم قريش لهم إلف وليس لكم إلاف

١٢- ولما ذا يجب الوصل فى كمال الانقطاع حين إيهام خلاف المقصود، وفى حالة التوسط بين كمال الانقطاع، وكمال الاتصال؟

١٣- ولما ذا لا يصح الوصل فى قوله: "زيد شاعر وعمرو طويل"؟

١٤- ما هى المُدركات الخمس التى درستها قبل أنواع الجامع؟

١٥- ما هى أنواع الجامع بين الجملتين؟ اذكرها مع تعريفاتها وأمثلتها .

١٦- ما هو الجامع بين هذه الثلاثة؟

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر

١٧- اذكر أسباب الجامع الوهمى، كم هى؟

١٨- ما هو الجامع بين هذه الآيات فى قوله تعالى: ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل . . . . .﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وإلى الأرض كيف سطحت﴾؟

١٩- اذكر أمثلةً للمانع عن محسّنات الوصل .

بحث و صل الحال بذى الحال

ومما يتصل بباب الفصل والوصل القول فى الجملة إذا وقعت حالا منتقلةً (غير لازمة لذى الحال) فإنها تجىء تارةً بالوصل (بالواو) وتارةً بالفصل (بدون الواو).

١- واعلم أن الحال على قسمين: (١) لازمة لذى الحال وغير منتقلة عنه، وتسمّى بالحال المؤكدة أيضًا، نحو زيد أبوك عطوفًا.

(٢) ومنتقلة عن ذى الحال غير لازمة له، نحو جاء زيد راكبًا.

٢- والأصل فى الحال المنتقلة أن تكون بغير واو لوجوه: (١) الأول: أن إعرابها ليس بتابع لإعراب ذى الحال، وما ليس إعرابه تابعًا لا يدخله الواو، فإن هذه الواو وإن كانت تسمّى واو الحال، ولكن أصلها العطف.

(٢) الثانى: أن الحال فى المعنى حكم على ذى الحال، كالخبر بالنسبة إلى المبتدأ، إلا أن الحكم بالخبر يحصل بالأصالة، لا فى ضمن شىء آخر، والحكم بالحال يحصل فى ضمن عامل ذى الحال، فإن الركوب مثلا فى "جاء زيد راكبًا" محكوم به على زيد، لكن لا بالأصالة، بل بالتبعية؛ فإنه قيد وتابع للمجىء، بخلاف "راكب" فى قولنا: "زيد راكب"، فإنه محكوم به بالأصالة، من غير أن يكون قيدًا لشىء آخر.

(٣) الثالث: أن الحال فى الحقيقة وصف لذى الحال، فلا يدخلها الواو، فكما أنه لا يدخل الواو بين المبتدأ والخبر، ولا بين النعت والمنعوت، فكذلك لا يدخل بين الحال وذى الحال.

فثبت أن أصل الحال أن تكون بغير واو، ولكن خولف هذا لأصل إذا

كانت الحال جملة، فإنها لأجل أنها جملة مستقلة بالإفادة تحتاج إلى ما يربطها بصاحبها، وكلٌّ من الضمير (الراجع إلى ذى الحال) والواو صالح للربط بينهما، ولكن الأصل والراجح هو الضمير، بدليل الاكتفاء به فى الحال المفردة، والخبر، والنعت.

أنواع الجملة الحالية

والجملة التى تقع حالا ضربان: ١- خالية عن ضمير ما تقع حالا عنه، نحو قام زيد، وعمرو قاعد.

٢- وغير خالية عنه، نحو جاءنى زيد وهو راكب.

أمّا الأولى: فيجب أن تكون بالواو، لئلا تصير منقطعة عن ذى الحال وغير مرتبطة به.

وكل جملة خالية عن ضمير (اسم يجوز أن تكون الجملة منصوبة محلا وحالا عن ذلك الاسم) يصح أن تقع تلك الجملة حالا عنه إذا كانت مع الواو، مثالها: ما مرّ من قولنا: "قام زيد، وعمرو قاعد" إلا الجملة المصدّرة بالمضارع المثبت، كقولك: "جاء زيد ويتكلم عمرو" على أن يكون "ويتكلم عمرو" حالا عن "زيد" فإن كونها حالا عنه ممتنع؛ لما سيأتى ومن أن ارتباط مثلها يجب أن يكون بالضمير وحده.

وأمّا الثانية: ففيها أربع صور: ١- تارةً يجب أن تكون بالواو ٢- وتارةً يمتنع ذلك ٣- وتارةً يترجح أحدهما ٤- وتارةً يستوى الأمران.

ولا شك أن الواو غير منافٍ للضمير فى إفادة الربط، فلا بد من التنبيه على أسباب الاختلاف بين الواو والضمير فى محلّ لا يجتمعان.

١- فإن كانت الجملة فعلية : والفعل مضارع مثبت امتنع دخول الواو عليها، نحو قوله تعالى : ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ (أى لا تعط أحدًا شيئًا حال كونك تطلب أكثر مما أعطيت) وقوله تعالى : ﴿ونذرهم فى طغيانهم يعمهون﴾ لأن الأصل فى الحال المفردةُ؛ (لأصالة المفرد فى الإعراب ووقوع الجملة موقعه)، والحال المفردة تدل على ثلاثة أمور : ١- على حصول صفة، أى معنى قائم بالغير؛ لأنها لبيان هيئة الفاعل أو المفعول به، والهيئة معنى قائم بالغبر.

٢- وعلى حصول صفة غير ثابتة؛ لأن الكلام فى الحال المنتقلة.

٣- وعلى أن يكون ذلك الحصول مقارنًا مع عامل الحال باعتبار الزمان؛ لأن الغرض من ذكر الحال تخصيص عاملها بوقت حصول مضمونها، وهذا هو معنى المقارنة بين الحال وعاملها، والمضارع المثبت كذلك، أى دال على حصول صفة غير ثابتة مقارن لعامله (أى لما جعلت الحال قيدًا له) كما تكون الحال المفردة كذلك، فيمتنع الواو فيه كامتناعه فى الحال المفردة.

أمّا دلالته على حصول صفة غير ثابتة : فلأنه فعل، فيدلّ على التجدد وعدم الثبوت، ومثبت : فيدلّ على الحصول، وأمّا دلالته على المقارنة فلكونه مضارعًا، فيصلح للحال، كما يصلح للاستقبال، فإذا أريد منه الحال، فيُقيّد عامله بالحال، وإذا أريد منه الاستقبال، فيقيّده بالاستقبال، فوجب أن يكون الفعل المضارع المثبت الواقع حالا بالضمير وحده كالمفردة، فلهذا امتنع نحو "جاء زيد ويتكلم عمرو" بالواو وحده.

الجواب عن سؤال مقدّر

وأمّا ما جاء من نحو قول بعض العرب : "قمت وأصكّ وجهه" وقول

الشاعر[1]:

فلمـا خـشـيـتُ أظافـيـرهـم نجـوتُ وأرهنهم مـالـكًا

(أى فلمّا خشيتُ أسلحتَهم حصلتُ النجاة حال كونى قد رهنتُ عندهم رجلا اسمه مالك).

١- فقيل (فى الجواب): إنهما على حذف المبتدأ -وهو ضمير أنا- أى وأنا أصكّ وجهه، وأنا أرهنهم.

٢- وقيل: الأول (وأصك وجهه) شاذّ، والثانى (وأرهنهم) للضرورة الشعرية.

٣- وقال الشيخ عبد القاهر (فى الجواب): ليست الواو فيهما للحال، بل هى للعطف، أى أصكّ بمعنى صككت وأرهن بمعني رهنت، ولكن الغرض من ذكرهما على صيغة المضارع حكايةً للماضى بلفظ المضارع تقريبًا إلى الأذهان، وتسهيلا على الأفهام، فكأنّ ما كان فى الزمان الماضى واقع فى هذا الزمان، بل أمام المخاطب، وهذا من محاسن البلاغة وجمالها.

وإن كان الفعل مضارعًا منفيًا، فيجوز فيه الأمران من غير ترجيح؛ لدلالته على المقارنة؛ لكونه مضارعًا، وعدم دلالته على الحصول؛ لكونه منفيًا.

أمّا مجيئه بالواو فكقوله تعالى فى قراءة ابن ذكوان: ﴿فاستقيما ولا تتبعان﴾ بتخفيف النون فيكون "لا" للنفى دون النهى؛ لثبوت النون الإعرابى التى هى علامة الرفع، فلا يصح عطفه على الأمر الذى قبله، فتكون الواو للحال، بخلاف القراءة العامّة بالتشديد؛ فإنه نهى مؤكد بنون الثقيلة معطوف على الأمر الذى قبله.

---

(١) عبد الله بن همّام السلولى.

ومن مجيئه بالواو قول مسكين الدارمي الشاعر :

أكْسَبْتُه الوَرِق البيض أبًا ولقد كان ولا يُدعى لأب

فقوله : " ولا يدعى " حال عن ضمير كان مع الواو ، وأمّا مجيئه بغير واو : فكقوله تعالى : ﴿وما لنا لا نؤمن بالله﴾ أى أىّ شىء ثبت لنا حال كوننا غير مؤمنين بالله ، فالفعل المنفى حال بدون الواو ، وقول خالد بن يزيد ابن معاوية :

لو أن قومًا لارتفاع قبيلة دخلوا السّماء دخلتها لا أُحْجَبُ

وإن كان الفعل ماضيًا (مثبتًا كان أو منفيًا) لفظًا أو معنًى ، فكذلك يجوز فيه الأمران من غير ترجيح ، أمّا مجيئه بالواو (فى الماضى لفظًا ومثبتًا) ، فكقوله تعالى : ﴿أنّى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر﴾ ، وقوله تعالى : ﴿أنّى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرًا﴾ ، وقوله تعالى (فى الماضى معنًى ومنفيًا) : ﴿أنّى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر﴾ ، وقوله تعالى : ﴿فانقلبوا بنعمةٍ من الله وفضل لم يمسسهم سوء﴾ وقوله تعالى : ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنّة ولمّا يأتِكم مثل الذين خلوا من قبلكم﴾ .

وأمّا مجيئه بلا واو فكقوله تعالى : ﴿جاءوكم حصرت صدورهم﴾ ، وقول الشاعر أبو صخر الهندى :

وإنّى لتعرُونى لذكراك هزّة كما انتفض العصفور بلّله القطر

فإن قوله : " بلّله القطر " حال عن العصفور من غير واو .

السبب فى جواز الأمرين فى الماضى واشتراط "قد" فيه

١ - أمّا السبب فى جواز الأمرين فيه إذا كان مثبتًا ، فلدلالته على

حصول صفة غير ثابتة؛ لكونه فعلا، وعدم دلالته على المقارنة لكونه ماضيًا، ولهذا (لأجل كونه ماضيًا) اشترط فيه أن يكون مع "قد" ظاهرةً أو مقدرة حتى تقرّب الماضى إلى الحال، فيصحّ وقوعه حالا.

مثال "قد" ظاهرةً قوله تعالى: ﴿قال رب أنّى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر﴾، ومثالها مقدّرة قوله تعالى: ﴿حصرت صدورهم﴾ أى جاءوكم حال كونهم قد حصرت صدورهم.

٢- والسبب فى جواز الأمرين فى الماضى المنفى لدلالته على المقارنة دون الحصول، أما دلالته على المقارنة فلأن "لمّا" للاستغراق أى امتداد النفى من حين الانتفاء إلى زمان التكلم.

وأمّا المنفى بغير "لمّا" مثل "لم" و "ما"، فلأنه (أى غير "لمّا") لما دل على انتفاء متقدم على زمان التكلم، وكان الأصل استمرار ذلك الانتفاء ما لم توجد قرينة على انقطاعه (مثال وجود القرينة على عدم استمرار النفى، قولنا: لم يضرب زيد أمسِ، لكنّه ضرب اليوم) حصلت الدلالة على المقارنة عند الإطلاق عما يقطع الاستمرار، بخلاف الماضى المثبت، فإن وضع الفعل على أن يدل على التجدد، فإذا قلت: "ضرب" مثلا كفى فى صدقه وقوع الضرب فى جزء من أجزاء الماضى، بخلاف "ما ضرب" فإنه أفاد استغراق النفى لجميع أجزاء الزمان الماضى.

عدم حاجة استمرار النفى إلى الدليل

وتحقيق هذا أن استمرار العدم لا يفتقر إلى سبب (دليل) بخلاف استمرار الوجود؛ لأن بقاء الحادث -وهو استمرار وجوده- يحتاج إلى سبب

موجود؛ لأن الاستمرار عبارة عن وجودات متعاقبة، فلا بد لكل وجود من السبب، بخلاف استمرار العدم، فإنه عدم متصل، فلا يحتاج إلى سبب بل يكفيه مجرد انتفاء سبب الوجود، ولأن الأصل في الأمور الحادثة العدم ما لم يوجد سبب وجودها، وأمّا عدم دلالته (الماضى المنفى) على الحصول فلكونه منفيًا.

كون الحال جملةً اسميةً

وما ذكرنا من الصور والأمثلة على أساس أن تكون الحال جملة فعلية، وأمّا إذا كانت جملةً اسميةً، فالمشهور أنه يجوز فيها الأمران، ولكن مجىء الواو معها أولى.

١ - أمّا الأول (جواز ترك الواو) فلعكس ما ذكرناه فى الجملة المصدرة بالماضى المثبت، وهو دلالة الجملة الاسمية على المقارنة لكونها مستمرّة (إلى زمان التكلم)، وعدم دلالتها على حصول صفة غير ثابتة (بل دلالتها على حصول صفة ثابتة) لدلالتها على الدوام والثبات.

مثال مجىء الجملة الاسمية مع الواو، قوله تعالى: ﴿فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون﴾ وقوله تعالى: ﴿ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد﴾ وقول امرئ القيس:

أيقتلنى والمشرفى مضاجعى ومسنونة زرق كأنياب أغوال

ومثال الخلو من الواو ما رواه سيبويه: "كلّمته فوه إلى فىّ" و "رجع عَودُه على بدئه (برفع عَوْدُه)" لأن معنى "فوه إلى فىّ" حال كونه مشافهًا، ومعنى عودُه على بدئه حال كونه ذاهبًا فى طريقه الذى جاء منه.

وقول الشاعر:

ولو لا جَنان الليل ما آب عامر ... إلى جعفر سرباله لم يمزّق

وأمّا الثانى (أى كون مجىء الواو مع الجملة الاسمية أولى) فلعدم دلالة الاسمية على عدم الثبوت (لأنها تدلّ على الدوام والثبوت) مع ظهور الاستئناف فيها (أى الظاهر كونها جملة مستأنفة) لاستقلالها بالفائدة، فتكون زيادة الرابط (الواو) حسنًا ليتأكد الربط بين الحال وذى الحال.

وجوب الواو فى الجملة الاسمية الحالية

وقال الشيخ عبد القاهر: "إن كان المبتدأ (فى الجملة الاسمية الحالية) ضمير ذى الحال وجب الواو (فى تلك الجملة سواء كان خبره فعلا أو اسمًا) كقولك: "جاء زيد وهو يُسرع أو وهو مسرع" ولعلّ السبب فيه أن أصل الفائدة (من الجملة الحالية) كان يحصل بدون هذا الضمير، بأن يقال: جاءنى زيد يُسرع أو مسرعًا، فالإتيان بالضمير يشعر بقصد الاستئناف المنافى لاتصال الجملة بما قبلها، فلا يصلح الضمير لأن يستقلّ بإفادة الربط، فتجب الواو.

كثرة ترك الواو مع الجملة الاسمية

وقال الشيخ أيضًا: إن جعل نحو: "على كتفه سيف" (بتقديم الظرف فى المثال الآتى) حالا عن زيد، كما تقول: "جاء زيد على كتفه سيف" كثر فيها أن تجىء بغير واو كقول الشاعر:

إذا أنكرتنى بلدة أو نكِرتها ... خرجت مع البازى علىّ سواد

أى حال كونى مشتملا على بقية من ظلمة الليل، غير منتظر لإسفار

الصبح، فقوله: "علىّ سوادِ" حال تُرِك فيه الواو.

ثم قال: والوجه فى ترك الواو فى نحو هذا أن يكون الاسم (سواد) فى مثل هذا فاعلا للظرف (علىّ) لاعتماد الظرف على ذى الحال، لا أن يكون الاسم مبتدأ (وما قبله خبراً حتى تصير جملةً) فتكون الحال مفردة، لا جملة، فلا حاجة إلى الرابط وهو الواو، هذا حاصل كلام الشيخ.

حسن ترك الواو

ثمّ قال: ١- وتارةً يحسُن مجىء الجملة الاسمية بلا واو؛ لدخول حرف على المبتدأ؛ لأنه يحصل بذلك الحرف نوع من الارتباط مع ذى الحال، كما فى قول الفرزدق:

فقلتُ عسى أن تبصِرينى كأنّما　　　بَنِىّ حوالىّ الأسود الحوارد

والحوارد: الغواضب، فقوله: "بنى حوالىّ الأسود الحوارد" جملة اسمية، وقعت حالا من مفعول "تبصرينى" و"حوالىّ" ظرف وحال من "بنىّ"، فبسبب دخول "كأنّما" على المبتدأ حسن الكلام، ولم تبقَ الحاجة إلى الواو، فلو لم يكن حرف "كأنّما" لم يحسن الكلام من غير واو، نحو قولك: "عسى أن تبصرينى وبنىّ حوالىّ الأسود الحوارد".

٢- ويحسن الترك تارةً أخرى لوقوع الجملة الاسمية الواقعة حالا بعقب مفرد حال، كقول الشاعر:

والله يبقيك لنا سالمًا　　　بُرداك تبجيل وتعظيم

فقوله: "بُرداك تبجيل وتعظيم" حال، ولو لم يتقدمها "سالمًا" وهو حال مفردة لم يحسن فيها ترك الواو.

وهذا (أى المذكور من أولوية الواو وجواز تركها وحسن تركها) كلّه إذا

لم يكن صاحبها نكرةً مقدمةً عليها ، فإن كان كذلك (نكرةً مقدمة عليها) نحو : "جاءنى رجل وعلى كتفه سيف" وجب الواو ؛ لئلا تلتبس الحال بالنعت .

التمرين

١- اذكر أقسام الحال مع بيان الفرق بين الحال المنتقلة والحال المؤكدة (اللازمة) .

٢- ما هى الوجوه الثلاثة التى تكون الحال المنتقلة لأجلها بغير واو ، وما هو الأصل فى الحال المنتقلة ، ومتى خولف هذا الأصل ؟

٣- كم قسمًا للجملة الحالية ؟ وما هو حكم كل واحد منها ؟

٤- ما هى الصور الأربعة للجملة الحالية المشتملة على الضمير ؟

٥- اذكر مواضع دخول الواو وامتناعه فى الجملة الفعلية الحالية .

٦- ما هو السؤال المقدّر ، وكم جوابًا له (فى نحو قول بعض العرب : "قُمتُ وأصكّ وجهه") ؟ وما هو جواب الشيخ عبد القاهر ؟

٧- اذكر أمثلة المضارع المنفى مع الواو ، وبدون الواو .

٨- لما ذا أُستْشهِد بقول الشاعر :

لو أنّ قومًا لارتفاع قبيلة   دخلوا السماء دخلتها لا أحجَبُ

٩- ما هو سبب جواز الأمرين فى الماضى ، واشتراط "قد" فيه ؟

١٠- لما ذا لا يحتاج استمرار النفى إلى دليل ؟

١١- بيّن وجه جواز الأمرين فى الجملة الاسمية وأولية الواو فيها ؟

١٢- متى يجب الواو فى الجملة الاسمية ؟

١٣- اذكر مثالا لكثرة ترك الواو جوازًا فى الجملة الاسمية ، ومثالا لحسن تركه .

بحث الإيجاز والإطناب والمساواة

تعسّر تعريف "الإيجاز والإطناب":

قال السكاكى: أمّا الإيجاز والإطناب: فلكونهما نسبين (من الأمور النسبية التى يتوقف إدراك كل واحد منها على إدراك الآخر، كالأبوة والبنوة) لا يتيسّر الكلام (التعريف) فيهما إلا (بأمرين):

(١) ترك التحقيق (والتعيين على أن هذا المقدار من الكلام إيجاز وذلك إطناب؛ لأنهما إضافيان ليس لهما حدّ معيّن يتوقفان عنده).

(٢) والبناء (أى بناء تعريفهما) على أمر عرفى (أى حدّ يعرفه أهل العرف) وهو جعل كلام الأوساط أصلا ومقيسًا عليه وعرفًا فيما بينهم فى تأدية المعانى، ويسمّى هذا متعارف الأوساط (الذين ليسوا فى أعلى مرتبة البلاغة، ولا فى غاية الفهاهة والعجز) وهذا الكلام فى باب البلاغة لا يذمّ منهم ولا يحمد.

فالإيجاز: هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط.

والإطناب: هو أداءه بأكثر من عباراته، سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة إلى الجمل، أو إلى غيرها، ثمّ قال: الاختصار لكونه من الأمور النسبية يُرجع فيه تارةً إلى ما سبق من كون عبارة المتعارف أكثر منه، وتارةً أخرى إلى كون المقام خليقًا بأبسط وأطنب منه، يعنى أن الإيجاز قد يكون بسبب كون الكلام أقلّ من متعارف الأوساط، وقد يكون لأجل كونه أقل مما يقتضيه المقام ظاهرًا.

إشكال القزوينى على كلام السكاكى

وفيه نظر (أمّا أولا) فلأن كون الشيء نسبيًا لا يقتضى أن لا يتيسر الكلام فيه إلا بترك التحقيق والتعيين، وإلا بالبناء على شيء عرفى؛ إذ كثيرًا ما يتحقق معانى الأمور النسبية وتعرّف بتعريفات تليق بها، كالأبوة والبنوة وغيرهما.

جواب التفتازانى: والجواب أن السكاكى لم يرد تعسّر معناهما؛ لأن ما ذكره (من التعريفين) بيان لمعناهما، بل أراد تعسّر التعيين والتنصيص بأن هذا القدر من الكلام إيجاز، وذلك إطناب.

وأمّا ثانيًا فلأن البناء على المتعارف بأن يكون الإيجاز هو الأداء بأقل من المتعارف، أو البناء على البسط الموصوف بأن يكون الإيجاز هو الأداء بأقل مما يقتضيه المقام من البسط ردّ إلى الجهالة، فكيف يصلح للتعريف؟ إذ لا تعرف كمية متعارف الأوساط، ولا كيفيتها؛ لاختلاف طبقاتهم، ولا يُعرف أن كلّ مقام أىّ مقدار يقتضى من البسط حتى يُقاس عليه ويُرجع إليه.

والجواب أن الألفاظ قوالب المعانى، والأوساط الذين لا يقدرون عند تأدية المعانى على اختلاف العبارات (إيراد العبارات المختلفة)، ولا على التصرّف فى لطائف التعبيرات لهم حدّ معلوم من الكلام يجرى بينهم فى المحاورات والمعاملات، وهذا الحد معلوم للبلغاء وغيرهم، فالبناء على المتعارف واضح بالنسبة إلى الأوساط والبلغاء جميعًا.

وأمّا البناء على البسط الموصوف (أى كون الكلام أقل مما يقتضى المقام بسطه) فإنما هو للبلغاء العارفين بمقتضيات الأحوال بقدر ما يمكن لهم، فما

يقتضى كل مقام من مقدار البسط لا يكون مجهولا عندهم، فبناء التعريف على متعارف الأوساط، أو على البسط الموصوف لا يكون ردّا إلى الجهالة، ولا تعريفًا بالمجهول.

تعريف المساواة والإيجاز والإطناب

والأقرب إلى الفهم أن يقال: المقبول من طرق التعبير عن المعنى المراد ثلاث: (١) تأدية أصل المراد بلفظ مساوٍ له، فهى المساواة. (٢) وبلفظ ناقص عنه وافٍ، وهى الإيجاز. (٣) وبلفظ زائد عليه لفائدة، وهى الإطناب.

شرح التعريفات: ١- والمراد بـ "المساواة" أن يكون اللفظ بمقدار أصل المراد، لا ناقصًا عنه بحذف أو غيره، كما سيأتى، ولا زائدًا عليه، بنحو تكرير، أو تتميم، أو اعتراض.

٢- وقولنا: "وافٍ" احتراز عن الإخلال، وهو أن يكون اللفظ قاصرًا عن أداء المعنى.

٣- وقولنا: "لفائدة" احتراز عن التطويل والحشو، فالتطويل: هو أن لا يتعين الزائد فى الكلام، والحشو: هو أن يتعيّن الزائد فيه.

مثال الإخلال: قول الشاعر:

والعيش خير فى ظلا ... لِ النّوك ممن عاش كدّا

فإنه أراد أنّ العيش الناعم فى ظلال الحمق وقلة العقل خير من العيش الشاقّ فى ظلال العقل، ولكنه أخلّ كما ترى.

ومثال التطويل: قول الشاعر:

" وألفى قولها كذبًا ومينًا "

فالكذب والمين واحد، ولا يتعيّن الزائد منهما.

والحشو له نوعان: حشو مفسد للمعنى، وغير مفسد له.

١- مثال الحشو المفسد: كقول أبى الطيب:

ولا فضل فيها للشجاعة والندى　　　وضرب الفتى لولا لقاء شعوبِ[1]

فإن لفظ "الندى" فيه حشو يفسد المعنى؛ لأن المعنى أنه لا فضل فى الدنيا للشجاعة والصبر والندى (البذل) لولا الموت، وهذا الحكم صحيح فى الشجاعة دون الموت؛ لأن الشجاع لو علم أنه يخلد فى الدنيا لم يخشَ من الهلاك فى الإقدام، فلم يكن لشجاعته فضل، بخلاف الباذل ماله؛ فإنه إذا علم أنه يموت سَهل عليه، وهان بذل ماله، ولهذا لو عوتب فى البذل، يقول: كيف لا أبذل شيئًا أنا لا أبقى له، ولأجل خوف الموت، قال الشاعر:

فإن كنتَ لا تستطيع دفع منيّتى　　　فذرنى أبا درها بما ملكت يدى

وأجاب البعض بأن المراد بـ "الندى" فى كلامه (فى البيت) بذل النفس لا بذل المال، فلا يكون لبذل النفس فضل عند عدم لقاء الموت، فلا عيب عليه.

ورُدّ هذا الجواب بأن لفظ "الندى" لا يكاد يستعمل فى بذل النفس، وإن استعمل فعلى وجه الإضافة، فأمّا مطلقًا فلا يفيد إلا بذل المال.

٢- مثال الحشو غير المفسد للمعنى، كقول الشاعر:

ذكرت أخى فعاودنى　　　صداع الرأس والوصب

فإنّ لفظ "الرأس" فيه حشو لا فائدة فيه؛ لأن الصداع لا يستعمل إلا فى الرأس، ولكن ليس بمفسد للمعنى، وكذلك قول الشاعر:

---

(١) أى لقاء الموت.

وأعلم علم اليوم والأمس قبله ولكنّنى عن علم ما فى غد عم[1]

فإن ذكر "قبله" بعد الأمس حشو، ولكن غير مفسد، وقول القائل: "أمّا أبصرتُه بعينى" و "سمعته بأذنى" فللتأكيد، فلا حشو.

أمثلة المساواة

١- قوله تعالى: ﴿ولا يحيق المكر السيّئ إلا بأهله﴾.

٢- وقوله تعالى: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره﴾.

٣- وقول النابغة الذبيانى:

فإنك كالليل الذى هو مُدرِكى وأن خِلتُ أن المنتأى عنك واسع

أى موضع البعد عنك ذو سعة، فلفظ الآية، والبيت مساوٍ لأصل المراد، لا زائد عنه، ولا ناقص.

أنواع الإيجاز وأمثلته

والإيجاز ضربان: إيجاز القصر: وهو ما ليس بحذف.

١- مثاله: قوله تعالى: ﴿ولكم فى القصاص حياة﴾ فإنه لاحذف فيه مع أن معناه كثير يزيد على لفظه؛ لأن المراد به: أن الإنسان إذا علم أنه متى قَتَلَ قُتِل كان ذلك داعيًا له قويًا إلى أن لا يُقدم على قتل أحد، فارتفع بالقتل الذى هو قصاص كثير من قتل الناس بعضهم لبعض، فكان فى ارتفاع القتل

(١) أعمى.

حياةً لهم.

وفضل قوله تعالى: ﴿ولكم فى القصاص حياة﴾ من ناحية الإيجاز والبلاغة على أوجز كلام كان عندهم فى أداء هذا المعنى -وهو قولهم: "القتل أنفى للقتل"- من ثمانية أوجه:

الأول: أن عدد حروف ﴿فى القصاص حياة﴾ مع التنوين أحد عشر، و "لكم" زائد من أصل المعنى، وعدد حروف "القتل أنفى للقتل" أربعة عشر.

والثانى: ما فيه من التصريح بالمطلوب الذى هو الحياة بالنص على "حياة"، فيكون أزجر عن القتل بغير حق؛ لكونه أدعى إلى الاقتصاص.

والثالث: ما يفيد تنكير "حياة" من التعظيم أو النوعية أىْ "لكم فى القصاص حياة عظيمة؛ لمنعه إيّاكم عمّا كنتم عليه من قتل الجماعة بواحد، أو لكم فى القصاص نوع خاص من الحياة، وهى الحياة الحاصلة لقاتل القاتل، فإنه لو لم يكن القصاص لقَتَلَ ورثة القاتل قاتل مورثهم (وهو وارث المقتول)، وهكذا، فحَصَلَ لهم نوع من الحياة بالارتداع عن القتل لأجل القصاص.

والرابع: اطراده وشموله جميع أنواع القتل الذى كان قصاصًا، بخلاف قولهم: "القتل أنفى للقتل"، فإنه لا بد من أن نخصّصه ونقول: "أى القتل لأجل القصاص أنفى للقتل بغير حق، لا القتل ظلمًا، فجميع أنواع القتل لا يكون أنفى للقتل.

والخامس: سلامته من التكرار الذى هو من عيوب الكلام، فإن لفظ "القتل" مكررفى قولهم: "القتل أنفى للقتل"، وليس فى الآية تكرار.

والسّادس: استغناءه عن تقدير محذوف، بخلاف قولهم، فإن تقديره: "القتل أنفى للقتل من تركه"؛ لأن اسم التفضيل "أنفى" يقتضى المفضل

عليه.

والسابع: أن فى "القصاص" و "الحياة" صنعة الطباق، وهى من المحسّنات البديعية.

والثامن: جَعل القصاص (فى الآية) كالمنبع والمعدن للحاية بإدخال لفظ "فى" على "القصاص".

والمثال الثانى لإيجاز القصر: قوله تعالى: ﴿هدًى للمتّقين﴾ أى هدًى للضالّين الصّائرين (إلى الهدى والتقوى بعد الضلال) وسبب حسن هذا الإيجاز أمران: تسمية الشىء "الضالين" باسم ما يؤول إليه "المتقين"، وتصدير السورة بذكر أولياء الله تعالى.

والثالث: قوله تعالى: ﴿أتُنَبِّئُونَ الله بما لا يعلم﴾ أى بما لا ثبوت له، ولا عِلْمُ اللهِ متعلق بثبوته؛ نفيًا للملزوم بنفى اللازم.

والرابع: قوله تعالى: ﴿ما للظالمين من حميم ولا شفيع يّطاع﴾ أى لا شفاعة ولا طاعة للكفار.

والخامس: من أمثلته قوله تعالى فيما يخاطب به النبى ﷺ: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ فإنه تعالى جمع فى هذه الآية مكارم الأخلاق، وأمر نبيه ﷺ بالامتثال بها.

والنوع الثانى: هو إيجاز الحذف: وهو الذى يكون بحذف شىء من الكلام.

أنواع المحذوف فى إيجاز الحذف:

والمحذوف على ثلاثة أنواع: جزء جملة، وجملة كاملة، وأكثر من جملة.

١ – وإذا كان المحذوف جزء جملة، فله أنواع ستة:

الأول: أن يكون مضافًا، كقوله تعالى: ﴿واسأل القرية﴾ أى أهل القرية، وكقوله تعالى: ﴿حُرِّمت عليكم الميتة﴾ أى تناولها؛ لأن الحكم الشرعى -وهى الحرمة- إنما يتعلق بأفعال المكلّف، لا بالأجسام.

والثانى: أن يكون موصوفًا، كقول الشاعر:

أنا ابن جــــلا وطلاع الثنايا   متى أضع العمامة تعرفونى

أى أنا ابن رجل انكشف وظهر أمره وهو ركّاب لصعاب الأمور، فالموصوف -وهو رجل- محذوف إيجازًا، والثنايا جمع ثنية، وهى العقبة، وجملة "جلا" (الفعل مع ضمير الفاعل) وقعت صفةً لموصوف محذوف.

والثالث: أن يكون صفةً، نحو قوله تعالى: ﴿وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبًا﴾ أى كل سفينة صحيحة أو صالحة، ونحوهما بدليل ما قبله ﴿فأردتُ أن أعيبها﴾، وقد جاء ذلك المحذوف مذكورًا فى بعض القراءات، قال سعيد بن جبير: كان ابن عباس رضى الله عنه يقرأ "وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبًا".

والرابع: أن يكون شرطًا كما مرّ فى آخر باب الإنشاء من الأمثلة الأربعة: (١) "ليتَ لى مالا أنفقهُ" أى إن أرزَقْ مالا أنفقْهُ (٢) "أين بيتك أزُرك" أى إن تعرّفنى بيتك أزرك (٣) "أكرمِنى أكرمْك" أى إن تكرمنى أكرمك (٤) "لا تشتم يكن خيرًا لك" أى إن لا تشتم يكن خيرًا لك.

والخامس: أن يكون المحذوف جواب شرط، وهو على ضربين: (١) أن يكون حذفه لمجرد الاختصار، كقوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون﴾ أى أعرضوا عن اتّقاء العذاب، والقرينة على حذفه ما بعده من قوله تعالى: ﴿وما تأتيهم من آية من آيات

ربهم إلا كانوا عنها معرضين﴾ .

(٢) أن يُحذف للدلالة على أن المحذوف شيء لا يحيط به الوصف (أى بيانه على وجه الكمال صعب جدّا) أو لتذهب نفس السامع فى تعيين المحذوف كل طريق ممكن، فلا يتصور السامع مطلوبًا أو مكروهًا إلا ويجوز أن يكون الأمر أعظم منه، كقوله تعالى: ﴿ولو ترى إذ وُقفوا على النار﴾ أى لرأيت أمرًا فظيعًا لا يمكن وصفه لأجل شدّته، وقوله تعالى: ﴿ولو ترى إذ وُقفوا على ربّهم﴾ .

والسّادس: أن يكون المحذوف غير ذلك المذكور (من أجزاء الجملة) كالمسند إليه، والمسند والمفعول وغيرها.

مثاله: كقوله تعالى: ﴿لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل﴾ أى ومن أنفق من بعده؛ بدليل ما بعده ﴿أولئك أعظم درجةً﴾ الآية، فالمحذوف (الموصول مع صلته) مسند إليه أى فاعل لقوله: ﴿لا يستوى﴾ .

وقوله تعالى: ﴿ربّ إنى وهن العظم منّى واشتعل الرأس شيبًا﴾ لأن أصله "يا ربّ إنى وَهَن العظم منّى واشتعل الرأس منّى"، فالمحذوف حرف النداء "يا" والمفعول بواسطة حرف الجرّ "منّى".

والثانى: أن يكون المحذوف جملة، أى كلامًا مستقلا لا يحتاج فى الإفادة إلى غيره، ولا يكون جزءًا لكلام آخر.

أنواع تلك الجملة المحذوفة:

وتكون تلك الجملة على ثلاثة أقسام: **الأول**: أن تكون مسبّبةً ذُكِرَ سببها، كقوله تعالى: ﴿ليحقّ الحقّ ويُبطل الباطل﴾ أى فعل الله ما فعل لأجل إحقاق الحق وإبطال الباطل، وقوله تعالى: ﴿وما كنت بجانب الطور إذا

نادينا ولكن رحمة من ربّك﴾ أى اخترناك للنبوة رحمةً من ربك .

والثانى: أن تكون سببًا ذُكِر مسبّبه، كقوله تعالى: ﴿فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم﴾ أى فامتثلتم أمر ربكم، فبسببه قبل توبتكم، وقوله تعالى: ﴿فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت﴾ أى فضرب الحجر بالعصا، فبسببه انفجرت منه اثنتا عشرة عينًا .

والثالث: أن تكون غير السبب والمسبب، كقوله تعالى: ﴿فنعم الماهدون﴾ أى هم نحن على ما مرّ فى "بحث الاستئناف" من أنه على حذف المبتدأ والخبر على قول من يجعل المخصوص خبر مبتدأ محذوف، لا على قول من يجعله مبتدأ مؤخرًا، والجملة الإنشائية خبرًا مقدمًا له، فالمحذوف فى هذه الآية جملة اسمية "هم نحن" فليست بسبب، ولا مسبّب لسابقها .

٣- وأمّا الثالث: فهو أن يكون المحذوف أكثر من جملة ١- كقوله تعالى: ﴿فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى﴾ أى فضربوه ببعضها، فحيِىَ، فقلنا: "كذلك يحيى الله الموتى"، فالمحذوف ثلاث جمل .

٢- وقوله تعالى: ﴿أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون يوسف أيّها الصّديق﴾ أى فأرسلونى إلى يوسف لاستعبره الرؤيا، فأرسلوه إليه، فأتاه، وقال له: يا يوسف!

٣- وقوله تعالى: ﴿فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذّبوا بآياتنا فدمّرناهم تدميرًا﴾ أى فأتياهم، فأبلغاهم الرسالة، فكذّبوهما، فدمّرناهم (الآية) .

أنواع الحذف

واعلم أن الحذف على وجهين: الأول: أن لا يقام شىء مقام

المحذوف، بل يكتفى بالقرينة والدليل، كما مرّ فى الأمثلة السابقة.

والثانى: أن يقام مقامه ما يدل عليه، كقوله تعالى: ﴿فإن تولّوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم﴾ فإنه ليس الإبلاغ "فقد أبلغتكم" هو الجواب للشرط؛ لأن الإبلاغ مقدّم على التولى، بل التقدير "فإن تولّوا فلا لوم علىّ؛ لأنى قد أبلغتكم، أو فلا عذر لكم عند ربكم لأنى قد أبلغتكم"، وقوله تعالى: ﴿وإن يكذّبوك فقد كذّبت رُسُل من قبلك﴾ أى فلا تحزن، واصبر؛ فإنه قد كذبت رسل من قبلك.

أدلة الحذف كثيرة

ثم الحذف لا بد له من دليل يدل عليه، وأدلته كثيرة: ١- منها أن يدل العقل على الحذف، ويدل المقصود الأظهر على تعيين المحذوف، كقوله تعالى: ﴿حُرّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير﴾ وقوله تعالى: ﴿حُرّمت عليكم أمّهاتكم﴾ فالعقل يدلّ على أن ههنا حذفًا؛ لأن الأحكام الشرعية (الحل والحرمة والكراهة) إنما تتعلق بالأفعال دون الأجسام، والمقصود الأظهر من هذه الأشياء المذكورة فى الآية تناولها، وهو شامل للأكل والشرب والانتفاع، فالمقصود الأظهر يرشد إلى أن التقدير: حُرّم عليكم تناول الميتة وغيرها، وحُرّم عليكم نكاح أمّهاتكم.

٢- ومنها أن يدل العقل على الحذف، وعلى تعيين المحذوف كليهما، كقوله تعالى: ﴿وجاء ربك﴾ أى أمر ربك، أو عذابه، أو بأسه، وقوله تعالى: ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام﴾ أى عذاب الله أو أمره.

فعقل المؤوّل المتأخر يدل على أن فى الكلام حذفًا، وأن المحذوف هو أمر الله، أو عذابه (وأمّا عقل المفوّض المتقدم لا يدل على الحذف وتعيينه، بل يفوّض مفهوم الآية ومرادها إلى الله ويؤمن بها).

٣- ومنها أن يدلّ العقل على الحذف، وتدل العادة على تعيين المحذوف، كقوله تعالى حكايةً عن امرأة العزيز: ﴿فذلكن الذى لُمتنّنى فيه﴾ فقد دل العقل على الحذف؛ لأن الإنسان إنما يلام على فعله وكسبه، فيحتمل أن يكون التقدير: لمتنّنى فى حبه بدليل قوله تعالى: ﴿قد شغفها حبّا﴾ أو يكون التقدير فى مراودته لقوله تعالى: ﴿تراود فتاها عن نفسه﴾ والعادة دلّت على تعيين المحذوف وهو المراودة؛ لأن الحبّ المفرط لا يلام الإنسان عليه فى العادة لقهره صاحبه وغلبته إياه، بل إنما يلام على المراودة الداخلة تحت كسبه التى يقدر أن يدفعها عن نفسه.

٤- ومنها أن تدل العادة على الحذف والتعيين كليهما، كقوله تعالى: ﴿لو نعلم قتالا لاتّبعناكم﴾ مع أنهم كانوا أخبر الناس بالحرب، فكيف يقولون: إنهم لا يعرفونها؟ فلا بد من حذف فى الكلام، وقدّره مجاهد رحمه الله مكان قتال، أى أنكم تقاتلون فى موضع لا يصلح للقتال، ويدل على هذا المحذوف أن المنافقين أشاروا على رسول الله ﷺ أن لا يخرج من المدينة، وأن الحزم فى البقاء فيها.

٥- ومنها الشروع فى الفعل، كقول المؤمن: "بسم الله الرحمن الرحيم" كما إذا قلتَ عند الشروع فى القراءة "بسم الله" فإنه يفيد أن المراد "بسم الله اقرأ" وكذا عند الشروع فى القيام والقعود أو أىّ فعل كان، فإن المحذوف يقدّر على حسب ما جعلت التسمية مبدأ له.

٦- ومنها اقتران الكلام بالفعل، فإنه يفيد تقدير المحذوف، كقولك لمن

أعرس: "بالرفاء والبنين" أى بالرفاء والبنين أعرست".

التمرين

١- لما ذا تعسّر الكلام حول تعريف الإيجاز والإطناب؟
٢- ما هو إشكال القزوينى على كلام السكاكى، وما هو جوابه؟
٣- عرّف المساواة والإيجاز والإطناب مع ذكر فوائد القيود.
٤- مثّل للإخلال والحشو والتطويل.
٥- اذكر أمثلة المساواة.
٦- كم نوعًا للإيجاز، وما هى أمثلته؟ قدّمها.
٧- كم وجوهًا لفضيلة ﴿ولكم فى القصاص حياة﴾ على قولهم: "القتل أنفى للقتل"؟
٨- كم نوعًا للمحذوف فى إيجاز الحذف؟ اذكرها كاملةً.
٩- بيّن أنواع الحذف وأدلّته.

الإطناب وطرقه

والإطناب: هو تأدية أصل المراد بلفظ زائد عليه لفائدة، وله ثمانية طرق معروفة:

١- الأول: أن يكون بالإيضاح بعد الإبهام، وللإيضاح فوائد:
١- إظهار المعنى وإراءته فى صورتين مختلفتين: إحداهما: مبهمة، والأخرى: مُوضحة.

٢- أن يتمكّن المعنى فى نفس السّامع أفضل تمكن وأزيده؛ لأن التفصيل بعد الإجمال، والإيضاح بعد الإبهام أوقع فى النفوس طبعًا.

٣- تكميل لذة العلم بالمعنى؛ فإن حصول الشيء بالإيضاح بعد الشوق والطلب الحاصل من الإبهام يكون ألذّ وأرغب.

٤- تعظيم الأمر المطلوب مثاله: نحو قوله تعالى: ﴿ربّ اشرح لى صدرى ويسّر لى أمرى﴾، فإن قوله: ﴿اشرح لى﴾ يفيد طلب شرح شيء مّا للطالب، وقوله: ﴿صدرى﴾ يفيد إيضاحه وبيانه، وكذلك قوله: ﴿ويسّر لى أمرى﴾ فإن فى ﴿يسّر لى﴾ إبهامًا، أى سؤال تيسير شيء له، وفى ﴿أمرى﴾ إيضاحًا وبيانًا له بأن المسؤول هو أمر الإرسال إلى فرعون؛ لأن المقام مقتضٍ للتأكيد، للإرسال المشعر بتلقى المكاره والشدائد.

ومن الإيضاح بعد الإبهام باب "نِعْمَ وبِئسَ" على قول من يجعل المخصوص خبر مبتدأ محذوف، لا على قول من يجعله مبتدأ مؤخرًا، إذ لو أريد الاختصار وتُرِكَ الإطناب لقيل: "نِعم زيد وبئس عمرو"، فلا تبقى الحاجة إلى قولهم: نعم الرجل زيد وبئس الرجل عمرو.

ووجه حسن "باب نعم وبئس" سوى الإيضاح بعد الإبهام أمران آخران: أحدهما: إبراز الكلام فى معرض الاعتدال، نظرًا إلى أنه إطناب لأجل الإيضاح بعد الإبهام، واختصار لأجل حذف المبتدأ، والثانى: إبهام الجمع بين المتنافيين (الإيجاز والإطناب).

ومنه (من الإيضاح بعد الإبهام) التوشيع، وهو فى اللغة: لفّ القطن المنذوف، وفى الاصطلاح: هو أن يؤتى فى عَجز الكلام بمثّنى مفسّر باسمين: أحدهما: معطوف على الآخر، كما جاء فى الحديث (رواية بالمعنى) "يهرم ابن آدم ويشبّ فيه خصلتان: الحرص وطول الأمل"

فالمثنى "خصلتان" كاللف"، والاسمين "الحرص" و "طول الأمل" كالنشر، فإن "طول الأمل" معطوف على الحرص، ولو أريد الإيجاز لقيل: "ويشب" فيه الحرص وطول الأمل".

٢- والثانى: أن يكون (الأطناب) بعطف الخاص على العام، للتنبيه على فضل الخاص، حتى كأنه ليس من جنسه، تنزيلا للتغاير فى الوصف (بينهما) منزلة التغاير فى الذات، كقوله تعالى: ﴿من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال﴾، وقوله تعالى: ﴿ولتكن منكم أمّة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾، وقوله تعالى: ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة والوسطى﴾ فذكر "جبريل وميكال" بعد الملائكة، وذكر "يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر" بعد "يدعون إلى الخير" وذكر "الصلاة الوسطى" بعد "الصلوات" كلّها من قبيل ذكر الخاص بعد العام؛ لإظهار مزية الخاص، ومغايرته عن العام رتبةً.

٣- والثالث: أن يكون بالتكرير لنكتة، كتأكيد الإنذار فى قوله تعالى: ﴿كلا سوف تعلمون ثم" كلا سوف تعلمون﴾ ففيه ردع وإنذار، أى سوف تعلمون الخطأ فيما أنتم عليه إذا عاينتم ما أمامكم من لقاء الله، وفى تكريره تأكيد للردع والإنذار وفى "ثم" دلالة على أن الإنذار الثانى، أبلغ وأشدّ من الأول، لأن أصل "ثمّ" الدلالة على تراخى الزمان، لكنه قد يجىء بمجرد التدرج فى مراتب الارتقاء من غير اعتبار التراخى، والبعد بين تلك المراتب.

وقد يكون التكرير لزيادة التنبيه على ما ينفى التهمة ليكمل تلقى الكلام بالقبول، كما فى قوله تعالى: ﴿وقال الذى آمن يا قوم اتبعونى أهدكم سبيل الرشاد يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع﴾ قال صاحب الكشاف: وفى تكرير النداء تنبيه لهم وإيقاظ عن سِنَة الغفلة، وأنهم قومه وعشيرته فسرورهم

سروره، وهلاكهم كهلاكه.

وقد يكون التكرير لتذكير ما قد بَعُد بسبب طول فى الكلام، كما فى قوله تعالى: ﴿ثم إن ربك للذين عملوا السّوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم﴾.

وقد يكون التكرير لتعدد المتعلّق، كما فى قوله تعالى: ﴿فبأىّ آلاء ربكما تكذّبان﴾ لأنه تعالى ذكر نعمةً بعد نعمةٍ وعقّب كل نعمةٍ بهذا الاستفهام.

ومعلوم أن الغرض من ذكره عقيب نعمة غير الغرض من ذكره عقيب نعمة أخرى، فإن قيل: قد عقّب بهذا القول ما ليس بنعمة، كما فى قوله تعالى: ﴿يرسل عليكما شواظٌ من نار ونحاس فلا تنتصران﴾ وقوله تعالى: ﴿هذه جهنم التى يكذّب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن﴾.

قلنا: العذاب المذكور وجهنم وإن لم يكونا من آلاء الله تعالى، ولكن ذكرهما ووصفهما على طريق الزجر عن المعاصى والترغيب فى الطاعات من آلاءه تعالى، ومثله قوله تعالى: ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ فى المرسلات. لأنه تعالى ذكر قصصًا مختلفة، وأتبع كل قصة بهذا القول، فصار كأنه قال عقب كل قصة: ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ لأجل تلك القصة.

٤- والرابع: أن يكون بالإيغال، وهو فى اللغة مأخوذ من قولهم: أوغل فى البلاد إذا بعد فيها، وأمّا فى الاصطلاح فقد اختلفوا فيه: ١- فقيل: هو ختم البيت بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها (١) كزيادة المبالغة فى قول الخنساء:

وإنّ صخرًا لتأتم الهداة به ... كأنّه علم فى رأسه نار

لم تكتفِ بأن تشبّهه بالعلم الذى هو الجبل المرتفع المعروف بالهداية

ومعرفة الطرق، بل جعلته كالعلم (الجبل) الذى فى أعلاه نار، وإنما فعلت كذلك لأجل المبالغة، وإلا فيتمّ المعنى بالتشبيه بمطلق الجبل (سواء كان فى رأسه نار أو لا).

(٢) وكتحقيق التشبيه فى قول امرئ القيس:

كأن عيونَ الوحش حول خبائنا ✽ وأرحلنا الجزع الذى لم يثقّب

شرح الغريب: و "الخباء" الخيام، و "أرحل" جمع رحل، وهو المتاع، وما يُحمل على الدّابة، و "الجَزع" بالفتح الخرز اليمانى الذى فيه سواد وبياض، شبّه به عيون الوحش، وأتى بقوله: "لم يثقّب" بعد "الجزع" تحقيقًا للتشبيه؛ لأنه إذا كان غير مثقوب كان أشبه بالعين.

قال الأصمعى: الظبى والبقرة الوحشية إذا كانا حيّين، فعيونهما كلها سواد، فإذا ماتا بدا بياضها، وإنما شبّه العيون بالجزع -وفيه سواد وبياض- بعد موتها، أى موت الوحوش، وأراد الشاعر بكلامه هذا كثرة الصيد، يعنى من كثرة ما صدنا وأكلنا صارت عيون الوحش كذلك.

٢- وقيل: لا يختص (الإيغال) بالنظم، فعلى هذا هو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتمّ المعنى بدونها، ومُثِّلَ له بقوله تعالى: ﴿اتّبعوا من لا يسألكم أجرًا وهم مهتدون﴾، فقوله تعالى: ﴿وهم مهتدون﴾ يتمّ المعنى بدونه؛ لأن الرسل مهتدون لا محالة، إلا أن فيه زيادة حثّ على الاتّباع وترغيب فى الأخذ بما يقول الرسل.

٥- والخامس: أن يكون بالتذييل، وهو فى اللغة: جعل الشىء ذيلا لشىء، وفى الاصطلاح: هو تعقيب الجملة بجملة -تشتمل على معنى الجملة الأولى للتوكيد-.

والفرق بين التذييل والإيغال من وجهين:

١- أن الإيغال يكون فى ختم الكلام، والتذييل أعمّ.

٢- وأن التذييل يكون بجملة وللتأكيد، بخلاف الإيغال، فإنه يكون بغير جملة أيضًا وبغير التأكيد.

التقسيم الأول للتذييل

وهو على ضربين:

١- ضرب لا يخرج مخرج جملة مُستقلّة، لعدم استقلاله بإفادة المراد، ولتوقّفه على ما قبله، مثاله: قوله تعالى: ﴿ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور﴾.

واعلم أن "الجزاء" يستعمل على معنيين: العقوبة، والثواب، فإذا أريد من "المجازاة" فى ﴿نجازى﴾ المعاقبة يكون تعلّقه بما قبله ويتوقّف عليه، وإذا أريد منه الإثابة خيرًا كانت أو شرًّا، فلا يتوقف على ما قبله، ولا يكون مثالا للضرب الأول، بل يكون مثالا للضرب الثانى الآتى.

٢- وضرب يُخرَجُ مخرج جملة مستقلّة فى إفادة المراد، وعدم توقفه على ما قبله، كقوله تعالى: ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا﴾، فقوله تعالى: ﴿إن الباطل كان زهوقًا﴾ فيه تذييل وتأكيد للجملة الأولى، ولكن لا يتوقف على ما قبله فى إفادة المراد، ودلالته على أمر كلى "وهو زهوق الباطل" فإن كل باطل -سواء كان ضد الإسلام أو ضد شىء آخر- فهو زاهق وماحٍ.

والمثال الثانى: قول الشاعر:

تزور فتًى يُعطى على الحمد ماله ... ومن يعطِ أثمان المكارم يُحمد

التقسيم الثانى للتذييل

وبما أن التذييل يكون للتأكيد ينقسم إلى قسمين : الأول : أن يكون لتأكيد منطوق الكلام، أى لتأكيد ما يدل عليه الجملة الأولى بمنطوقها، نحو قوله تعالى : ﴿إن الباطل كان زهوقًا﴾ فيؤكد منطوق قوله تعالى : ﴿قل جاء الحق وزهق الباطل﴾ .

والثانى : أن يكون لتأكيد مفهومه، نحو قول الشاعر :

ولستَ بمستبقٍ أخًا لا تلمّه   على شعث أىّ الرجال المهذّب

أى لستَ أنت طالبًا لبقاء مودّة أخٍ حال كونك لا تجمعه إليك، ولا تصلحه مع تفرق وأوساخ باطنية تكون فيه (ولكن) من يكون مهذّبا، وخاليًا عن العيوب من الرجال؟

فصدر البيت دلّ بمفهومه على نفى الكامل من الرجال، **فحقّق ذلك** وقرّره عجز البيت .

٦- والسادس: أن يكون الإطناب بالتكميل، ويسمى (هذا التكميل) الاحتراس أيضًا؛ لأن الاحتراس هو التوقى والاحتراز عن الشىء، وفيه (التكميل) أيضًا توقٍّ عن إيهام خلاف المقصود (هذا هو معناه اللغوى) .

وفى الاصطلاح : هو أن يؤتى فى كلامٍ يوهم خلاف المقصود بما يرفعه، أى يؤتى بشىء يدفع ذلك الإيهام .

أقسام ما يُدفَع به إيهام خلاف المقصود

١- وهو قد يكون فى وسط الكلام، نحو قول الشاعر :

فسقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع وديمة تهمى

أى سقى ديارك صوب الربيع (مطره) وديمة تهمى (مطر دائم يسيل) حال كون المطر غير مفسد ديارك؛ لأن نزول المطر قد يكون سببًا لخراب الديار وفسادها، فدفع ذلك بتوسط قوله: "غير مفسدها".

٢- وقد يكون فى آخر الكلام، نحو قوله تعالى: ﴿فسوف يأتى الله بقوم يحبّهم ويحبّونه أذلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين﴾ فإنه لو اقتصر على وصفهم بالذلّة على المؤمنين لتُوهّم أن ذلّتهم هذه لضعفهم، فلما قيل: ﴿أعزّة على الكافرين﴾ عُلِم أنها تواضع منهم للمؤمنين، ولذا عدّى "الذلّ" بـ"على" لتضمنه معنى العطف، كأنه قيل: عاطفين عليهم علىَ وجه التواضع والتذلل، وقول الحماسى:

وما مات منّا سيّد فى فراشه ولا طلّ منّا حيث كان قتيل

فإنه لو اقتصر على وصف قومه بشمول القتل إيّاهم لأوهم أن ذلك لضعفهم وقلّتهم، فأزال هذا الوهم بوصفهم بالانتصار من قاتلهم؛ حيث إذا كان منهم قتيل لا يُهدر دمه، بل ينتصرون من قاتلهم.

٧- والسّابع: أن يكون بالتتميم، وهو أن يؤتى فى كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلةٍ (بما يتمّ أصل المعنى بدونه، كالمفعول به والحال وأمثالهما)، لتفيد تلك الفضلة نكتة زائدة كالمبالغة، نحو قوله تعالى: ﴿ويطعمون الطعام على حبّه﴾ أى مع حبّه، والضمير للطعام، أى مع اشتهاءه والحاجة إليه، وقوله تعالى: ﴿وآتى المال على حبّه﴾ أى مع حبّ المال، وحاجته إليه.

وكتقليل المدة، كما فى قوله تعالى: ﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلا﴾ مع أن الإسراء لا يكون إلا بالليل، فزيد "ليلا" لإظهار تقليل مدة الإسراء.

٨- والثامن: أن يكون بالاعتراض، وهو أن يؤتى فى أثناء الكلام، أو

بين كلامين متصلين من جهة المعنى بجملةٍ، أو أكثر لا محلّ لها من الإعراب لنكتة سوى دفع إيهام خلاف المقصود (المذكور فى تعريف التكميل) وتلك النكتة (١) كالتنزيه والتعظيم فى قوله تعالى: ﴿ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون﴾ فقوله: "سبحانه" جملة بتقدير الفعل "أسبّح" وقعت فى أثناء الكلام (بين المعطوف والمعطوف عليه).

(٢) وكالدعاء فى قول أبى الطيب:

وتحتقر الدنيا احتقار مجرّب يرى كل ما فيها -وحاشاك- فانيا

فإن قوله: "وحاشاك" دعاء حسن فى موضعه، وكذا فى قول الشاعر:

إنّ الثمانين وبلّغتَها قد أحوجت سمعى إلى ترجمان

فقوله: "بلّغتَها" فى أثناء الكلام لقصد الدعاء للمخاطب، فالواو فى مثله تكون اعتراضية، لا عاطفة.

(٣) وكالتنبيه، كما فى قول الشاعر:

واعلم فعلم المرء ينفعه أن سوف يأتى كلّ ما قُدّرا

وقوله: "فعلم المرء ينفعه" معترضة بين "اِعلم" وبين مفعوله "أن سوف يأتى إلخ" يعنى أن المقدّر آتٍ البتة، وإن وقع فيه تأخير مّا.

(٤) وكتخصيص أحد المذكورين بزيادة التأكيد فى أمر علّق بهما، كقوله تعالى: ﴿ووصّينا الإنسان بوالديه حملته أمّه وهنًا على وهن وفصاله فى عامين أنْ اشكر لى ولوالديك﴾ فجملة "حملته أمّه" إلى قوله تعالى: "وفصاله فى عامين" معترضة لزيادة تأكيد الإحسان فى حق الأمّ.

(٥) ومن الجملة المعترضة التى جاءت بين كلامين متصلين من جهة المعنى، قوله تعالى: ﴿فأتوهنّ من حيث أمركم الله إن الله يحبّ التوّابين

ويحبّ المتطهّرين نساءكم حرث لكم فأتوا حرثكم﴾ فقوله تعالى : ﴿إن الله يحبّ التوّابين﴾ وقوله تعالى : ﴿ويحبّ المتطهّرين﴾ جملتان معترضتان وقعتا بين كلامين هما أكثر من جملة، فإن قوله : "نساءكم حرث لكم" بيان لقوله : "فأتوهنّ من حيث أمركم الله" يعنى أن المأتى الذى أمركم به هو مكان الحرث، دلالةً على أن الغرض الأصلى من الإتيان هو طلب النسل، لا قضاء الشهوة فقط، فالكلامان متصلان معنًى، والنكتة فى هذا الاعتراض الترغيب فيما أمر الله به، والتنفير عمّا نهى عنه.

٩- (التاسع): وقد يكون الإطناب بغير المذكور من الوجوه الثمانية، كقوله تعالى : ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربّهم ويؤمنون به﴾ فإنه لو اختصر الله تعالى لم يذكر "ويؤمنون به" لأن من يعترف بالملائكة لا ينكر إيمانهم، فلا حاجة إلى الإخبار بإيمانهم، ولكن حسّن ذكر قوله : "يؤمنون به" إظهاراً لشرف الإيمان والترغيب إليه.

المعنى الآخر للإيجاز والإطناب

واعلم أنه كما يوصف الكلام بالإيجاز والإطناب باعتبار المعانى السابقة (من كون الكلام ناقصًا عمّا يساوى أصل المراد، أو زائدًا عليه، فكذلك قد يوصف الكلام بهما باعتبار كثرة حروفه وقلّتها بالنسبة إلى كلام آخر مساوٍ له فى أصل المعنى، كما فى الشطر الأول من قول أبى تمام :

يَصدّ عن الدنيا إذا عنّ سودد ولو برزت فى زىّ عذراء ناهد

أى يعرض عن الدنيا إذا ظهر سودد، أى سيادة، و الزى : الهيئة، والعذراء : البكر، والناهد : البنت التى ارتفع ثديها.

وقول الآخر[(١)]:

ولستَ بنظّار إلى جانب الغنى　　　إذا كانت العلياء فى جانب الفقر

أراد بالغنى مسببه وهو الراحة، وبالفقر المحنة يعنى أن السيادة مع التعب والمشقة أحبّ إليه من الراحة بدونها، يصف الشاعر الممدوح بالميل إلى المعالى، فمصراع أبى تمام "يصدّ عن الدنيا إذا عنّ سودد" إيجاز بالنسبة إلى هذا البيت؛ لمساواته له فى أصل المعنى وقلّة حروفه، وأمّا هذا البيت ففيه إطناب بالنسبة إلى مصراع أبى تمام.

ويقرب من هذا القبيل (كون الإيجاز والإطناب باعتبار قلّة حروف الكلام وكثرتها) قوله تعالى: ﴿لا يُسألُ عمّا يَفعَل وهُم يسألون﴾ وقول الحماسى[(٢)]:

وننكر إن شئنا على الناس قولهم　　　ولا ينكرون القول حين نقول

أى نغيّر ما نريد تغييره من قول غيرنا، وأحد لا يجترئ على الاعتراض علينا وتغيير قولنا، فالآية إيجاز بالنسبة إلى هذا البيت.

---

(١) المعذل بن عيلان.

(٢) السموءل بن عادياء.

التمرين

١ - اذكر الطريق الأول للإطناب وفوائده.

٢- ما هو معنى التوشيع، وكيف يكون من الإيضاح بعد الإبهام؟

٣- اذكر أمثلة عطف الخاص على العام وفوائده.

٤- ما هى فائدة الإطناب بالتكرير، وما هو مثاله؟

٥ - اذكر مفهوم الإيغال لغةً واصطلاحًا مع المثال.

٦- عرّف التذييل وبيّن أقسامه الأولية والثانوية.

٧- ولما ذا استشهد المصنف بقول الشاعر:

ولستَ بمستبقٍ أخًا لا تلمّه   على شعث أىّ الرجال المهذّب

٨- اذكر تعريف التكميل وأقسامه، ثمّ مثّل له.

٩- ما هو التتميم؟ هاتِ مثالا لإيضاحه.

١٠ - عرّف الاعتراض مع ذكر النكت التى تذكر الجملة المعترضة لأجلها.

هذا هو آخر الفن الأول فى علم المعانى، وصلت بمنّ الله وكرمه إلى هنا فى الليلة الثالثة عشر من ذى القعدة الحرام سنة ١٤١٥هـ، ويأتى بعده الفن الثانى فى علم البيان، إن شاء الله تعالى.

البلاغة الصّافية

تهذيب مختصر التفتازاني (المتوفى ٧٩١هـ)

علم البيان

تقديم وتهذيب وتسهيل :

محمد أنور البدخشاني

الأستاذ بجامعة العلوم الإسلامية بنوري تاون - كراتشي

نشأة علم البيان

واعلم أن علم البيان بمفهومه الخاص "علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة وضوحًا وخفاءً" وليس شيئًا مستحدثًا، حتى جاء السكاكى أو الشيخ عبد القاهر أو بشر بن المعتمر أو الجاحظ فوضعه وعرّفه للنّاس، بل هو علم طبيعى يتناوله البشر ويتعاطيه من بدء نشأة الحياة الاجتماعية إلى الآن، ويستعملونه إلى يوم يقوم البلغاء أمام رب العالمين.

أنواع العلوم الرائجة

فإن العلوم الرائجة المدروسة فى المعاهد والمدارس والجامعات قديمها وجديدها على قسمين:

١- وضعية: وضعها البشر حسب حاجاتهم وأمنياتهم.

٢- وطبيعية: يقتضيها طبيعة البشر وفطرتهم.

فالأولى نحتاج إلى معرفة تاريخ نشأتها، ووضعها، وما حمل البشر على وضعها وتدوينها، كالطب والهندسة.

وأما الثانية: فلا حاجة بنا إلى بيان تاريخها وعصر نشأتها كعلم الاقتصاد وعلم الاستدلال والعمران، وسائر ما يحتاج إليه فى الحياة، فإن تاريخ بدو البشر، وتاريخ العمران هو تاريخها، فالحامل على استعمال أمثال تلك العلوم هى ا لطبيعة البشرية وحاجاتها، فعلم البيان أيضًا من تلك العلوم الطبيعية التى نشأت بنشأة البشر، كما قال تعالى: ﴿الرحمن علم القرآن خلق

الإنسان علّمه البيان﴾ ونمت بنموّها وارتقت بارتقاءها، وكان يتمتع الإنسان بهذا العلم ويرتبط به بأبناء جنسه من بدء فطرته، وأوّل جبلته، نعم نحتاج إلى معرفة بدء تدوينها وترتيبها، وبسط أصولها، وقواعدها وتطبيقها على جزئياتها وما إلى ذلك.

فأوّل من وضع قدمه فى ساحة تدوين علم البيان هو أبو عبيدة معمر ابن المثنّى (المتوفى ٢٠٨هـ)، ثمّ الشيخ عبد القاهر الجرجانى إمام البلاغة (المتوفى ٤٧١هـ)؛ لأن البلاغة كانت فى أوّل الأمر وحدة شاملة لمباحث العلوم الثلاثة (المعانى والبيان والبديع) بلا تحديد أو تمييز.

وكُتُب المتقدمين من علماء العربية خير شاهد على ذلك، ففى تلك الكتب تتجاور مسائل علوم البلاغة ويختلط بعضها ببعض من غير فصل بينها، وتكلّم أبو عبيدة عن بعض مباحثه واصطلاحاته، وكان الأمر كذلك، حتى جاء الشيخ عبد القاهر فى القرن الخامس الهجرى، ووضع نظرية علم المعانى فى كتابه "دلائل الإعجاز" ونظرية علم البيان فى كتابه "أسرار البلاغة" إذًا عبد القاهر الجرجانى هو واضع أصول علمى المعانى والبيان ومؤسسهما فى العربية.

وقد رتّب أصولهما واستشهد بهما من القرآن الحكيم ومن كلام الفصحاء، كما أن أوّل من وضع كتابًا فى علم البديع هو عبد الله بن المعتز الخليفة العباسى المتوفى (٢٩٦هـ).

ولبعض المؤلفين الذين مضوا قبيلنا فكرة أخرى، وهى أن أبا عبيدة معمر بن المثنى تلميذ الخليل بن أحمد والمتوفى ٢١١هـ هو أوّل من وضع كتابًا فى علم البيان، وسمّاه "مجاز القرآن".

ولأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (المتوفى ٢٥٥هـ) منّة عظيمة على

البلاغة وعلماءها؛ فإن كتابه "البيان والتبيين" موسوعة بلاغية سهلة جميلة، ولا مبالغة لو نقول: "كل من جاء بعد الجاحظ فهو عيال له فى البلاغة، فإن أصول البلاغة بثلاثتها كانت مبعثرة ومنتشرة فى هذا الكتاب، ولعلماء المعتزلة ومفكريها نشاطات ملموسة وجهودات محمودة ومساع مشكورة فى ميدان البلاغة وعلومها، وعلى رأسهم نابغة عصره وإمام دهره أستاذ المفسرين جار الله الزمخشرى صاحب "الكشّاف عن حقائق التنزيل" و"الأساس" و "المفصّل" و "الفائق" وغيرها من المؤلفات القيّمة الممتعة (والمتوفى ٥٣٨هـ)، فإنه قدّم صورة رائعة وتطبيقات عملية مبرهنة لأصول البلاغة التى دوّنها ورتبها الشيخ الجرجانى فى كتابيه المذكورين، وقد أيّد وأثبت قواعد البلاغة وأمثلتها وشواهدها من القرآن الحكيم.

وتفسيره "الكشاف" هو فى الواقع خير تطبيق على كل ما اهتدى إليه عبد القاهر الجرجانى، أو من مضى قبله مثل الجاحظ وبشر بن المعتمر (المتوفى ٢١٠) من قواعد المعانى والبيان، فقد اتخذ الزمخشرى آى الذكر الحكيم أمثلة وشواهد يوضّح بها كل ما استوعبه من قواعد البلاغة، فالزمخشرى قد أكمل تلك القواعد بالإضافات الجديدة التى وُفّق إليها، وجاءت تلك الإضافات مفرّقة فى تضاعيف تفسيره.

ونكتفى على هذا القدر فى بيان نشأة وتطوّر علم البيان.

١- تعريف علم البيان: البيان فى اللغة: الكشف والإيضاح، وفى الاصطلاح: هو علم يُعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة عليه وخفاءها (أخذًا من قوله تعالى: ﴿خلق الإنسان علّمه البيان﴾ والمراد بـ"العلم" القواعد والأصول التى يستعان بها فى تأدية المعنى الذى يُلقى إلى المخاطبين، وفى معرفة الطرق المختلفة -من التشبيه والمجاز والكناية-

وفى معرفة أنواع الدلالة من اللفظية والعقلية.

والمراد بـ"الطرق المختلفة" -كما أشرنا إليه- التشبيه والمجاز (من المرسل والمستعار) والكناية، وأضدادها (من عدم التشبيه والحقيقة والصريح).

وإنّما يفيد هذا العلم بعد كون الكلام (الدال على ذلك المعنى الواحد) مطابقًا لمقتضى الحال.

٢- وموضوعه: هى الأساليب (الطرق) المختلفة من حيث خلوها عن التعقيد اللفظى والمعنوى (سواء كانت فى صورة التشبيه، أو المجاز، أو الكناية، أو غيرها) فإنه يبحث فيه عن أحوال تلك الأساليب.

٣- وغايته: الوقوف على أسرار كلام العرب (منثوره ومنظومه) أوّلا، وعلى إعجاز القرآن الكريم، واشتماله على أعلى مراتب البلاغة ثانيًا، وصيانة الكلام عن جميع أنواع التعقيد ثالثًا.

٤- وواضعه: إنه من العلوم الفطرية، ولكن دوّن ورتّب قواعده، أولا: أبو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة ٢٠٨هـ، فى كتابه "مجاز القرآن" الذى اعتمد عليه الإمام البخارى فى "صحيحه" فى كتاب التفسير.

وظاهر عنوانه يوهم أنه صنّفه فى المجاز بالمعنى البلاغى الاصطلاحى، وحقيقة الأمر أن كلمة "المجاز" عنده بمعنى التجاوز من اللفظ إلى المعنى (أى تفسير أو تأويل القرآن)، فهذا أبو عبيدة أوّل من تكلّم عن التشبيه والمجاز والكناية، وأصّل أصول علم البيان، ثم جاء الجرجانى وشرح ورتّب، وطبّق تلك الأصول، وسمّى كتابه فى البيان بـ"أسرار البلاغة" كما أنه سمّى كتابه الآخر فى المعانى بـ"دلائل الإعجاز".

الدلالة وأنواعها

ولما كان اختلاف تلك الطرق لأجل وضوح الدلالة وعدمه ناسب ذكر الدلالة عامّة وذكر الدلالة المعتبرة عند البلغاء خاصّة.

١- **تعريف الدلالة:** هى كون الشىء بحالة يلزم من العلم به العلم بشىء آخر، كالدخان والنار، ويسمّى الأول الدال، والثانى المدلول.

٢- **أقسام الدلالة:** دلالة اللفظ على ما وضع له مطابقة، وعلى جزءه تضمّن، وعلى خارج لازم له التزام.

(١) مثال الأول: كدلالة لفظ "البيت" على السقف والجدران، أو "الإنسان" على الحيوان الناطق.

(٢) ومثال الثانى: كدلالة "البيت" على السّقف أو على الجدران، أو دلالة "الإنسان" على الحيوان، أو على الناطق.

(٣) ومثال الثالث: كدلالة "البيت" على الحائط، أو "الإنسان" على الضاحك.

الدلالة المعتبرة عند البلغاء

وتسمّى الأولى دلالةً وضعيةً، والدلالة الوضعية: هى كون الشىء بحالة يلزم من العلم به العلم بشىء آخر لأجل وضعه له، والدلالة اللفظية الوضعية: هى كون اللفظ بحيث يفهم منه المعنى للعلم بوضعه له، والثانية والثالثة دلالة عقلية.

ثمّ إيراد المعنى الواحد على الوجه المذكور لا يتأتى بالدلالة الوضعية ؛ لأن السامع إن كان عالمًا بوضع الألفاظ لم يكن بعضها أوضح دلالةً من بعض، وإلا لم يكن كل واحد منها دالا على المعنى ؛ لتوقف الفهم على العلم بالوضع، وإنما يتأتى ذلك بالدلالات العقلية (التضمينية والالتزامية) لجواز أن يكون للشيء لوازم بعضها أوضح لزومًا من بعض.

شرط الدلالة الالتزامية

وشرط الثالثة : اللزوم الذهنى، وهو أن يكون حصول المعنى الموضوع له فى الذهن ملزومًا (مستلزمًا) لحصول الأمر الخارج فيه، (سواء كان ذلك اللزوم بيّنًا بمعنى الأخصّ[1]، أو بيّنًا بمعنى الأعمّ أو غير بيّن[2]) ؛ لأن الأمر الخارج لو لم يكن لازمًا للموضوع له لا يدل اللفظ عليه، وإلا يلزم دلالة اللفظ على كل أمر خارج عن الموضوع له، وهو خطأ.

والمراد من اللزوم الذهنى : هو اللزوم العرفى (عرفًا عامًّا كان أو خاصًّا) يعنى اللزوم فى الذهن واعتقاد المخاطب، لا اللزوم الخارجى فقط ؛ لأنا نجد بين "العمى" و "البصر" لزومًا عقليًا ؛ لأن "العمى" عدم البصر عما من شأنه أن يكون بصيرًا، مع منافاتهما فى الخارج، ولا اللزوم العقلى فقط ؛ لأنه ليس بين كثرة الرماد والجود لزوم عقلى.

---

(١) اللازم البيّن بمعنى الأخصّ : هو الذى يلزم من حصول الملزوم فى الذهن العلم بلزومه له، والبيّن بمعنى الأعم : هو الذى لا بد فى العلم بلزومه من تصوّر اللازم والملزوم كليهما.

(٢) واللازم غير البيّن : هو الذى لا يكفى فى العلم بلزومه مجرد تصور اللازم والملزوم، بل يحتاج إلى دليل، كلزوم الحدوث للعالم.

الأركان الأساسية لعلم البيان

وأركانه الأساسية ثلاثة : التشبيه والمجاز والكناية ؛ لأن اللفظ المراد به لازم الموضوع له (جزءً كان اللازم أو خارجًا) إن قامت قرينة على عدم إرادة ما وضع له فهو مجاز، وإلا فهو كناية، ثمّ المجاز إن كانت علاقته (مع الموضوع له) غير التشبيه فهو مجاز مرسل، وإن كانت تشبيهًا فهو مجاز مستعار، ولما كان بناء الاستعارة على التشبيه تعيّن التعرض له، فانحصر مقصود علم البيان فى التشبيه والمجاز والكناية .

وقُدّم التشبيه على المجاز ؛ لأن بناء المجاز المستعار على التشبيه، وقُدّم المجاز على الكناية ؛ لأن فى المجاز عدم جواز إرادة الموضوع له، لا قصدًا ولا تبعًا، وفى الكناية جواز إرادة الموضوع له تبعًا، فصار مفهوم المجاز كالجزء ومفهوم الكناية كالكل، فقُدّم عليها لأجل ذلك .

التمرين

١ – اذكر تعريف علم البيان وموضوعه وغايته وواضعه .

٢ – عرّف الدلالة، وبيّن أنواعها مع الأمثلة .

٣– ما هى الدلالة المعتبرة عند البلغاء؟ ولما ذا؟

٤– ما هو شرط الدلالة الالتزامية؟

٥– لما ذا لا يكون اللزوم الخارجى أو العقلى معتبرين فى الدلالة الالتزامية؟

٦– ما هى الأركان الأساسية لعلم البيان؟

١- مفهوم التشبيه

١ - التشبيه لغةً: هو الدلالة على مشاركة أمر لآخر فى وصف من الأوصاف.

٢- واصطلاحًا: بيان أن شيئًا شارك غيره فى صفة أو أكثر بأداة هى الكاف أو نحوها، ملفوظةً كانت تلك الأداة أو مقدّرة، نحو زيد كالأسد فى الشجاعة وزيد أسد، وكقوله تعالى: ﴿صمّ بكم عمى﴾ أى هم كالصمّ إلخ بحذف المشبه والأداة، وأمّا الاستعارة التحقيقية والاستعارة بالكناية، والتجريدية فستأتى فى محلّها إن شاء الله تعالى، فلا حاجة إلى ذكرها هنا، ونحو قول عمران بن حطان فى خطابه الحجاج:

أسد علىّ وفى الحروب نعامة ... فتخاء تنفر من صفير الصافر

وإذا قد عرفتَ معنى التشبيه فى الاصطلاح، فاعلم أنه مما اتفق العقلاء على شرف قدره وفخامة أمره فى فنّ البلاغة، وأن تعقيب المعانى به يضاعف قواها فى تحريك النفوس إلى المقصود بتلك المعانى، مدحًا كانت أو ذمّا أو افتخارًا، أو غير ذلك، انظر إلى قول القائل:

وطول مقام المرء فى الحىّ مُخلق ... لديباجتيه فاغترب تتجدّد

فإنّى رأيت الشمس زيدت محبّته ... إلى النّاس أن ليست عليهم بسرمد

وإلى قول الشاعر:

وما المال والأهلون إلا ودائع ... ولا بد يومًا أن تُرَدّ الودائع

وإلى قول النبى ﷺ: «من فى الدنيا ضيف، وما فى يده عارية، والضيف مرتحل، والعارية مؤداة».

٢- أركان التشبيه

وأركانه أربعة: طرفاه، ووجهه، وأداته، والنظر ههنا فى أركانه، والغرض منه، وفى تقسيمه بهذه الاعتبارات.

١- التقسيم الأول لطرفيه: وطرفاه على ثلاثة أقسام: ١- إمّا كلاهما حسّيان، كما تقول: خدّك كالورد (فى المبصرات) وصوته كالهمس (فى المسموعات)، ونكهته كالعنبر (فى المشمومات) وريقها كالخمر (فى المذوقات) وجلده كالحرير (فى الملموسات).

٢- وإمّا كلاهما عقليان، كما فى تشبيه العلم بالحياة.

٣- وإمّا مختلفان، والمعقول هو المشبه، كما فى تشبيه المنية (الموت) بالسبع، أو المعقول هو المشبه به، كما فى تشبيه العطر بالخلق الكريم، ففى الأول المشبّه عقلى، والمشبّه به حسّى، وفى الثانى المشبّه حسّى، والمشبّه به عقلى.

والمراد بالعقلى: ما يدرك بالعقل، وبالحسّى: ما يدرك بالحسّ، فالمشبّه به الخيالى داخل فى الحسّى كما أن المشبّه به الوهمى داخل فى العقلى، وكذلك ما يدرك بالوجدان كاللذة، والألم، والشبع، والجوع داخل فى العقلى.

مثال المشبه به الخيالى قول الشاعر:

كأنّ محمّر الشقيق ... إذا تصوّب أو تصعّد
أعلام ياقوت نشر ... ن على رماح من زبرجد

أراد به أن شقائق النعمان، وهو ورد أحمرّ فى وسطه سواد (وإنما

أضيف إلى النعمان لأنه حمى أرضًا كثر فيها ذلك الورد) إذا مال إلى السفل أو مال إلى العلو كأنه أعلام، فإن الأعلام الياقوتية المنشورة على الرماح الزبرجدية مما لا يدركه الحسّ، ولكن مادتها -وهى الياقوت والزبرجد والرماح- محسوسة بالبصر.

ومثال المشبه به الوهمى، قول الشاعر:

أيقتلنى والمشرفى مضاجعى ومسنونة زرق كأنياب أغوال

يقول: أيقتلنى ذلك الرجل الذى توعّدنى فى حبّ سلمى، والحال أن فى مضاجعى (أى فى مواضع نومى) سيف منسوب إلى مشارف اليمن (المواضع العالية) وكذلك السهام المحدّدة النصال فى مضاجعى، يقال: سَنّ السيف إذا حدّده، ووصف النصال بالزرقة للدلالة على صفائها وكونها براقة، فأنياب الأغوال مما لا يدرك بالحسّ؛ لعدم تحققها، ولكن لو أُدركت إنما تدرك بحسّ البصر، فلعدم وجودها جعلت وهمية، وداخلة فى العقلى.

٢- وجه الشبه: هو المعنى (الوصف) الذى يشترك فيه الطرفان (المشبه والمشبه به) تحقيقًا أو تخييلا.

والمراد بالاشتراك التخييلى: أن لا يمكن وجوده فى المشبه به إلا على تأويل، كما فى قول الشاعر:

وكأنّ النجوم بين دجاها سنن لاح بينهنّ ابتداع

فإن وجه المشبّه فيه الهيئة الحاصلة من حصول أشياء مشرقة بيض فى جوانب شىء مظلم أسود، فهى غير موجودة فى المشبه به إلا على طريق التخييل.

وذلك أنه لمّا كانت البدعة والضّلالة، وكل ما هو جهل يجعل صاحبها فى حكم من يمشى فى الظلمة، فلا يهتدى إلى الطريق، ولا يفصل الشىء

من غيره شبّهت (البدعة والضلالة) بالظلمة، ولزم من عكسه أن تشبّه السنة والهدى، وكل ما هو علم بالنّور، وعلى هذين التشبيهين قوله تعالى: ﴿يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ وشاع ذلك التشبيه حتى وصف الصنف الأول (البدعة والضلالة) بالسواد، كما فى قول القائل: "شاهدتُ سواد الكفر من جبين فلان"، ووُصِف الصنف الثانى (السنة والهداية) بالبياض، كما فى قوله ﷺ: «أتيتكم بالحنيفية البيضاء» وذلك لتخييل أن السنن ونحوها من الجنس الذى هو إشراق فى العين، وأنّ البدعة ونحوها على خلاف ذلك، فصار تشبيه النجوم ما بين الدجى (الظلم) بالسنن ما بين الابتداع، كتشبيه النجوم فى الظلام ببياض الشيب فى سواد الشباب، وبالأزهار اللامعة بين النبات الشديد الخضرة.

وجه التشبيه فى قولهم: "النحو فى الكلام كالملح فى الطعام"

وإذا علم أن وجه الشبه هو الذى يشترك فيه الطرفان علم أن الوجه المشترك فى قول القائل: "النحو فى الكلام كالملح فى الطعام" هو كون الاستعمال مصلحا، والإهمال مفسدًا؛ لاشتراك النحو والملح فيهما، فإن النحو إذا لم يراعَ فى الكلام يفسد الكلام، كما أن الملح إذا لم يلقَ فى الطعام يفسد طعمه، ولا تُدرك لذته، وفى صورة الاستعمال يصلح كلاهما.

وأمّا جعل "كون القليل مصلحًا، والكثيرَ مفسدًا" وجهًا للشبه ففاسد؛ لأن القلّة والكثرة إنما يمكن فى الملح، وذلك بأن يُجعَل منه فى الطعام القدر

المصلح أو أكثر منه، ولا يمكن فى النحو؛ فإنه إذا كان من حكمه رفع الفاعل ونصب المفعول مثلا، فإذا وجد ذلك فى الكلام فقد حصل النحو فيه وانتفى الفساد عنه، وإلا لم يحصل النحو، وصار الكلام فاسدًا لا ينتفع به.

٢- التقسيم الثانى لوجه الشبه: وهو على ستة أقسام: **الأول**: أن يكون وجه الشبه عيّن حقيقة الطرفين (المشبه والمشبه به) كما تقول: زيد كعمرو فى كونه إنسانًا.

والثانى: أن يكون جزء حقيقتهما، وكان جنسًا كما فى تشبيه الفرس بالإنسان فى كونهما حيوانًا.

والثالث: أن يكون جزء ماهيتهما وكان فصلا كما فى تشبيه علىّ بجعفر فى كونهما ناطقين، أو تشبيه قميص بقميص آخر فى كونهما من القطن.

والرابع: أن يكون خارجًا عن حقيقتهما، وكان صفة حقيقة حسّية كالكيفيات الجسمانية ١- المدركة بالبصر، مثل الألوان، والأشكال والمقادير، والحركات، وما يتصل بها من الحسن والقبح.

٢- أو المدركة بالسمع، كالأصوات القوية والضعيفة والمتوسطة.

٣- أو المدركة بالذوق، مثل أنواع الطعوم.

٤- أو المدركة باللمس، مثل الحرارة، والبرودة والرطوبة واليبوسة والخشونة والملاسة، والصلابة واللين والخفة والثقل.

٥- **والخامس**: أن يكون صفة حقيقية عقلية كالكيفيات القلبية، مثل الذكاء، والتيقظ، والمعرفة، والعلم، والقدرة، والضعف، والكرم، والسخاء، والغضب والحلم ونحوها من الصفات الطبعية.

والسادس: أن يكون صفة إضافية، كإزالة الحجاب فى تشبيه الحجة بالشمس، كما تقول: حجته كالشمس فى إزالة الحجاب، فكما أن الشمس

يزول بها حجاب الظلمة، كذلك الحجّة يزول بها حجاب الجهل.

التقسيم الثالث
لوجه الشبه باعتبار وحدته وتعدده

واعلم أن وجه شبه إمّا واحد، أو متعدد لا يحتاج بعضه إلى بعض، أو متعدد يحتاج بعضه إلى بعض، ويقال لهذا الثالث: المركّب، فإذًا وجه التشبيه إمّا واحد عقلى، أو واحد حسّى، وإمّا مركّب عقلىّ، أو مركّب حسّى، وإمّا متعدد عقلى، أو متعدد حسّى، أو بعضه حسّى، وبعضه عقلىّ، فصار الأقسام الإجمالية سبعةً نذكرها بالتفصيل والتمثيل، إن شاء الله تعالى.

تنبيه:

ووجه الشبه الحسّى يكون طرفاه حسيين لا غير؛ لأنه لو كان طرفاه أو واحد منهما عقليًا لا يمكن وجود وجه الشبه الحسّى فيه؛ لامتناع أن يدرك بالحسّ من غير الحسّى شىء؛ لأن غير الحسّى إنما يدرك بالعقل فقط.

وأمّا العقلى من وجه الشبه فأعمّ من الحسّى (أى جاز أن يكون طرفاه عقليين، أو حسيين، أو أحدهما عقليًا، والآخر حسّيا) لجواز أن يدرك بالعقل من الحسّى شىء، ولذلك يقال: التشبيه بالوجه العقلى أعمّ من التشبيه بالوجه الحسّى.

الإشكال وجوابه

فإن قيل: وجه الشّبه مشترك بين الطرفين، أى يصدق عليهما، فيكون كليًا، فكيف يكون الكلى حسيا؟ فالجواب أن أفراد وجه الشبه حسية

لا وجه الشبه نفسه .

١- أمثلة وجه الشّبه الواحد الحسّى : كالحمرة فى تشبيه الخدّ بالورد، والخفاء فى تشبيه الصوت الضعيف بالهمس ، وطيب الرائحة فى تشبيه النكهة بالعنبر ، ولذة الطعم فى تشبيه الريق بالخمر ، ولين الملمس فى تشبيه الجلد الناعم بالحرير .

٢- أمثلة الواحد العقلى : كالعراء عن الفائدة فى تشبيه وجود شىء لا فائدة له بعدمه ، كما يقال : "وجود الفلانى كعدمه" وجهة الإدراك فى تشبيه العلم بالحياة -فيما طرفاه عقليان- والجرأة فى تشبيه الرجل الشجاع بالأسد ، ومطلق الاهتداء فى تشبيه أصحاب النبى ﷺ بالنجوم -فيما طرفاه حسّيان- والهداية فى تشبيه العلم بالنور -فيما يكون المشبّه فيه عقليا والمشبّه به حسّيا- واستطابة النفس فى تشبيه العطر بخلق كريم ، وعدم الخفاء فى تشبيه النجوم بالسنن -فيما يكون المشبّه فيه حسّيا والمشبه به عقليا- .

٣- مثال الوجه المشبه المركّب الحسى الذى طرفاه مفردان ، كقول الشاعر :

وقد لاح فى الصبح الثريا كما ترى كعنقود ملاحية حين نوّرا

الشرح : قد لاح : أى ظهر ، ملاحية بضم الميم وتشديد اللام : عنب أبيض فى حبّه طول ، ونورا : أى ظهر نوره وزهرته ، فالمشبه (وهو الثريا) مفرد ، والمشبه به (وهو العنقود) أيضا مفرد وإن كان موصوفًا .

ووجه التشبيه المركب الحسّى : هو الهيئة الحاصلة من تقارن الصّور البيض ، المستديرة الصّغار المقادير فى محل الرؤية على كيفية مخصوصة مع مقدار مخصوص .

٢- والذى طرفاه مركّبان كقول الشاعر :

كـأنّ مـثـار النقع فـوق رؤوسنا   وأسيـافنا ليل تـهاوى كـواكبـه

الشرح : كأنّ الغبار المنتشر من آثار حوافر الخيل فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل مظلم تتساقط كواكبه ، فوجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من سقوط أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار متفرقة فى جوانب شىء مظلم ، ولا شك أن هذه الهيئة مركبة ، كما أن المشبه -وهو النقع المنتشر والرؤوس والأسياف- مركب ، وكذلك المشبه به -وهو الليل المظلم والكواكب المتساقطة- مركّب .

٣- والذى طرفاه مختلفان ، كقول الشاعر :

كـأنّ مـحـمّـر الشـقـيق   إذا تصـوّب أو تصـعّـد

أعـلام يا قـوت نشـر   ن على رمـاح من زبرجـد

فالمشبه -وهو الشقيق الأحمر- مفرد ، والمشبه به -وهو الأعلام والرماح- مركب .

ووجه الشبه : هو الهيئة الحاصلة من نشر أجرام حمر مبسوطة على رؤوس أجرام خضر مستطيلة .

ومثال عكسه (أى كون المشبه مركبًا ، والمشبه به مفردًا) نحو تشبيه نهار فيه شمس ، وفى ضوء الشمس زهرة بليل مقمر ، فالمشبه هو الهيئة الحاصلة من النهار الذى فيه شمس وزهرة ، وهى مركبة ، والمشبة به (وهو ليل فيه قمر) مفرد .

ومن أبلغ وأجمل وجه الشبه المركب الحسّى هو ما يجىء فى الهيئات التى تقع عليها الحركات ، والهيئة المقصودة من التشبيه فى هذه الصورة على وجهين : الأول : أن تقترن المركبة بغيرها من الأوصاف كالشكل واللون .

والثانى : أن تجرّد هيئة الحركة عن كل وصف سوى نفس الحركة ، مثال الأول ، كما فى قول الشاعر :

والشمس كالمرآة فى كفّ الأشل　　لما رأيتها بدت فوق الجبل

فالمشبه الشمس، والمشبه به هو المرآة حال كونها فى كفّ رجل مشلول اليد، ومرتعشها لأجل اليبس.

ووجه التشبيه هى الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الإشراق، و من الحركة السريعة المتصلة مع ما يحصل فى الإشراق بسبب تلك الحركة من التموّج والاضطراب، فإن الشمس إذا أحدّ الإنسان نظره إليها ليظهر جرمها وجدها مؤدية لهذه الهيئة، وكذلك المرآة إذا كانت فى يد الأشلّ.

والوجه الثانى (وهو تجرد هيئة الحركة عن كل وصف للجسم سوى نفس الحركة) لا بد فيه أيضًا من اختلاط حركات كثيرة للجسم إلى جهات مختلفة له، كأن يتحرك بعضه إلى اليمين، وبعضه إلى الشمال، وبعضه إلى العلو، وبعضه إلى السفل ليتحقق التركيب فى وجه الشبه.

وأمّا حركة الرحى والدولاب والسهم لا تكفى فيه؛ لأنها لا تركيب فيها لاتحاد الحركة فيها، فمثال الثانى: هو قول الشاعر:

وكأنّ البرق مصحف قارٍ　　فانطباقًا مرّة وانفتاحا

فإنّ خركة المصحف فيها ترتيبًا؛ لأنه يتحرك فى الحالتين إلى جهتين فى كل حالة إلى جهة، وكلّما كان التفاوت فى الجهات التى تتحرك أبعاض الجسم إليها أقوى كان التركيب فى هيئة المتحرك أكثر، فالمشبه البرق، والمشبه به المصحف حال كونه فى يد القارئ، ووجه الشبه الحركات المختلفة المركبة.

وكما يقع وجه الشبه المركب الحسّى فى هيئة الحركة -كما مرّ- قد يقع تركيبُ وجه الشبه فى هيئة السكون أيضًا، ومن ألطف أمثلته قول أبى طيب فى صفة الكلب ع:　　يُقعى جلوس البدوى المصطلى[1]

---

(١) تمامه:　　بأربع مجدولة لم تُجدَل

ووجه لطفه أن لكل عضو من الكلب فى إقعاءه موقعًا خاصّا به، وللمجموع صورةً خاصةً مؤلفةً من تلك المواقع، فالمشبه هو إقعاء الكلب، والمشبه به هو جلوس البدوى للاصطلاء بالنار.

ووجه الشبه هى الهيئة الحاصلة من موقع كل عضو من الكلب، ومن كل عضو من البدوى عند الاصطلاء.

٤ – مثال المركب العقلى لوجه الشبه قوله تعالى: ﴿مثل الذين حُمّلوا التوراة ثمّ لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا﴾ فالمشبه مثل اليهود، والمشبه به هو مثل الحمار الحامل للكتب.

ووجه الشبه عدم الانتفاع بأكمل نافع (وهو أوعية العلوم) مع التعب الحاصل من استصحابه وحمله، فعدم الانتفاع أمر عقلى منتزع من عدة أمور؛ لأنّه روعى فى المشبه به فعل مخصوص وهو الحمل، وأن يكون المحمول أوعية العلوم، وأن الحمار جاهل بما فى الأسفار، وكذا فى جانب المشبه روعيت أمور من عهدهم بقبول التوراة والعمل به، وادّعاءهم أنهم أهل الكتاب، بل أهل الجنة لا غيرهم.

وقوع الخطأ فى انتزاع وجه الشبه

واعلم أنه قد يقع بعد أداة التشبيه أمور يظنّ أن المقصود (وجه التشبيه) أمر منتزع من بعضها، فيقع الخطأ؛ لكونه أمرًا منتزعًا من جميعها كقوله:

كما أبرقت قومًا عطاشًا غمامة   فلمّا رأوها أقشعت وتجلّت

والكاف فى "كما" للتشبيه، أى حال هؤلاء القوم المذكورين فى الأبيات السابقة كحال ظهور السحابة (والرعد) لقوم عطاش رأوا الغمامة ثم

تفرقت السحابة وانكشفت، أى غابت ولم تمطر، فانتزاع وجه الشبه من مجرد قوله: "كما أبرقت قومًا عطاشًا غمامة" خطأ؛ لوجوب انتزاعه من الجميع (-جميع البيت)؛ لأن غرض الشاعر من هذا التشبيه أن يثبت ابتداءً مُطمِعًا متصلا بانتهاء مؤيسٍ، وذلك يتوقف على البيت كلّه.

الفرق
بين التشبيه المركب والتشبيهات المجتمعة

وأمّا فى التشبيهات المجتمعة، فإذا قلنا: زيد كالأسد بأسًا، والسيف مضاءً، والبحر جودًا، لا يكون لهذه التشبيهات وضع مخصوص، حتى لو قدّم التشبيه بالبحر، أو التشبيه بالسيف جاز، ولو أسقط واحد من الثلاثة لم يتغيّر حال غيره فى إفادة معناه لأن كل واحد تشبيه مستقل، بخلاف المركّب فإن المقصود منه يختلّ بإسقاط بعض الأمور، وتقديم بعضها على بعض.

٥- مثال وجه الشبه المتعدد الحسّى: كاللون والطعم والرائحة فى تشبيه فاكهة بأخرى.

٦- و مثال المتعدد العقلى: كحدّة النظر، وكمال الحذر وإخفاء السفاد فى تشبيه طائر بالغراب.

٧- و مثال المتعدد المختلف كحسن الطلعة ونباهة الشأن فى تشبيه إنسان بالشمس.

الفرق
بين وجه الشبه المتعدد والمركّب

والفرق بينهما أن المقصود فى المتعدد اشتراك الطرفين (المشبه والمشبه به) فى كل من الأمور المتعددة المذكور، ولا يُعمد إلى انتزاع هيئةٍ من تلك الأمور لتكون مشتركة بينهما، بخلاف المركّب، فإن المقصود فيه هى الهيئة المنتزعة من الأمور المتعددة.

قد يكون التضاد وجهًا للتشبيه

واعلم أنه قد ينتزع وجه التشبيه من التضاد؛ لاشتراك الضدّين فيه، ثم ينزل ذلك التضاد منزلة التناسب بواسطة تمليح (الإتيان بما فيه ملاحة وظرافة) أو تهكّم (سخرية واستهزاء) كما يقال للبخيل (الذى هو ضدّ حاتم): هو كحاتم، وللجبان (الذى هو ضدّ الأسد): ما أشبهه بالأسد، فقد يكون هذا التشبيه للتهكم (السخرية والاستهزاء) وقد يكون للملاحة والظرافة، وإنّما الفرق بينهما بحسب المقام وقصد المتكلم.

٣- أداة التشبيه

وأما أداته فالكاف، وكأنّ، ومُثل، ونحو و شبه، وما يشتقّ من لفظة

مثل وشبه.

الأمثلة: نحو زيد كالأسد، وزيد كأنه أسد، وعمرو مثل الأسد وغيرها.

والأصل فى "الكاف" ونحوها (كلفظة نحو، ومثل، وشبه) أن يكون بجنب المشبه به إمّا لفظًا، كما تقول: زيد كالأسد، وإمّا تقديرًا، كقوله تعالى: ﴿أو كصيّب من السماء﴾ أى كمثل ذوى صيّب، وقد يقع (على سبيل القلّة) بجنب الكاف ونحوها غير المشبه به (وهو المفرد الذى لا يمكن التشبيه به) كما فى قوله تعالى: ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيمًا تذروه الرياح﴾ إذ ليس المراد تشبيه حال الدنيا بالماء، ولا بمفرد آخر يتمحّل لتقديره، بل المراد تشبيه حال الدنيا فى نضارتها وبهجتها، وما يتعقّبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون أخضر ناضراً، ثم يهيج فتطيره الرياح، فصار كأن لم يكن، وقد دخل حرف "الكاف" على لفظ "الماء"، وهو ليس بمشبه به.

وقد لا يذكر واحد من تلك الأداة للتشبيه، بل يذكر فعل يخبر عن التشبيه ويدل عليه، كلفظ "علمت" فى قولك: علمت زيدا أسدا، وهذا إذا ادّعى كمال المشابهة، والقرب فى التشبيه لما فى "علمت" من معنى التحقيق.

وأمّا إذا أريد البعد فى التشبيه يقال: حسبت زيدًا أسدًا، أو خلتُ زيدا أسدًا، لما فى الحسبان والخيال من الظن والإشعار بعدم التحقق.

التمرين

١- بيّن مفهوم التشبيه لغةً واصطلاحًا.

٢- اذكر الأقسام الثلاثة لطرفى التشبيه مع الأمثلة لكل واحد منها.

٣- اكتب مثالين للمشبه به الخيالى والوهمى.

٤- ولما ذا استُشهِد بقول الشاعر :

وكـــأنّ النجـوم بين دجـاهـا سـنن لاح بينهـن ابتـــــداع

٥- ما هو الوجه التشبيه الصحيح فى قول القائل : "النحو فى الكلام كالملح فى الطعام"؟

٦- ما هى الأقسام الستة لوجه الشبه؟ بيّنها بالتفصيل .

٧- ما معنى قولهم : "العقلى من وجه الشبه أعمّ من الحسى منه"؟

٨- إذا كان وجه الشبه حسيًا يكون مشخصًا وجزئيًا ، فكيف يكون مشتركًا بين الطرفين وصادقا عليهما؟

٩- اذكر الأقسام السبعة لوجه الشبه باعتبار وحدته وتعدده وتركيبه .

١٠- اكتب أمثلة وجه الشبه الواحد الحسى باعتبار الحواسّ الخمسة الظاهرة .

١١- ما هو الوجه تشبيه فى قول الشاعر؟

وقد لاح فى الصبح الثريا كما ترى كعنقود ملاحية حين نوّرا

١٢- مثل لوجه الشبه العقلى المركّب الذى طرفاه مختلفان .

١٣- لما ذا استشهد بقول أبى الطيب : يُقعى جلوس البدوى المصطلى

١٤- مثّل لوجه الشبه المركب العقلى من القرآن الكريم .

١٥- كيف يقع الخطأ فى انتزاع وجه الشبه فى هذا الشعر :

كما أبرقت قومًا عطاشًا غمامة فلمّا رأوها أقشعت وتجلّت

١٦- وضّح الفرق بين التشبيه المركّب والتشبيهات المجتمعة .

١٧- بيّن الفرق بين وجه الشبه المركّب والمتعدد .

١٨- ما هو المشبه به فى قوله تعالى : ﴿كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض﴾ الآية؟

٤- الغرض من التشبيه

وهو على ضربين: الأول: -وهو الأغلب- ما يعود إلى المشبه، والثانى: ما يعود إلى المشبه به -وهو قليل-.

أمّا الأول فعلى أوجه:

١ - منها بيان أن وجود المشبه ممكن، وذلك إذا كان المشبه أمرًا غريبًا يمكن أن يخالف فيه، ويدّعى امتناعه، مثاله: كما فى قول أبى الطيب:

فإن تَفُق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال

أراد الشاعر أن الممدوح فاق الأنام فى الأوصاف الفاضلة إلى حدّ بطل معه أن يكون واحدًا منهم، بل صار نوعًا آخر برأسه أشرفَ من الإنسان، ولكن هذا ممكن، وليس ببعيد عقلا، كما أنّ المسك بعض دم الغزال، وقد فاق هذا الدمّ بقية الدماء، وصار نوعًا آخر، حتى لا يعدّ فى الدماء لما فيه من الأوصاف الشريفة التى لا توجد فى سائر الدماء.

٢ - ومنها بيان حال المشبه بأنه على أىّ وصف من الأوصاف، كما فى تشبيه ثوب بآخر فى السواد (إذا علم السّامع وصف المشبّه به ولونه، دون وصف المشبّه).

٣- ومنها بيان مقدار حاله فى القوّة والضّعف، والزيادة والنقصان، كما فى تشبيه الثوب الأسود بالغراب فى شدة السواد.

٤ - ومنها تقرير حال المشبّه وإثبات شأنه فى نفس السّامع، كما فى تشبيه من لا فائدة فى سعيه بمن يرقم على الماء.

وهذه الأربعة (لجعل المشبه به دليلا على المشبّه) تقتضى أن يكون وجه

الشبه فى المشبّه به أتمّ، والمشبه به بوجه الشّبه أعرفَ وأشهر.

٥- ومنها تزيين المشبّه فى عين السامع للترغيب فيه، كما فى تشبيه وجه أسود بمقلة الظبى (أى سواد عين الظبى).

٦- ومنها تشويه المشبّه أى تقبيحه للتنفير عنه، كما فى تشبيه وجه مجدور بسلحة جامدة (عذرة يابسة) قد نقرتها الديكة.

٧- ومنها استطرافه أى عدّ المشبّه طريفًا يعنى جديدًا بديعًا، كما فى تشبيه فحم فيه جمر موقد ببحر من المسك موجه الذهب؛ لإبراز المشبّه فى صورة الممتنع عادةً، وإن كان ممكنًا عقلا، فالممتنع عادةً مستطرف غريب، وللاستطراف (عَدّ المشبّه طريفًا وبديعًا) وجه آخر، وهو إبراز المشبّه به فى صورة الشىء النادر الوجود فى الذهن إمّا مطلقًا (أى قطع النظر عن حضور المشبّه فى الذهن وعدمه) كما مرّ فى تشبيه فحم فيه جمر موقد، وإمّا عند حضور المشبه فيه، كما فى قول الشاعر:

ولازورديّة تزهو بزرقتها بين الرياض على حمر اليواقيت
كأنّها فوق قامات ضعفن بها أوائل النار فى أطراف كبريت

أى ربّ أزهار من البنفسج لونها كلون اللاجورد (حجر معروف) تتكبر وتفتخر بسبب زرقة لونها بين الحدائق على الأزهار والشقائق الحمر، كأنّ تلك الأزهار اللازوردية فوق ساقات قد ضعُفن تلك الساقات عن تحمّلها ابتداءُ النار فى جوانب الكبريت المشتعل.

فالمشبه الأزهار اللازوردية (البنفسج) والمشبه به أوائل النار فى أطراف كبريت، فإن صورة اتصال النار بأطراف الكبريت فى نفسها لا يندر حضورها فى الذهن، مثل ندرة بحر من المسك موجه الذهب، ولكن يندر حضورها فيه عند حضور المشبه، وهو صورة الأزهار أعنى البنفسج،

فيحدُثُ الاستطراف بمشاهدة الاتصال بين صورتين متباعدتين (صورة البنفسج وصورة أوائل النار فى أطراف الكبريت.

والنوع الثانى من غرض التشبيه -وهو الذى يعود إلى المشبه به- ضربان: أحدهما: الإلقاء فى وهم السامع أن المشبه به أتم من المشبّه فى وجه الشبه، يعنى يوجد وجه الشبه فى المشبه به أكمل من المشبه، وذلك فى التشبيه المقلوب، وهو الذى يجعل فيه الناقص مشبّهًا به قصدا إلى ادّعاء أنه أكمل، كقول الشاعر:

وبدا الصّباح.كأنّ غرّته ... وجه الخليفة حين يُمتدح

فإن الشاعر قصد إيهام السامع بأن وجه الخليفة أتمّ من الصباح فى الوضوح والضياء.

ومنه قوله تعالى حكايةً عن مستحلى الربا: ﴿إنما البيع مثل الربا﴾ فإن مقتضى الظاهر أن يقال: ﴿إنما الربا مثل البيع﴾ إذ الكلام فى الربا دون البيع، فعكسوا الأمر؛ لجعلهم الربا فى الحلّ أتمّ من البيع وأعرف به.

ومنه قوله تعالى: ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق﴾ فإن مقتضى الظاهر العكس (أفمن لا يخلق كمن يخلق) لأن الخطاب للذين عبدوا الأوثان وسمّوها آلهة تشبيهًا بالله سبحانه وتعالى، فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق، فخالفهم الله فى خطابهم لأنهم بالغوا فى عبادتها وغلوا حتي صارت عندهم أصلا فى العبادة، وصار الخالق سبحانه فرعًا، فجاء الإنكار على وفق ذلك، يعنى إنما يكون حق ترك العبادة لمن لا يخلق، وحق العبادة لمن يخلق، وأنتم أيّها المشركون عكستم الأمر.

وثانيهما: بيان الاهتمام بالمشبّه به، كتشبيه الجائع وجهًا (هو كالبدر فى الإشراق والاستدارة) بالرغيف، فعدول المتكلم عن تشبيه الوجه بالبدر

المستدير المشرق إلى تشبيهه بالرغيف دليل على اهتمامه بالرغيف لغلبة الجوع عليه ورغبته فيه، ويسمّى (هذا التشبيه تشبيه إظهار المطلوب.

متى يكون التشبيه حسناً؟

وهذا (المذكور من أنواع التشبيه، وأنواع طرفيه، وأنواع الغرض منه) كلّه إذا أريد (فى التشبيه) إلحاق الناقص فى وجه الشبه بالزائد منه، حقيقةً (كان نقصانه)، كما فى الغرض العائد إلى المشبّه، أو ادّعاءً، كما فى الغرض العائد إلى المشبه به (نحو غرّة الصّباح كوجه الخليفة).

وأمّا إذا أريد الجمع (والمشاركة) بين شيئين فى أمر من الأمور (ووصف من الأوصاف) من غير قصد إلى كون أحدهما ناقصاً، والآخر زائداً، فالأولى ترك التشبيه واختيار الحكم بالتشابه بينهما ليمكن كون كل واحد منهما مشبّهاً ومشبّهاً به، وإنّما يُفعل ذلك للاحتراز عن ترجيح أحد المتساويين فى وجه الشبه (ظاهراً) على الآخر، مثاله: كقول الشاعر[1]:

تشابه دمعى إذ جرى ومدامتى ... فمن مثل ما فى الكأس عينى تسكب
فوالله ما أدرى أبا الخمر أسبلت ... جفونى أم من عبرتى كنت أشرب

يقول الشاعر: صار دمعى حينما يسيل، والخمر التى أشربها دائماً متشابهين حتى يسيل من عينى مثل الخمر، فوالله صار الفرق بينهما مشكلا، حتى لا أدرى أتسيل الخمر من جفونى (وكنت أشرب دموعاً) أو يسيل الدموع من جفونى وكنت أشرب خمراً؟ وهذا من قبيل تجاهل العارف، فلمّا اعتقد التساوى بين الدمع والخمر ترك التشبيه، واكتفى بالتشابه.

وفى هذه الصورة جاز التشبيه أيضاً (وإن كان الأولى ترك التشبيه)

---

(١) أبى إسحاق إبراهيم الصابى.

لأنهما وإن تساويا فى وجه الشبه بحسب قصد المتكلم، إلا أنه يجوز له أن يجعل أحدهما مشبّهًا، والآخر مشبّها به لغرض من الأغراض، مثل زيادة الاهتمام وغيره.

مثاله: كتشبيه غرّة الفرس بالصبح وتشبيه الصبح بغرة الفرس متى أريد ظهور منير (كغرّة الفرس، وضياء الصبح) فى مظلم (كالليل وسواد الفرس) أكثر من ذلك المنير إذا لم يقصد تشبيهه.

التقسيم الرابع
للتشبيه باعتبار طرفيه

وله باعتبار طرفيه أربعة أقسام: **الأول**: تشبيه المفرد بالمفرد، وهو ما طرفاه مفردان، وهما (المفردان) إمّا غير مقيّدين، كتشبيه الخدّ بالورد فى الحمرة والجمال، وإمّا مقيدان، كقولهم لمن لا يحصل من سعيه على شىء: "هو كالقابض على الماء"، أو "كالراقم فى الماء" فإن المشبّه هو السّاعى لا مطلقًا، بل مقيّدًا بكون سعيه كذلك، والمشبّه به هو القابض على الماء، أو الراقم فيه لا مطلقًا، بل مقيّدًا بكون قبضه على الماء أو رقمه فيه، ووجه الشبه هو التسوية بين الفعل وعدمه فى عدم الفائدة، فالمشبّه هو الموصول المقيّد بعدم حصول شىء من سعيه، والمشبّه به هو الموصول المقيّد بالقبض على الماء أو الرقم فيه.

وإمّا مختلفان: أحدهما: مقيد، والآخر: غير مقيّد، مثال كون المقيد المشبه به، كقوله: "والشمس كالمرآة فى كفّ الأشل" فإن المشبّه هو الشمس على الإطلاق، والمشبه به هو المرأة، لا على الإطلاق، بل مقيدة بكونها فى يد الأشلّ، وعكسه: كتشبيه المرآة فى كفّ الأشلّ بالشمس.

الثانى: تشبيه المركب بالمركب بأن يكون كل من الطرفين كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامّت وتلاصقت حتى صارت شيئًا واحدًا، مثاله: كقول البحترى:

ترى أحجاله[1] يَصْعَدْن فيه ... صعود البرق فى الغيم الجهام

ما أراد به تشبيه بياض الحجول على الانفراد بالبرق، بل مقصوده تشبيه الهيئة الخاصة الحاصلة من مخالطة أحد اللونين بالآخر، وهى مخالطة البياض بالسواد، هذا هو مقصود بشّار فى بيته:

كأنّ مثار النقع فوق رؤوسنا ... وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

الثالث: تشبيه المفرد بالمركب، كما مرّ فى قول الشاعر:

كأنّ محمرّ الشقيق ... إذ تصوّبَ أو تصعّد

أعلام ياقوت نشر ... ن على رماح من زبرجد

الرابع: تشبيه المركب بالمفرد، كقول أبى تمام:

يا صاحبىّ تقصّيا نظريكما ... تريا وجوه الأرض كيف تصوّر

تريا نهارًا مشمسًا قد شابه ... زهر الربى فكأنّما هو مُقْمِر

يقول الشاعر: يا صاحبىّ اجتهدا فى النظر وبلّغاه إلى الحدّ الأقصى تريا وجوه الأرض كيف تتصور وتظهر، وتريان نهارًا فيه الشمس، وقد خالط النهار (مع الشمس) أزهار الموضع المرتفع، فكأنّما ذلك النهار فى قلّة ضوءه كليل مقمر، لأن الأزهار لخضرتها قد نقصت من ضوء الشمس حتى صارت يضرب إلى السواد، فالمشبّه مركب (وهو النهار المشمس الذى خالطه زهر الربى) والمشبه به مفرد، وهو الليل المقمر.

---

(١) الأحجال: جمع حجل، وهو بياض رجل الفرس، والجهام: السحاب غير الممطر.

التقسيم الخامس
للتشبيه باعتبار تعدد الطرفين

وله على هذا الاعتبار أيضًا أربعة أقسام : **الأول**: التشبيه الملفوف ، وهو أن يؤتى فيه بالمشبّهين فصاعدًا ، ثم المشبّه بهما كذلك ، كقول امرئ القيس فى مدح العقاب بكثرة الاصطياد :

كأنّ قلوب الطير رطْبًا ويابسًا   لدى وكرها العناب والحشف البالى

وقد شبّه الرطب الطرى من قلوب الطير بالعناب ، واليابس القديم منها بالحشف البالى (هو أردأ التمر) ، فذكر المشبّهين أولا ، والمشبّه بهما ثانيًا على الترتيب .

والثانى: التشبيه المفروق ، وهو أن يؤتى بمشبه ومشبّه به أولا ، ثم بمشبه آخر ، وبمشبه به آخر ثانيًا وهكذا ، (أى لا يكون بعض المشبّه متصلا ببعض ، ولا المشبه به كذلك) ومن ثمّ سمّى مفروقا ، كقول الشاعر :

النشر مسك والوجوه دنا   نير وأطراف الأكف عنْم[1]

ففى هذا البيت ثلاث تشبيهات ، كل منها مستقل بنفسه : (١) تشبيه نشرهن (الرائحة الطيبة) بالمسك . (٢) وتشبيه وجوههن بالدنانير . (٣) وتشبيه أطراف أكفّهن بالعنم (شجر أحمر ليّنة الأغصان) .

والثالث: تشبيه التسوية ، وهو أن يتعدد الطرف الأول –وهو المشبّه– دون الطرف الثانى –وهو المشبّه به– كقول الشاعر :

صدغ[2] الحبيب وحالى   كلاهما كالليالى

---

(١) شجر ذو أغصان لينة أحمر اللون .

(٢) والصدغ : ما بين الأذن والعين ، والثغ : مقدم الأسنان .

وثغـــــره فـى صــــفـــــاء ... وأدمـــعى كـــاللئـــالى

ففى الأول: وجه التشبيه السواد، وفى الثانى: الصفاء والبياض، كما أن المشبه فى كليهما متعدد والمشبه به واحد.

والرابع: تشبيه الجمع، وهو أن يتعدّد الطرف الثانى (المشبه به) دون الأول (المشبه) كقول الشاعر:

بـات نـديمًـا حـتى الصّبـاح ... أغَيدُ مـجدولَ مكان الوشـاح

كـأنّمـا يَبـسم عن لؤلؤ ... منضّد أو بـرد أو أقـــاح

شرح الكلمات: الأغيد: ليّن البدن، والمجدول: ضامر الخاصرتين والبطن، والوشاح: جلد يُرصّع بالجواهر ويشدّ فى الوسط، والمنضّد: المنظم فى الخيط، والبرد: حبّ الغمام، والأقاح: جمع أقحوان نوع من الورد.

وقد شبّه ثغر الممدوح (مقدم أسنانه) بثلاثة أشياء: اللؤلؤ، والبرد، والأقاح، فالمشبه واحد والمشبه به متعدد، أى كان المحدوح الأغيد فى الليل مع ندمائه وأصدقائه حتى الصباح، حال كونه ضعيف الجسم، خصوصا محل شدّ الوشاح، كأنّما يضحك عن أسنان هى كالأمور الثلاثة.

التقسيم السادس
للتشبيه باعتبار وجه الشبه

وله على هذا الاعتبار ستة أقسام: **الأول**: تشبيه التمثيل: وهو التشبيه الذى يكون وجه الشبه فيه وصفًا منتزعًا من متعدد، يعنى أمرين فصاعدًا، كما مرّ فى الأمثلة السابقة من تشبيه الثريا بالعنقود، وتشبيه مثار النقع فوق الرؤوس والأسياف بالليل المتهاوى كواكبه، وتشبيه المرآة فى الكف الأشلّ

بالشمس وعكسه .

وعدّ السكاكى الوصف المنتزع من متعدد وصفًا غير حقيقى ؛ لأنه قال : " التشبيه متى كان وجهه وصفًا غير حقيقى ، وكان منتزعًا من عدّة أمور خُصّ باسم (التمثيل) كما مرّ فى تشبيه مَثَل اليهود بمَثَل الحمار ؛ فإن وجه التشبيه هو حرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع الكدّ والتعب فى استصحابه (حمله) ، فهو وصف مركب من متعدد عائد إلى التوهم (أى يكون وجه الشبه أمرًا وهميًا غير وصف حقيقى) .

فتشبيه التمثيل عند الجمهور : هو أن يكون وجه الشبه مركبًا ومنتزعًا عن متعدد ، سواء كان وصفًا حقيقيًا أو لا .

وعند السكاكى : هو أن يكون وجه الشبه فيه وصفًا غير حقيقى ، أى وهميًا منتزعًا عن متعدد .

٢- والثانى: غير التمثيل (أى تشبيه ليس فيه وجه الشبه منتزعًا عن متعدد) هذا عند الجمهور ، وأمّا عند السكاكى : التشبيه الذى لا يكون وجه الشبه فيه وصفًا غير حقيقى ومنتزعًا عن متعدد ، أى لا يكون وجه الشبه فيه وهميًا .

٣- والثالث: التشبيه المجمل : وهو الذى لم يذكر فيه وجه الشبه ، (١) إمّا لأنه ظاهر يفهمه كل أحد ، حتى العامّة ، كقولنا : " زيد أسد " إذ لا يخفى على أحد أن المراد به التشبيه فى الشجاعة دون غيرها .

(٢) وإمّا لأنه خفى لا يدركه إلا من له ذهن يرتفع به عن طبقة العامة ، كقول من وَصَف بنى المهلب أمام الحجاج بعد سؤاله بقوله : " أيّهم أنجد " " كانوا كالحلقة المفرغة لا يُدرى أين طرفاها " أى لتناسب أصولهم وفروعهم فى الشرف يمتنع تعيين الأفضل منهم ، كما أن الحلقة المفرغة لتناسب أجزاءها

يمتنع تعيين بعضها طرفًا، وبعضها وسطًا، (٣) وإمّا لأنه لم يذكر وصف المشبه، ولا وصف المشبه به (كما فى زيد أسد).

٤ - وإمّا لأنه ذكر فيه وصف المشبه به وحده، دون وصف المشبه، كالمثال الثانى: (كانوا كالحلقة المفرغة لا يُدرى أين طرفاها؟).

٥ - وإمّا لأنه ذكر فيه وصف كل واحد منهما (فيلتبس الأمر بأن أىّ وصف هو وجه التشبيه)، كقول الشاعر:

صدفتُ عنه ولم تصدِف مواهبه ... عنّى وعاوده ظنّى فلم يخب

كالغيث إن جئتَه وافاك ريّقه[1] ... وإن ترحّلتَ عنه لجّ فى الطلب

فوصفَ المشبَّه (أعنى الممدوح) بأن عطاياه فائضة أعرض عنه أو لم يعرض، وكذا وَصَفَ المشبه به (أعنى الغيث) بأنّه يصيبك جئته أو ترحّلتَ عنه، فوجه الشبه هو الإفاضة فى حالىّ الطلب وعدمه، وحالىّ الإقبال عليه والإعراض عنه.

والرابع: التشبيه المفصّل: وهو الذى ذُكِر فيه وجه الشبه كقول الشاعر:

وثغره فى صفاء ... وأدمعى كاللآلئ

أى مقدّم أسنان الممدوح وأدمعى (جمع دموع) كاللآلئ فى الصّفاء والجودة والحسن، وقول الشاعر:

يا شبيه البدر فى الحسن وفى بعد المنال ... جد فقد تنفجر الصّخرة بالماء الزلال

وقد يتسامحون بسبب ذكر ما يستلزم وجه التشبيه، أى يذكرون ملزوم وجه الشبه لا نفسه؛ لكون وجه الشبه تابعًا لملزومه كقولهم للكلام الفصيح: "هو كالعسل فى الحلاوة" فإن الجامع (وجه الشبه) فيه لازم الحلاوة، وهو ميل الطبع لأن المشترك بين الكلام والعسل هو ميل الطبع، لا نفس الحلاوة

(١) أى أفضله، فإن ريّق كلّ شىء أفضله.

التى هى من خواص المطعومات.

والخامس: التشبيه القريب المبتذل: وهو الذى ينتقل الذهن فيه من المشبه إلى المشبه به من غير تدقيق نظر؛ لظهور وجه الشبه فى بادى الرأى (فى أول الأمر) وظهور وجه الشبه إنما يكون لأمرين: الأول: لكونه أمرًا مجملا، لا تفصيل فيه، فإن المجمل أسبق إلى الذهن من التفصيل، فإن إدراك الكلمة أسهل وأقدم من إدراك "اللفظ" و "والوضع" و "المعنى" و "المفرد".

والثانى: لكون وجه الشبه قليل التفصيل مع غلبة حضور المشبّه به فى الذهن (سواء كان حضوره عند حضور المشبه لقرب المناسبة بينهما) كما فى تشبيه الجرّة الصّغيرة بالكوز فى المقدار والشكل، وفى وجه الشبه تفصيل قليل أعنى المقدار والشكل، إلا أن الكوز غالب الحضور فى الذهن عند حضور الجرّة فيه (أو كان حضور المشبه به فى الذهن مطلقًا) لتكرره (المشبه به) على الحسّ، كما فى تشبيه الشمس بالمرآة المجلوّة فى الاستدارة والاستنارة، فالمشبه به غالب الحضور فى الذهن مطلقًا، وإن كان فى وجه التشبيه نوع تفصيل، فإن قرب المناسبة والتكرر على الحسّ كل واحد منهما يعارض التفصيل الذى يفيد الغرابة، فيكون التشبيه مبتذلا ومستعملا، لا غريبًا قليل الاستعمال.

والسادس: التشبيه البعيد الغريب: وهو الذى لا ينتقل الذهن فيه من المشبه إلى المشبه به إلا بعد فكر وتدقيق نظر، وذلك البعد إنما يكون لخفاء فى وجه الشبه فى بادى الرأى (أول الأمر).

وسبب ذلك الخفاء أمران: أحدهما: كونه كثير التفصيل، كما سبق من تشبيه الشمس بالمرآة فى كفّ الأشلّ، فإن ما ذكرناه من الهيئة الانتزاعية لا تقوم فى نفس الرائى للمرآة الدائمة الاضطراب، إلا أن يستأنف تأمّلا،

ويكون فى نظره متمهّلا .

وثانيهما : ندور حضور المشبه به فى الذهن ، إمّا عند حضور المشبّه ؛ لبعد المناسبة بينهما ، كما تقدّم من تشبيه البنفسج بنار الكبريت ، وإمّا مطلقًا ؛ لكون وجه الشبه وهميًا ، أو مركّبًا خياليًا ، أو مركّبًا عقليًا ، كما مضى من تشبيه نصال السّهام بأنياب الأغوال ، وتشبيه الشقيق بأعلام ياقوت منشورة على رماح من زبرجد ، وتشبيه مَثَل أحبار اليهود بمثل الحمار يحمل أسفارًا ، فكل واحد منها سبب لندرة حضور المشبه به فى الذهن ، أو لقلّة تكرره على الحسّ ، كما مرّ من تشبيه الشمس بالمرآة فى كفّ الأشلّ ، فإن المرء ربما يقضى دهره ولا يتفق له أن يرى مرآة فى كفّ الأشلّ ، فالغرابة فى هذا التشبيه من وجهين : أحدهما : كثرة التفصيل فى وجه الشبه ، والثانى : قلّة التكرار على الحسّ .

مفهوم تفصيل وجه الشبه

والمراد بالتفصيل (فى وجه الشبه) أن يُنظرَ فى أوصاف شىء واحد ، أو أوصاف أشياء كثرة ، ثم جُعِل بعضها وجها للتشبيه ويترك بعضها ، ويقع ذلك التفصيل على وجوه كثيرة ، أولها وأعرفها أن تأخذ بعضًا من الأوصاف وتدع بعضًا منها ، كما فى قول الشاعر :

حَملتُ ردينيّا كأن سنانه ... سنا لهب لم يتصل بدخان

الردينى : رمح منسوب إلى رُدَينة (امرأة كانت تُحسِن صنع الرماح) .

وسنان الرمح : حدّه .

والسنا : الضوء ، كما فى قوله تعالى : ﴿يكاد سنا برقه يذهب

بالأبصار﴾، فاعتبر فى المشبّه به (سَنَا اللهب) الشكل واللون، واللمعان، وترك الاتصال بالدخان ونفاه.

وثانيها: أن تعتبر الجميع (جميع الأوصاف) كما مرّ من تشبيه الثريا بالعنقود الملاحية حين نوّر، فإن الشاعر اعتبر من الثريا الشكل، والمقدار، واللون، واجتماع الكواكب على المسافة المخصوصة فى القرب، ثم اعتبر مثل ذلك فى العنقود، وكلّما كان تركيب وجه التشبيه من أمور كثيرة كان التشبيه أبعد وأبلغ؛ لكثرة التفصيل وعدم وصول غير البلغاء إليه.

التشبيه البليغ

والتشبيه البليغ (الذى يُجعل فيه المشبه مبتدأ والمشبه به خبرًا) إنما يكون من هذا النوع، أعنى البعيد الغريب؛ لغرابته، ولأن الشىء إذا حصل بعد الطلب له، والاشتياق إليه كان أحلى، وموقعه من الذهن ألطف، وبالمسرّة أولى، وإنما يكون التشبيه البعيد الغريب بليغًا إذا كان سبب البعد والغرابة لطف المعنى ودقّته، أو ترتيب بعض المعانى على البعض، وأمّا إذا كان سبب البعد والغرابة سوء ترتيب الألفاظ، واختلال الانتقال من المعنى الأول إلى المعنى الثانى الذى هو المراد باللفظ عند البلغاء، فلا شك أنه يكون فى الكلام تعقيدٌ، والتعقيد مذموم، ومنافٍ للبلاغة.

كيف يجعلُ التشبيه القريبُ المبتذلُ غريبًا؟

وقد يتصرّف فى القريب المبتذل (كثير الاستعمال سهل الفهم) بما

يُخرجه من الابتذال إلى الغرابة، مثاله كقول أبى الطيب:

لم تلقَ هذا الوجه شمس نهارنا　　إلا بوجه ليس فيه حياء

فتشبيه وجه الممدوح بالشمس مبتذل، إلا أن حديث الحياء، وما فيه من الدقة والخفاء، أخرجه من الابتذال إلى الغرابة، وقول الشاعر:

عزماته مثل النجوم ثواقبا　　لو لم يكن للثاقبات أفول

فتشبيه العزم بالنجم مبتذل، إلا أن اشتراط عدم الأفول (الغروب) أخرجه إلى الغرابة، يعنى إرادات الممدوح أحق أن تُشبّه بالنجوم بشرط أن لا تغرب ولا تغيب تلك النجوم.

ويسمّى مثل هذا التشبيه التشبيه المشروط، وهو الذى يكون فيه أحد الطرفين أو كلاهما مشروطًا.

التقسيم السابع للتشبيه باعتبار أداته

وهو بهذا الاعتبار على قسمين: مؤكّد ومرسل.

١- فالمؤكّد: هو ما حذفت أداته (أداة التشبيه) مثاله كما فى قوله تعالى: ﴿وهى تمرّ مرّ السحاب﴾ أى مثل مرّ السحاب، فحذف "مثل" تأكيدًا، ومن المؤكّد ما أضيف فيه المشبّه به إلى المشبّه بعد حذف الأداة، كقول الشاعر:

والريح تعبث بالغصون وقد جرى　　ذَهَبُ الأصيلِ على لُجَيْن الماء

تعبث بالغصون: أى تميلها إلى الأطراف والجوانب.

ذهب الأصيل: أى الوقت بين العصر والمغرب الذى هو كالذهب فى الصفرة، فهذا من قبيل إضافة المشبه به إلى المشبه.

وقد جرى: أى ظهر.

لجين الماء : أى الماء الذى هو كاللجين (الفضة) فى الصفاء والبياض، ففى "ذَهَبُ الأصيل" و "لجين الماء" تشبيه مؤكد.

٢- والمرسل: هو الذى ذكر فيه أداة التشبيه، فكأنه صار مرسلا ومطلقًا من التأكيد المستفاد من حذف أداة التشبيه.

التقسيم الثامن باعتبار غرض التشبيه

وله على هذا الاعتبار أيضًا قسمان : مقبول ومردود.

١- فالمقبول: هو الذى يكون وافيًا بإفادة غرض التشبيه، كأن يكون المشبه به أعرف شىء بوجه الشبه فى بيان حال المشبه، بأنه على أىّ وصف من الأوصاف، كما فى تشبيه ثوب بآخر فى السّواد إذا علم السامع لون المشبه به دون المشبه.

أو كأن يكون المشبه به أتمّ شىء فى وجه الشبه فى إلحاق الناقص بالكامل، أو كأن يكون المشبه به مسلّم الحكم فى وجه الشبه بمعنى أن وجود وجه الشبه فيه مسلّم، ويكون المشبّه به معروفًا بذلك الحكم (حكم وجود وجه الشبه فيه) عند المخاطب فى الإمكان، أى فى التشبيه الذى أريد به بيان إمكان المشبه، ببيان وجود وجه الشبه فيه، كقوله :

فإن تَفُقِ الأنام وأنت منهم ... فإن المسك بعض دم الغزال

٢- والمردود: هو الذى بخلافه، أى يكون قاصرًا عن إفادة الغرض، بأن لا يكون على شرط المقبول.

مراتب التشبيه فى القوة والضعف

قد سبق أن أركان التشبيه أربعة: المشبه والمشبه به، وأداة التشبيه ووجهه.

فالحاصل من مراتب التشبيه فى القوة والضعف باعتبار ذكر الأركان كلها، أو بعضها ثمانية أقسام: ١- ذكر الأركان الأربعة، كقولك: زيد كالأسد فى الشجاعة، ولا قوة لهذه المرتبة.

٢- ترك المشبه، كقولك: كالأسد فى الشجاعة، أى زيد، وهى كالأوّل فى عدم القوة.

٣- ترك كلمة التشبيه أى أداته، كقولك: زيد أسد فى الشجاعة، وفيها نوع قوة.

٤- ترك المشبّه وأداة التشبيه، كقولك: أسد فى الشجاعة، أى زيد كالأسد، وهى كالثالثة فى القوة.

٥- ترك وجه الشبه، كقولك: زيد كالأسد، وفيها نوع قوة لعموم وجه الشبه فى الظاهر.

٦- ترك المشبه ووجه الشبه، كقولك: كالأسد أى زيد فى الشجاعة، وهى كالخامسة فى القوة.

٧- ترك أداة التشبيه ووجه الشبه، كقولك: زيد أسد، أى زيد كالأسد فى الشجاعة، وهى أقوى من الجميع.

٨- ذكر المشبه به فقط، كقولك: أسد، أى زيد، وهى كالسابعة فى كونها أقوى الجميع. انتهى بحث التشبيه بأنواعه.

التمرين

١- اذكر أنواع الغرض من التشبيه إذا كان عائدًا إلى المشبه .

٢- ما هو الغرض من التشبيه فى قول الشاعر :

فـإن تَفُق الأنام وأنت منهم   فـإن المسك بعض دم الغـزال؟

٣- لما ذا استشهد بقول الشاعر :

ولازورديّة تزهو بزرقـتـهـا   بين الرياض على حمر اليواقيت

كأنّها فوق قامات ضعفن بها   أوائل النـار فى أطـراف كبـريت؟

٤- مثّل لغرض التشبيه العائد إلى المشبه به من القرآن الكريم .

٥- وما ذا يقال لتشبيه الجائع الوجه الذى كالبدر فى الاستدارة بالرغيف؟

٦- متى يكون ترك التشبيه أولى؟

٧- ما هو الغرض من إيراد الأبيات الآتية؟

تشابه دمعى إذ جرى ومدامتى   فمن مثل ما فى الكأس عينى تسكب

فو الله ما أدرى أبا الخمر أسبلت   جفونى أم من عبرتى كنت أشرب

٨- ما هى الأقسام الأربعة للتشبيه باعتبار طرفيه؟ اذكرها إجمالا .

٩- لما ذا مثّل بقول الشاعر :

كـأنّ مـحـمّـر الشـقـيق   إذا تصـوّب أو تصـعّـد

أعـلام يا قـوت نـشـر   ن على رمـاح من زبرجـد

١٠- عرّف التشبيه الملفوف والمفروق ، ومثّل لكلّ منهما .

١١- اذكر مثالا لتشبيه التسوية ومثالا لتشبيه الجمع .

١٢ – بيّن الأقسام الستة للتشبيه باعتبار وجه الشبه، واذكر مثالا لكل واحد.

١٣ – ما هو الفرق بين التشبيه القريب المبتذل والبعيد الغريب؟ وضّح فى ضمن الأمثلة.

١٤ – ما معنى تفصيل وجه التشبيه؟

١٥ – لما ذا يكون التشبيه البليغ نوعًا من البعيد الغريب؟

١٦ – كيف يُجعل التشبيه القريب المبتذل غريبًا؟

١٧ – عرّف التشبيهات الآتية:

١ – التشبيه المؤكد.

٢ – التشبيه المرسل.

٣ – التشبيه المقبول.

٤ – التشبيه المردود.

١٨ – اذكر المراتب الثمانية للتشبيه باعتبار ذكر الأركان كلّها، أو بعضها.

٢- بحث الحقيقة والمجاز

وقد ذكرنا فى أوّل علم البيان أن المقاصد والأركان الأساسية لهذا العلم ثلاثة، فهذا هو المقصد الثانى من مقاصد علم البيان، ولا شك أن المقصود الأصلى بالبحث (فى علم البيان) هو المجاز؛ إذ به يتأتى اختلاف الطرق فى الوضوح والخفاء، دون الحقيقة؛ لعدم تفاوت الطرق فيها، إلا أن الحقيقة لما كانت أصلا للمجاز –إذ الاستعمال فى غير ما وضع له فرع الاستعمال فيما وضع له– جرت العادة بذكر الحقيقة قبل المجاز.

ولا حاجة إلى تقييد الحقيقة والمجاز باللغويَين؛ لأنه يوهم إخراج الحقيقة والمجاز غير اللغويين كالشرعى والعرفى مع أنه يبحث عنهما أيضًا فى فن البيان.

تعريف الحقيقة ١ - وهى فى اللغة: فعيل بمعنى فاعل، مأخوذ من "حقّ الشىء" إذا ثبت، أو بمعنى مفعول مأخوذ من "حققتُه" إذا أثبتَهُ، ثم نقل إلى الكلمة الثابتة، أو المثبتة فى مكانها الأصلى (فى معناها الأصلى).

٢ - وفى الاصطلاح: الكلمة المستعملة فيما وُضعت له فى اصطلاح به التخاطب.

القيود الاحترازية: ١ - فقولنا: "المستعملة" احتراز عن كلمة لم تستعمل بعد؛ فإن الكلمة قبل الاستعمال لا تسمّى حقيقةً، ولا مجازًا.

٢ - وقولنا: "فيما وضعت له" احتراز عن شيئين: أحدهما: الاحتراز عمّا استعمل فى غير ما وضع له غلطًا، كما إذا أردت أن تقول لصاحبك: "خذ هذا الكتاب" مشيرًا إلى كتاب بين يديك فغلطت، وقلت: "خذ هذا الفرس" فلفظ "الفرس" لأجل استعماله فى غير ما وضع له غلطًا ليس بحقيقة، وليس بمجاز أيضًا لعدم العلاقة بين الكتاب والفرس؛ لأن الحقيقة هى استعمال اللفظ فيما وضع له قصدًا، والمجاز استعماله فى غير ما وضع له كذلك.

وثانيهما: الاحتراز عن أحد قسمى المجاز، وهو ما استعمل فى معنى لم يكن موضوعًا له فى اصطلاح يقع به التخاطب والتكلم، ولا فى غيره، كلفظ الأسد إذا استعمل فى الرجل الشجاع، لأن وضع لفظ "الأسد" للرجل الشجاع لم يثبت فى لغة العرب، ولا فى غيرها، ويسمّى هذا المجاز استعارةً، وليس فى الاستعارة وضع حقيقىّ، وإنما هو وضع تأويلى بجعل

المشبه فردًا من المشبه به، وإطلاق اللفظ (لفظ المشبه به) عليهما.

٣- وقولنا: "فى اصطلاح به التخاطب" احتراز عن القسم الآخر من المجاز وهو ما استعمل فيما وضع له (لكن) لا فى اصطلاح به التخاطب، كلفظ "الصلاة" يستعمله المتكلم بعرف الشرع فى الدعاء مجازًا (وإن كان عند المتكلم بعرف اللغة حقيقةً فى الدعاء).

تعريف الوضع: وهو تعيين شىء للدلالة على شىء آخر، ووضع اللفظ: هو تعيينه للدلالة على معنى بنفسه.

فقولنا: "بنفسه" احتراز من تعيين اللفظ للدلالة على معنى بقرينة، أعنى من وضع المجاز، فإن ذلك التعيين لا يسمّى وضعًا (شخصيًا) وإن كان وضعًا نوعيًا).

ودخل "وضع المشترك" فى تعريف الوضع، أى لم يخرج عن تعريف الوضع وضع المشترك؛ لأن عدم دلالته على أحد معنييه بلا قرينة -لعارض الاشتراك- لا ينافى تعيينه للدلالة على أحد معنييه بنفسه، فلو لم يكن عارض الاشتراك لدل على كل واحد من معنييه بنفسه.

القول بدلالة اللفظ على المعنى بذاته فاسد

وقيل: إنما يدل اللفظ على معناه بذاته، أى من غير الحاجة إلى الوضع والتعيين.

وهذا القول فاسد من وجوه: أولا: أن هذا يقتضى امتناع نقل اللفظ إلى المعنى المجازى.

وثانيًا: يمتنع جعله علمًا؛ لأنه يدل على المعنى الذاتى، لا على المعنى

العلمى.

وثالثًا: يمتنع وضعه للمتضادّين، كلفظ "الجون" الموضوع للأسود والأبيض.

ورابعًا: اختلاف اللغات لأجل اختلاف الأمم لا لأجل اختلاف المعانى ذاتًا، ودليل الجميع أن ما بالذات لا يزول بالغير، أى المعنى الذاتى للفظ لا يتغيّر بسبب أىّ وجه من الوجوه الأربعة (النقل إلى المجاز، وجعله علمًا، ووضعه للمتضادّين، واختلاف الأمم).

وقد تأوّل السكاكى الدلالة الذاتية بما يجعلها وضعية فى نهاية الأمر، ولكن لا حاجة بنا إلى ذكر هذا التأويل، وتطويل الكلام بلا طائل.

تعريف المجاز وأقسامه

(١) والمجاز فى اللغة: مفعل من جاز المكان يجوزه، إذا تعدّاه، فالمجاز كلمة تجاوزت معناها الأصلى.

(٢) وفى الاصطلاح: هو لفظ استعمل فى غير ما وضع له لقرينة، وهو على قسمين: مفرد ومركّب.

تعريف المجاز المفرد: وهو الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له فى اصطلاح به التخاطب على وجه يصح مع قرينة عدم إرادة الموضوع له.

فوائد قيود التعريف: ١- فقولنا: "المستعملة" احتراز عمّا لم يستعمل؛ لأن الكلمة قبل الاستعمال لا تسمّى مجازًا، ولا حقيقةً.

٢- وقولنا: "فى اصطلاح (يقع) به التخاطب" ليدخل فيه نحو لفظ "الصلاة" إذا استعمله المخاطِبُ (المتكلم) بعرف الشرع فى الدعاء مجازًا،

فإنه وإن كان مستعملا فيما وضع له في عرف اللغة، ولكن ليس بمستعمل فيما وضع له فى اصطلاح الشرع الذى وقع به التخاطب.

٣- وقولنا: "على وجه يصح" احتراز عن الغلط (كقوله: "خذ هذا الفرس" فى محل "خذ هذا الكتاب") كما مرّ؛ لأن هذا الاستعمال ليس على وجه يصحّ.

٤- وقولنا: "مع قرينة عدم إرادته" احتراز عن الكناية؛ فإنها كلمة مستعملة فى غير ما وضعت له مع جواز إرادة الموضوع له.

تعريف المجاز المركّب: وهو اللفظ المركب المستعمل فيما شُبّه بمعناه الأصلى تشبيه التمثيل للمبالغة فى التشبيه، والمراد بـ "تشبيه التمثيل" تشبيه إحدى صورتين منتزعتين - من أمرين أو أمور- بالأخرى، ثمّ إدخال الصورة المشبّهة فى جنس الصورة المشبّهة بها مبالغةً فى التشبيه، فتذكر المشبّهة بلفظ المشبّهة بها من غير تغيير بوجه من الوجوه.

مثاله: ما كتب الوليد بن يزيد -لما بويع- إلى مروان بن محمد، وقد بلغه أنه متوقّف فى البيعة له: "أما بعد: فإنى أراك تقدّم رجلا وتؤخر أخرى، فإذا أتاك كتابى هذا، فاعتمد على أيّهما شئتَ، والسّلام".

شبّه صورة تردده فى المبايعة بصورة تردد من قام ليذهب فى أمره، فتارةً يريد الذهاب، فيقدّم رجلا، وتارةً لا يريد فيؤخر أخرى، فاستعمل فى الصورة الأولى (وهى التردد فى البيعة) الكلام الدال بالمطابقة على الصورة الثانية (هى التردد فى الذهاب).

ووجه الشبه هو الإقدام تارةً والإحجام أخرى، ويسمّى المجاز المركب باسمين: (١) التمثيل على سبيل الاستعارة (لأجل ذكر المشبه به فيه، وإرادة المشبه كما هو شأن الاستعارة).

(٢) والتمثيل مطلقًا من غير تقييد بقولنا: "على سبيل الاستعارة" لكون وجه الشبه فيه منتزعًا من متعدد، ومتى فشا استعمال المجاز المركّب على سبيل الاستعارة، يسمّى مَثَلا (وهذا اسمه الثالث).

ولكون مدار المثل على التمثيل الذى فيه مبالغةٌ؛ لجعل المشبّه فردًا من المشبّه به، لا تُغيّر الأمثال، حتى لا تفوت المبالغة، ولا يترك استعمال لفظ المشبه به فى المشبّه؛ لأن فى التغيير ترك الاستعارة لازم.

أقسام الحقيقة والمجاز المفرد

والحقيقة على أربعة أقسام: ١- حقيقة لغوية: وهى التى وضعها أهل اللغة.

٢- وحقيقة شرعية: وهى التى وضعها أهل الشرع.

٣- وحقيقة عرفية عامة: وهى التى وضعها العرف العام.

٤- وحقيقة عرفية خاصة: وهى التى وضعها العرف الخاصّ، كعرف علماء النحو، وعلماء الكلام وغيرهما.

مثال الحقيقة اللغوية: لفظ "أسد" إذا استعمله أهل اللغة فى السبع المخصوص.

ومثال الشرعية: لفظ "صلاة" إذا استعمله أهل الشرع فى العبادة المخصوصة.

ومثال العرفية العامّة: لفظ "دابّة" إذا استعمله أهل العرف العام فى ذى الأربع.

ومثال العرفية الخاصة: لفظ "فِعل" إذا استعمله النحوى فى الكلمة

الدالة على المعنى بنفسها مقترنة بأحد الأزمنة الثلاثة .

أقسام المجاز المفرد باعتبار المُسْتَعمِل: وكذلك للمجاز أربعة أقسام :

(١) المجاز اللغوى : مثاله لفظ "أسد" إذا استعمله أهل اللغة فى الرجل الشجاع .

(٢) والمجاز الشرعى : مثاله لفظ "صلاة" إذا استعمله أهل الشرع فى الدعاء ، (٣) ومثال العرفى العامّ: لفظ "دابّة" إذا استعمله أهل العرف العام فى الإنسان ، ومثال العرفى الخاص: لفظ "فعل" إذا استعمله النحوى فى الحدث (المعنى المصدرى) .

أقسام المجاز باعتبار العلاقة

والمجاز على ضربين : مرسل ومستعار .

فالمرسل: هو الذى كانت العلاقة المصحّحة (بين المعنى الحقيقى والمجازى) فيه غير التشبيه ، أى لا يكون استعمال اللفظ فى معناه المجازى لأجل التشبيه ، بل لعلاقة أخرى غير التشبيه .

والمستعار: هو الذى تكون العلاقة فيه المشابهة بين المعنى الحقيقى والمجازى .

تعريف الاستعارة

وهى فى اللغة : طلب الشىء عاريةً ، وفى الاصطلاح : هى اللفظ المستعمل فى معنًى شُبِّه بمعناه الأصلى (الحقيقى) لعلاقة المشابهة .

مثاله : كلفظ "أسد" فى قولنا : "رأيت أسدًا يرمى" فلفظ "الأسد"

استعمل فى الرجل الشجاع الذى يشبه السبع المخصوص فى الشجاعة، والقرينة هو لفظ "يرمى".

وكثيراً ما يطلق لفظ "الاستعارة" على فعل المتكلم، وهو استعمال لفظ المشبه به فى المشبه، فعلى المعنى الأول يكون بمعنى اسم المفعول، أى اللفظ المستعار، وعلى المعنى الثانى يكون بمعنى المصدر، وهو طلب اللفظ عاريةً.

أركان الاستعارة

فالمشبه به مستعار منه، والمشبّه مستعار له ولفظ المشبه به (الدال عليه) مستعار؛ لأنه بمنزلة اللباس الذى استعير من أحد، فألبس غيره، والمتكلم مستعير؛ لأنه يستعير اللفظ من معنى، ويستعمله فى معنى آخر.

ففى المثال المذكور "رأيت أسداً يرمى" السبع المخصوص مستعار منه، والرجل الشجاع مستعار له، ولفظ "أسد" مستعار، والمتكلم مستعير ولفظ "يرمى" قرينة.

العلاقات فى المجاز المرسل وأمثلتها

الأول: كاليد إذا استعملت فى النعمة، كما يقال: "جلّت يده عندى" و"كثرت أياديه لدىّ" والعلاقة هنا السببية؛ لأن اليد سبب للنعمة، وكاليد أيضاً إذا استعملت فى القدرة، كما فى قوله تعالى: ﴿والسماء بنيناها بأيد﴾؛ لأن أكثر ما يظهر علامة القدرة فى اليد؛ لأن بها يكون البطش والضرب والقطع والأخذ والدفع والوضع، وهنا أيضاً العلاقة هى السببية؛

لأن فى الأول ذكر السبب (اليد) وإرادة المسبب (النعمة) وفى الآية أيضًا ذكر السبب (اليد) وإرادة المسبّب (القدرة)؛ لأن اليد هى السبب لإظهار القدرة.

وليتنبّه أن مراد القزوينى رح من هذين المثالين إبراز أن العلاقة فيهما غير التشبيه من غير لحاظ نوع العلاقة أىّ شىء هو؟ بقرينة ذكر السببية والمسببية فيما بعد من قوله: "رعينا الغيث".

٢- وكالراوية إذا استعملت فى المزادة؛ فإن الراوية فى الأصل اسم للبعير الذى يحمل الماء والمزادة (وعاء الزاد والطعام للمسافر).

وهذا من قبيل استعمال اسم المحل (البعير) فى الحال (المزادة) فى استعمال لفظ "الراوية" فى "المزادة" مجاز مرسل، علاقته الحالية والمحلية.

٣- ومن المجاز المرسل تسمية الشىء باسم جزءه (أى تكون العلاقة الكلية والجزئية) كتسمية الربيئة (الجاسوس) باسم جزءه وهو العين، أى ذكر لفظ "العين" وإرادة الشخص الرقيب مع أن العين جزء منه.

٤- وعكسه أى تسمية الشىء باسم كلّه، بأن يذكر الكل، ويراد منه الجزء كما فى قوله تعالى: ﴿يجعلون أصابعهم فى آذانهم﴾ أى أناملهم.

٥- وتسمية الشىء باسم سببه، نحو "رعينا الغيث" أى النبات الذى سببه الغيث (المطر)، وقولهم: "أكل فلان الدم" أى الدية التى سببها الدم.

٦- وتسمية الشىء باسم مسبّبه نحو: أمطرت السماء نباتًا، أى غيثا يكون سببًا للنبات.

٧- وتسمية الشىء باعتبار ما كان (فى الماضى) نحو قوله تعالى: ﴿وآتوا اليتامى أموالهم﴾ أى آتوا الذين كانوا أيتامًا قبل دفع الأموال؛ إذ لا يتم بعد البلوغ.

٨- وتسمية الشىء باسم ما يؤول (يرجع) إليه (فى المستقبل) نحو قوله

تعالى : ﴿إنّى أرانى أعصر خمرًا﴾ أى عصيرًا يؤول إلى الخمر .

٩- وتسمية الشىء باسم محلّه ، نحو قوله تعالى : ﴿فليدع ناديه﴾ أى أهل مجلسه الحال فيه .

١٠- وتسمية الشىء باسم حاله ، أى ذكر الحالّ وإرادة المحلّ ، كما فى قوله تعالى : ﴿وأما الذين ابيضّت وجوههم ففى رحمة الله﴾ أى فى الجنة التى هى محلّ الرحمة .

١١- وتسمية الشىء باسم آلته ، نحو قوله تعالى : ﴿واجعل لى لسان صدق فى الآخرين﴾ أى اجعل لى ذكرًا حسنًا فى الآخرين ؛ فإن اللسان آلة للذكر .

واعلم أن مبنى المجاز على الانتقال من الملزوم إلى اللازم ، ولكن ليس المراد من اللازم ما يمتنع انفكاكه عن الملزوم ، بل المراد ما له اتصال وتلاصق بالملزوم ينتقل بسببه الذهن من أحدهما إلى الآخر فى بعض الأحيان (وهو حين وجود القرينة) .

بحث المجاز المستعار

وإذا كان المعنى المستعار حقيقةً حسّيةً أو حقيقةً عقليةً تسمّى الاستعارة تحقيقية ، مثال الحقيقة الحسّية ، قول الشاعر :

لدى أسد شاكى السلاح مُقذّف

أى عند رجل شجاع تامّ السلاح قد قُذّف ، وألقى فى الحروب والوقائع ، يعنى له خبرة وتجربة عند الحوادث ، فلفظ "أسد" استعير هنا للرجل الشجاع ، وهو أمر متحقق حسّا حتى يشار إليه بالإشارة الحسّية .

ومثال الحقيقة العقلية، قوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ أى إلى الدين الحق وهو ملّة الإسلام، والدين الحق أمر عقلى أى حقيقة عقلية يشار إليها بالعقل، ومن ثمّ يقبله العقول السليمة ويردّه العقول السخيفة.

وكذا قولك: "أبديتُ نوراً" وأنت تريد حجةً، فإن الحجة مما يدرك بالعقل من غير وساطة الحسّ؛ لأن المنوّر للقلب هو مفهوم الألفاظ، لا نفس الألفاظ الخالية عن المعانى.

ولأجل أن الاستعارة هو تشبيه المعنى المجازى بالمعنى الموضوع له، ثم استعمال اللفظ فى المعنى المجازى لا يطلق الاستعارة على الأمثلة الآتية: نحو "زيد أسد" و "رأيت زيدا أسداً" و "مررت بزيد أسد" لأن لفظ "أسد" فى هذه الأمثلة استعمل فى معناه الموضوع له، وهو الحيوان المفترس وشبّه "زيد" به، فليس المراد من الأسد الرجل الشجاع حتى يكون استعارةً.

هل الاستعارة مجاز عقلى أو مجازى لغوى؟

والحق أنها مجاز لغوى، والدليل عليه كونها موضوعة للمشبه به، لا للمشبّه، ولا لأمر أعمّ منهما (كعموم المجاز، فإن لفظ "الأمّ" موضوع لمعنى عامّ شامل للأمّ المولود منها الولد، وللجدة وهو الأصل، كالأسد المستعمل فى الرجل الشجاع، فإنه موضوع للسبع المخصوص، لا للرجل الشجاع، ولا للشجاع المطلق (الشامل للسبع المخصوص وللرجل الشجاع) لأنه لو كان موضوعًا للرجل الشجاع لا يكون استعماله فيه مجازاً، ولو كان وضعه للأعم منهما لكان استعماله فى الرجل الشجاع حقيقة، كاستعمال الحيوان فى الرجل أو الأسد، فإنه يكون حقيقة؛ إذ لم يقل أحد: إن استعمال

العام فى الخاص مجاز .

فإطلاق لفظ "الأسد" فى قولنا : "رأيت أسدًا يرمى" على الرجل الشجاع إطلاق على غير ما وضع له مع قرينة مانعة عن إرادة ما وضع له (وليس هذا إسنادًا إلى غير ما هو له حتى يكون مجازًا عقليًا) فيكون مجازًا لغويًا .

وخلاصة الدليل أن المجاز العقلى هو استعمال اللفظ ، أى إسناده إلى غير ما هو له لملابسة ، والمجاز للغوى هو استعمال اللفظ فى غير ما وضع له مع القرينة المانعة عن إرادة ما وضع له ، وفى الاستعارة استعمال اللفظ الموضوع للمشبْه به فى غير ما وضع له ، وهو المشبّه لعلاقة التشبيه ، فكيف يصدق عليها تعريف المجاز العقلى؟

الجواب عن هذا الدليل

قيل (فى الجواب) : المراد من كون الاستعارة مجازًا عقليًا أن فيها تصرّفًا عقليًا ، لا لغويًا ، وليس معنى كونها مجازًا عقليًا أن فيها إسناد الفعل ، أو شبهه إلى غير ما هو له لملابسة ، حتى يرد عليه الإشكال بعدم صدق تعريف المجاز العقلى عليها .

والمراد بالتصرّف العقلى هو ادّعاء دخول المشبّه فى جنس المشبّه به ، بأن جعل الرجل الشجاع فردًا من أفراد الأسد ، غاية ما فى الباب أن أفراد الأسد على قسمين : أحدهما : المتعارف وهو الحيوان المخصوص ، والثانى : غير المتعارف وهو الرجل الشجاع ، فيكون استعمال اللفظ المستعار (الأسد) فى الرجل الشجاع استعمالا فيما وضع له ، فلا تكون مجازًا لغويًا ، بل تكون

مجازًا عقليًا بالمعنى الذى ذكرنا.

ولأجل ادّعاء دخول المشبّه فى جنس المشبّه به، ثم استعمال لفظ المشبّه به فى المشبّه صحّ التعجّب فى قول الشاعر:

قامت تظلّلنى من الشمس نفس أعزّ علىّ من نفسى

قامت تظلّلنى ومن عجب شمس تظلّلنى من الشمس

أى قامت نفس توقع الظلّ علىّ من أجل الشمس وهو غلام جميل أعزّ وأكرم عندى من نفسى، قامت تلك النفس الجميلة تظلّلنى من الشمس، وهذا من العجائب أن الشمس (أى الذى هو كالشمس فى الجمال) تظلّلنى من الشمس الحقيقى، فلو لم يُجعَلْ ذلك الغلام فردًا من الشمس الحقيقى ادّعاءً

لما كان لهذا التعجب معنى؛ إذ لا تعجب فى أن يُظلّ إنسان حسن الوجه إنسانًا آخر من الشمس، وكذلك لو لم يكن ذلك الادّعاء لما صحّ النهى عن التعجب فى قول الشاعر:

لا تعجبوا من بلى غلالته قد زرّ أزراره على القمر

أى لا تعجبوا من قدامة وخرق شعاره الذى يلبسه تحت الثياب، فإن أزرار قميص الممدوح قد رُبطت وشدّت على الجسم الذى هو كالقمر، فلو لا أن جعل الشاعر جسم الممدوح وبدنه قمرًا حقيقيًا ادّعاءً لما كان للنهى عن التعجب معنى؛ لأن ثوب الكتان إنما يبلى بسرعة بسبب ملابسة القمر الحقيقى ووقوع نوره عليه لا بسبب ملابسة إنسان هو كالقمر فى الحسن والجمال.

ردّ هذا الجواب

وردّ هذا الجواب بأن ادّعاء دخول المشبّه فى جنس المشبّه به لا يخرج

اللفظ (لفظ المشبّه به) عن كونه مستعملا فى غير ما وضع له؛ للعلم البديهى بأن "أسدًا" فى قولنا: "رأيت أسدًا يرمى" مستعمل فى الرجل الشجاع (وليس هو بموضوع له للفظ الأسد) والموضوع له للأسد هو السبع المخصوص، فاستعمال لفظ "الأسد" فى الرجل الشجاع الذى هو فرد غير متعارف استعمال فى غير ما وضع له، والقرينة (لفظ يرمى) مانعة عن إرادة الفرد المتعارف (السبع المخصوص) فتعيّن المعنى غير المتعارف (هو الرجل الشجاع) فلم يبقَ مستعملا فيما وضع له، فصار مجازًا لغويًا، إلا أن علاقته التشبيه.

وأمّا صحّة التعجب فى البيت الأول، وصحّة النهى عنه فى البيت الثانى، فلبناء الاستعارة على تناسى التشبيه قضاءً لحق المبالغة، أى للدلالة على أن المشبّه (فى وجه التشبيه) بحيث لا يتميز عن المشبّه به أصلا، حتى أن كل ما يترتب على المشبّه به من التعجب، أو النهى عنه يترتب على المشبّه أيضًا.

الفرق بين الاستعارة والكذب

وبما أن فى الاستعارة ادّعاء دخول المشبّه فى جنس المشبّه به يتوهم أنه لا فرق بين الاستعارة وبين الكذب، وأنه لا حسن فى الاستعارة؛ لأنه كذب، والكذب قبيح مخلّ بفصاحة الكلام، فكيف تكون الاستعارة سببًا لحسن الكلام؟ فمن أجل إزالة ذلك التوهم وجب بيان الفرق بين الكذب والاستعارة.

فالاستعارة تفارق الكذب بوجهين: ١- بالبناء على التأويل فى دعوى

دخول المشبّه فى جنس المشبّه به مبالغةً، بأن يجعل أفراد المشبّه به على قسمين: متعارف وغير متعرف، كما مرّ، ولا تأويل فى الكذب، فلا يكون مدلوله موجودًا لا حقيقةً ولا ادّعاءً.

٢- وبنصب القرينة (المانعة عن إرادة الظاهر هو المشبّه به) والدالة على إرادة خلاف الظاهر (وهو المشبّه) فى الاستعارة؛ لما عرفت أنه لا بد فى المجاز من قرينة مانعة عن إرادة المعنى الحقيقى الموضوع [illegible] الة على إرادة خلاف الظاهر (هو المعنى المجازى).

وأمّا الكذب فإن قائله لا ينصب قرينة [illegible] إرادة خلاف الظاهر، بل يبذل جهوده فى ترويج الظاهر الذى هو خلاف الواقع.

شرط الاستعارة: ومن شرطها أن لا تكون علمًا، أى الاسم الذى يترك معناه الموضوع له، ويستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة التشبيه شرطه أن لا يكون عَلَما؛ لأن مبنى الاستعارة على ادّعاء دخول المشبّه (المعنى المجازى) فى جنس المشبّه به (وهو المعنى الحقيقى) فإذا كان المعنى الموضوع له علمًا، فكيف يكون جنسًا؟ ويمكن أن يكون له أفراد بعضه متعارف، وبعضه غير متعارف، فكون المعنى الموضوع له جنسًا فى الاستعارة ينافى كون المستعار علمًا.

نعم، يمكن الاستعارة فى الأعلام المتضمنة للأوصاف (بذكر العلم وإرادة الوصف المشتهر به) كحاتم، فإنه متضمن للجود، لشهرة حاتم به، وسحبان، فإنه متضمن بالفصاحة، ومادر، فإنه معروف بالبخل، ففى أمثال هذه الأعلام يمكن الاستعارة بادّعاء دخول المشبّه فى جنس المعنى الوصفى للمشبّه به، فيصحّ استعارة لفظ "حاتم" لشخص آخر يشبهه فى الجود، كما تقول: "رأيت اليوم حاتمًا" أى رجلا مثله.

أنواع القرينة فى الاستعارة

وبما أن الاستعارة نوع من المجاز لا بد لها من قرينة مانعة عن إرادة الموضوع له، فقرينتها على ثلاثة أنواع: (١) إمّا تكون أمرًا واحدًا، كما فى قولك: "رأيت أسدًا يرمى" والقرينة فيه -وهى يرمى- أمر واحد.

(٢) وإمّا أكثر، أى أمور متعددة غير مربوطة بعضها ببعض، بل يكون كل واحد منها بانفراده قرينة للمجاز، مثاله كقول الشاعر:

فإن تعافوا العدل والإيمانا ... فإن فى أيماننا نيرانا

أى إن أنتم كرهتم التوحيد والإيمان فنلجئكم إلى الحرب، وإلى الطاعة؛ فإن فى أيدينا سيوفًا لامعة كالنار، فالاستعارة فى لفظ "نيران" حيث أريد به السيوف.

والقرينة أمران: كراهة العدل والتوحيد، وكراهة الإيمان، فهما قرينتان على أن المراد بالنيران السيوف؛ فإن الجهاد بالسيوف إنما يكون بعد العناد والإنكار عن الإيمان.

(٣) وإمّا معانٍ متعددة ملتئمة ومربوطة بعضها ببعض، بأن يكون الجميع قرينة، لا كل واحد منها بانفراده، كقول الشاعر:

وصاعقة من نصله تنكفى بها ... على أرؤوس الأقران خمس سحائب

أى ربّ نارٍ من حدّ سيف الممدوح تُقلّب تلك النار أنامله الخمس التى هى كالسحاب فى الجود وعموم العطايا على رؤوس الأعداء، أى يصبّ الصاعقة على أكفاءه فى الحرب، فيهلكهم بتلك النار.

عنى الشاعر بـ "خمس سحائب" أنامل الممدوح، أى استعار السحائب لأنامل الممدوح، فذكر أنّ هناك صاعقة (تناسب السحاب).

وقال: إنها من نصل سيفه (من حدّ سيفه) ثم قال: على رؤوس الأقران (الأعداء)، وفى الآخر قال: خمس، فذكر العدد الذى هو عدد الأصابع، فظهر من جميع ذلك (لا من كل واحد) أنه أراد بالسحائب الأنامل.

التمرين

١- عرّف الحقيقة لغةً واصطلاحًا، ثمّ بيّن فوائد قيود التعريف.
٢- اذكر تعريف وضع اللفظ.
٣- ما معنى "دلالة اللفظ على المعنى بذاته"؟ وما هى وجوه فساده؟
٤- عرّف المجاز المفرد مع بيان فوائد قيود التعريف.
٥- عرّف المجاز المركّب مع بيان معنى تشبيه التمثيل.
٦- ما هى الأقسام الأربعة للحقيقة؟
٧- وكم قسمًا للمجاز المفرد؟ اذكر أقسامها.
٨- ما الفرق بين المجاز المرسل والمجاز المستعار؟
٩- عرّف الاستعارة لغةً واصطلاحًا، ثم مثّل لها.
١٠- اذكر ستة أمثلة للمجاز المرسل وبيّن العلاقة فيها.
١١- ما هو محل المجاز المرسل فى هذه الآية، وما هى العلاقة ﴿واجعل لى لسان صدق فى الآخرين﴾؟
١٢- ما هى الاستعارة التحقيقية؟ وضّحها بالأمثلة.
١٣- ما هو الدليل على كون الاستعارة مجازًا لغويًا؟ اذكره بالتفصيل.
١٤- اذكر القدح الوارد على هذا الدليل أوّلا، وجوابه ثانيًا.
١٥- اذكر وجه الاستشهاد فى هذا البيت:

لا تعـجـبـوا من بلى غـلالتـه　　قــد زرّ أزراره عـلى القــمــر

١٦- ما هو الفرق بين الاستعارة وبين الكذب؟

١٧- لما ذا لا يصحّ كون الاستعارة (اللفظ المستعار) علمًا؟

١٨- اذكر أنواع القرينة فى الاستعارة.

١٩- ما هى القرينة فى قول الشاعر الآتى:

وصاعقة من نصله تنكفى بها على　　أرؤوس الأقران خمس سحائب

التقسيمات الستة للاستعارة

وقد ذكر المصنف (القزوينى) ستة تقسيمات للاستعارة باعتبارات مختلفة، نذكرها فيما يلى بترتيبه:

١- **التقسيم الأول باعتبار الطرفين:** وهى باعتبار الطرفين قسمان: وفاقية وعنادية.

تعريف الاستعارة الوفاقية: وهى التى كان اجتماع الطرفين فى شىء واحد فيها ممكنًا، نحو ﴿أحييناه﴾ فى قوله تعالى: ﴿أو من كان ميتًا فأحييناه﴾ أى ضالا فهديناه، وقد استعير لفظ "الإحياء" من معناه الحقيقى -وهو جعل الشىء حيّا- للهداية التى هى الدلالة على طريق توصل إلى المطلوب، ولا شك أن الهداية والحياة يمكن اجتماعهما فى شخص واحد.

وإنّما تسمّى وفاقية؛ لما بين الطرفين من الاتفاق فى الاجتماع فى محل واحد.

تعريف الاستعارة العنادية: وهى التى لا يمكن اجتماع الطرفين فيها فى شىء واحد.

مثالها : كاستعارة اسم المعدوم للموجود إذا لم تحصل من الموجود فائدة من الفوائد المطلوبة منه ، كما يقال : لما ذا زيد لم يفعل كذا؟ فيقال فى الجواب : هو كالمعدوم ، أي ليس لوجوده فائدة ، أو استعارة اسم الموجود للمعدوم إذا كان فى عدمه فائدة مثل فائدة الموجود ، كما يقال فى مدح من ترك أعمالا خيرية ومات : كأنه موجود أو حيّ في ترتّب الفائدة على أعماله .

وإنما سمّيت عنادية ؛ لعدم إمكان الجمع ، والاتفاق بين الوجود والعدم -وهما الطرفان- أو بين الحياة والموت فى شيء واحد .

ومن الاستعارة العنادية الاستعارة التهكمية (التى يكون الغرض منها التهكم والاستهزاء) ومنها الاستعارة التمليحية (التى يكون الغرض منها إظهار القبيح بصورة حسنة) وفى كل واحد منهما يستعمل اللفظ فى ضدّ معناه الحقيقى أو نقيضه (وقد مرّ أن التناقض والتضادّ ينزّلان منزلة التناسب لأجل التمليح أو التهكم) .

مثال التهكم قوله تعالى : ﴿فبشّرهم بعذاب أليم﴾ استعيرت البشارة للإنذار الذى هو ضدها للتهكم والاستهزاء بهم .

ومثال التمليح : نحو قولك : "رأيت أسدًا" وأنت تريد جبانًا على سبيل التمليح والظرافة ، وإظهارا للجبن القبيح بصورة الشجاعة الحسنة .

الفرق بين النقيضين والمتضادّين

هو أن أحد النقيضين يكون إيجابيًا نحو "إنسان" والآخر سلبيًا نحو "لا إنسان" ، وأمّا الضدّان فيكون كل واحد منهما وجوديًا ، كالسواد

والبياض.

واعلم أن اعتبار النقيضين والضدّين، والفرق بينهما وأمثلتهما من المباحث الجافّة المنطقية، وأمثلتها الاختراعية التى ألحقها السكاكى بالبلاغة العربية الصافية، وقلّده من بعده من الملخّصين والشراح، وإلا فلا حاجة إلى هذه التدقيقات العقلية والإلغازات الفلسفية، وإلى الله المشتكى من صنيع هؤلاء المنطقيين.

التقسيم الثانى
باعتبار الجامع (وجه الشبه)

وهى بهذا الاعتبار أيضًا على قسمين: ما يكون وجه الشبه (فيه) داخلا فى مفهوم الطرفين، وما يكون وجه الشبه فيه غير داخل فى مفهومهما، وقد مرّ هذا التقسيم فى بحث التشبيه مع الأمثلة، ثم أعاده المصنف فى بحث الاستعارة ثانيًا؛ لئلا يتوهم التخصيص بالتشبيه المجرّد، مثال دخول وجه الشبه فى مفهوم الطرفين -المستعار له والمستعار منه- قوله عليه السلام: «خير الناس رجل يمسك بعنان فرسه كلّما سمع هيعة طار إليها» الهيعة الصيحة التى يفزع منها، واستعار النبى ﷺ الطيران للعدو، فالمستعار له عدو الفرس، والمستعار منه طيران الطائر، والجامع -هو قطع المسافة بسرعة- داخل فى مفهوم العدو والطيران، إلا أنه فى الطيران أقوى منه فى العدو.

ومثال وجه الشبه غير الداخل فى مفهومهما، كالشجاعة فى استعارة الأسد للرجل الشجاع، والتنوّر فى استعارة الشمس للوجه المتنوّر، ولا شك أن الشجاعة خارج من مفهوم الأسد والرجل، والتنوّر خارج من

مفهوم الوجه والشمس.

التقسيم الثالث
باعتبار إدراك العامّة والخاصة وجه الشبه

وهى باعتبار إدراك العامة والخاصة الجامعَ بين الطرفين أيضًا قسمان: عامّية وخاصّة.

فالعامية: هى التى يدرك وجه الشبه فيها عامّة الناس، كقولك: "رأيت أسدًا يرمى" فإن كلّ من يسمع يدرك أن وجه الشبه هى الشجاعة، ويقال لها: الاستعارة المبتذلة؛ لكثرة ابتذالها واستعمالها، وكذلك نحو قولك: "وردت بحراً" أى رجلا كالبحر فى السخاء، فيدرك المخاطب أن وجه الشبه هو السخاء.

والخاصّة: هى الغريبة التى لا يطّلع على وجه الشبه فيها إلا الخاصّة الذين لهم ذهن ثاقب ارتفعوا به عن طبقة العامّة الذين لا يدركون دقائق الأمور، وقد تكون تلك الغرابة (البعد عن الفهم) فى نفس التشبيه، بأن يكون (فى الاستعارة) تشبيه فيه نوع غرابةٍ، مثالها: قول الشاعر فى وصف فرسه بأنه مؤدب:

وإذا احتبى قربوسه بعنانه علك الشكيم إلى انصراف الزائر

أى إذا وضع عنان (ذلك الفرس) فى مقدم سرجه، وقف ومضغ حديدة اللجام إلى أن يعود راكبه الزائر إليه، وقد شبّه هيئة وقوع اللجام فى موقعه من قربوس السرج بهيئة وقوع الثوب موقعه من ركبتى المحتبى إلى جانب ظهره، ثم استعار الاحتباء -وهو أن يجمع الرجل ظهره وساقيه

بثوب- لوقوع العنان فى مقدم السرج، فجاءت الاستعارة غريبة لغرابة التشبيه، وقد تكون الغرابة بسبب تصرّف فى الاستعارة العامّية، كما فى قول الشاعر:

وسالت بأعناق المطىّ الأباطح[1]

أى بدأنا بيننا فى أنواع الأحاديث والكلام، وامتلأت مواضع سيلان السيول من الإبل السريعة، كأنها الماء فى سيرها السريع، وقد استعار الشاعر سيلان السيول الواقعة فى الأباطح لسير الإبل سيراً سريعًا فى غاية السرعة المشتملة على لين وسهولة، والجامع بينهما (وجه التشبيه) هو سرعة السير، فالتشبيه فى هذه الاستعارة عامىٌّ ظاهر، ولكن تصرّف فيه حتى صار غريبًا، وصارت الاستعارة غريبة؛ لأنه أسند الفعل (سالت) إلى المحل (الأباطح) دون الحال (المطىّ وأعناقها) فيفيد الكلام أنه امتلأت الأباطح من الإبل، ولكن ذكر الأعناق؛ لأن سرعة السير وبطوءه يظهران من أعناق الإبل أكثر من بقية أعضاءها.

التقسيم الرابع
باعتبار الثلاثة (الطرفين ووجه الشبه)

وللاستعارة بهذا الاعتبار ستة أقسام: **الأول**: استعارة محسوس لمحسوس، ووجه الشبه حسّى، مثاله قوله تعالى: ﴿فأخرج لهم عجلا جسدًا له خوار﴾ فالمستعار منه ولد البقرة، وهو حسّى، والمستعار له الجسم الذى صنعه السامرى من حلىّ القبط، وهذا أيضًا حسّى، والجامع (وجه الشبه) هو

(١) أوله: أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا

الشكل الخاص بالعجل، وهو أيضًا محسوس، فكلّ من الثلاثة (المستعار منه والمستعار له، والجامع) حسّى مدرك بالبصر.

والثانى: استعارة محسوس لمحسوس والوجه عقلى، مثاله قوله تعالى: ﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون﴾ فالمستعار منه كشط الجلد وإزالته عن الشاة ونحوها، والمستعار له إزالة الضوء عن مكان الليل وملقى ظلّه، وهما حسّيان، والجامع هو ترتب أمر على آخر، كترتب ظهور اللحم على كشط الجلد، وترتّب ظهور الظلمة على إزالة الضوء عن مكان الليل.

والثالث: أن يكون وجه الشبه متعددًا، ويكون بعضه حسّيا، وبعضه عقليًا، مثاله كقولك: "رأيت شمسًا" وأنت تريد إنسانًا يشبه الشمس فى أمرين فى حسن: الطلعة والجمال، وفى نباهة الشأن والكمال، فحسن الطلعة والجمال حسّى، ونباهة الشأن عقلى، وأمّا المستعار منه (الشمس) والمستعار له (الإنسان) فهما حسّيان.

والرابع: استعارة معقول لمعقول، والوجه عقلى، مثاله قوله تعالى: ﴿من بعثنا من مرقدنا﴾، فالمستعار منه الرقاد (النوم)، والمستعار له الموت، والجامع (وجه الشبه) هو عدم ظهور الأفعال، والجميع عقلى، ووجه الشبه فى المستعار له (الموت) أقوى.

والخامس: استعارة محسوس لمعقول، والوجه عقلى، مثاله قوله تعالى: ﴿فاصدع بما تؤمر﴾، فإن المستعار منه صدع الزجاجة أى كسرها، وهو حسّى، والمستعار له تبليغ الرسالة، والجامع (وجه الشبه) التأثير، وهما عقليان، كأنه قيل: أِبنْ أمر الله إبانةً لا تنمحى، كما لا تلتئم الزجاجة المكسورة.

والسادس: معقول لمحسوس والوجه عقلى، مثاله قوله تعالى: ﴿إنّا لمّا

طغى الماء حملناكم فى الجارية﴾ ، فإن المستعار له كثرة الماء ، وهو حسّى ، والمستعار منه التكبّر ، والجامع (وجه الشبه) الاستعلاء المفرط ، وهما عقليان .

التقسيم الخامس
باعتبار لفظ "المستعار"

وهى بهذ الاعتبار قسمان : أصلية وتبعية .

فالاستعارة الأصلية: هى التى كان لفظ المستعار فيها اسم جنس حقيقة كلفظ "الأسد" أو تأويلا ، كالأعلام التى أريد بها أوصافها المشهورة ، مثل حاتم إذا أريد منه الجوّاد ، وسحبان إذا أريد منه الفصيح ، مثالها كاستعارة "الأسد" للرجل الشجاع فى استعارة اسم عين لعين أخرى ، وكاستعارة "القتل" للضرب الشديد ، فى استعارة اسم معنى لمعنى آخر .

والاستعارة التبعية: هى التى لا يكون فيها لفظ المستعار اسم جنس ، بل إمّا يكون فعلا أو اسمًا مشتقًّا ، أو حرفًا ، وإنما يقال لهذه : الاستعارة التبعية ؛ لأن الاستعارة فى الأفعال والمشتقات إنما تكون فى مصادرها التى هى أسماء أجناس أولا ، وفى نفس الأفعال والمشتقات ثانيًا وتبعًا ، وكذا الحرف تكون الاستعارة فى متعلقات معانيها أولا ، وفيها ثانيًا .

والمراد بـ "متعلقات الحروف" المعانى الكلية التى يكون معانى الحروف من جزئياتها مثل ابتداء الغاية ، وانتهاء الغاية ، والظرفية ، والغرض ، فهذه كلها مفاهيم كلية .

ومعنى "من" و "إلى" و "فى" و "لام كى" جزئيات لتلك المفاهيم ، فتكون الاستعارة فى الابتداء (مثلا) أولا ، وفى معنى "من" ثانيًا ، ففى

الأول : استعارة أصلية ، وفى الثانى : استعارة تبعية .

الأمثلة:

١- ففى "نطقت الحال بكذا" أو "الحال ناطقة بكذا" جُعل دلالة الحال مشبّهًا ، والنطق مشبّهًا به ، وإيضاح المعنى وإيصاله إلى الذهن وجه الشبه ، ثم استعير لفظ "النطق" للدلالة ، ثمّ اشتقّ من "النطق" نطقت أو ناقطة (الأول : للفعل ، والثانى : للمشتق ، وهو اسم الفاعل) فهذا هو معنى كون الاستعارة فى الفعل والمشتقّات تبعيةً .

٢- وفى قوله تعالى : ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون عدوّا وحزنًا﴾ استعير "لام العلة الغائية" للعداوة والحزن بعد تشبيه العداوة والحزن الحاصلين بعد الالتقاط بعلته الغائية (وهى المحبة والتبنّى) .

ووجه الشبه هو الترتب والحصول بعد الالتقاط ، وكان حق ذلك اللام أن يستعمل فى العلة الغائية ، ولكن استعمل فى العداوة والحزن لأجل التشبيه ، فتكون الاستعارة فى التعليل أصلية ، وفى ا اللام تبعية .

طريق معرفة القرينة فى الاستعارة التبعية

وإنما تُعرف قرينة الاستعارة التبعية فى الفعل والمشتق : (١) بالإسناد إلى الفاعل نحو "نطقت الحال بكذا" ، أو "الحال ناطقة بكذا" فإن النطق الحقيقى لا يسند إلى الحال ، ولا إلى ضميرها ، فعلم أن المراد بالنطق فيهما هو معناه المجازى (أى الدلالة) .

(٢) أو تعرف بالإسناد إلى المفعول (أولا كان المفعول أو ثانيًا) مثاله قول

الشاعر :

جُمِع الحق لنا فى إمــــام قتل البخلَ وأحيى السماحا

فإن القتل الحقيقى لا يتعلق بالبخل ، والحياة الحقيقية لا تتعلق بالجود، فعلم أن المراد من القتل معناه المجازى ، وهو الإزالة والنفى ، و كذا المراد من الإحياء معناه المجازى ، وهو الإظهار ، فاستعير القتل للإزالة والإحياء للإظهار ، فالإسناد إلى المفعول قرينة للاستعارة ، والإسناد إلى الفاعل قرينة أيضًا ؛ لأن الفاعل للقتل والإحياء هو الله تعالى فى الحقيقة ، وقول الشاعر :

نقريهم لهذميّات نقُدّ بها ما كان خاط عليه كلّ زرّاد

أى نضيف الأعداء بالأسنّة (جمع سنان) القاطعة نقطع بتلك الأسنّة ما نسج (من الدروع) كل نسّاج ، يعنى نقطع دروعهم من أىّ صنّاع ونسّاج كانت .

فإسناد القرى إلى المفعول الثانى (لهذميّات) قرينة على أن فى "نقريهم" استعارة ؛ لأن القرى الحقيقى لا يكون بالأسنّة والرماح .

(٣) أو تعرف بسبب الإسناد إلى جار ومجرور ، كما فى قوله تعالى : ﴿فبشّرهم بعذاب أليم﴾ فإن "بعذاب أليم" قرينة على أن المراد بالبشارة التهكم والاستهزاء ، لا البشارة ، فتكون فى الآية استعارةً تبعيةً .

التقسيم السادس

باعتبار الاقتران بما يلائم الطرفين وعدمه

وهى بهذا الاعتبار على ثلاثة أقسام : مطلقة ، ومجرّدة ، ومرشّحة .

١ - **تعريف الاستعارة المطلقة، ومثالها** : وهى التى لم تقترن بشىء (صفةً

كان أو تفريعًا) يلائم المستعار له أو المستعار منه، أى لم يكن هناك شىء من تتمة الكلام الذى فيه استعارة، ولا كلام مستقل متفرّع على كلام فيها استعارة، نحو عندى أسد.

فالمراد بـ "الصفة" الصفة المعنوية، أى المعنى القائم بالغير، لا النعت النحوى الذى هو واحد من التوابع.

٢- **تعريف المجردة**، ومثالها: وهى التى اقترنت بما يلائم المستعار له، كقول الشاعر:

غمر الرداء تبسّم ضاحكًا   غُلقت لضحكته رقاب المال

أى الممدوح كثير العطاء، فإذا أخذ وشرع فى الضحك (كأنّه) غُلِقَتْ رقاب أمواله فى أيدى السائلين، أى لا يستطيع أن يمنع السائلين عن أخذ أمواله، وقد استعار الشاعر الرداء للعطاء، فالمشبه العطاء، والمشبه به الرداء، ووجه الشبه الصيانة؛ لأن العطاء يصون عرض صاحبه، كما أن الرداء يصون لابسه عمّا يضرّه، ففى وصف الرداء بالغمر (السعة) الذى يناسب العطاء دليل على تجريد الاستعارة، والقرينة سياق الكلام أعنى قوله: إذا تبسم ضاكًا، فهذا قرينة على أن المراد بالرداء العطاء، دون المعنى الحقيقى، وهو الثوب، وهذا يلائم المستعار له، وسمّيت مجردة لخلوها عمّا يقوى الاستعارة من الإطلاق والترشيح.

٣- تعريف المرشحة، ومثالها: وهى التى اقترنت بما يلائم المستعار منه، مثالها: كقوله تعالى: ﴿أولائك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم﴾.

استعير الاشتراء للاستبدال واختيار الضلالة، ثمّ فرّع عليها ما يلائم لاشتراء (المستعار منه) من الربح والتجارة.

اجتماع المجرّدة والمرشّحة

وقد يجتمع التجريد والترشيح، كما فى قول الشاعر:

لدى أسد شاكى السلاح مقذّف ... له لبد أظفاره لم تقلّم

معناه: أنا عند أسد (شجاع) تام السلاح، رُمى إلى الوقائع والحروب كثيرًا، فالتفعيل للمبالغة، وقد استعار الشاعر الأسد للرجل الشجاع، ففى قوله: "لدى أسد شاكى السلاح" تجريد؛ لأنه وصف بما يلائم المستعار له، وهو الرجل الشجاع، فإن التام السلاح إنما يكون الرجل، وكذلك المقذّف والمرمى فى الحروب والوقائع إنما يكون الرجل الشجاع.

وفى قوله: "له لبد أظفاره لم تُقلّم" ترشيح؛ لأن هذا الوصف مما يلائم المستعار منه أعنى الأسد الحقيقى.

و"اللبد" جمع لبدة، وهى ما كثر من شعر الأسد على منكبيه، والتقليم لغةً: القطع: ويقال لهذا الاستعارة: مجرّدة ومرشّحة.

الفرق بين الترشيح وغيره من ناحية البلاغة: أن الترشيح (الاستعارة الترشيحية) أبلغ من التجريد والإطلاق (من الاستعارة المجردة والمطلقة) لاشتمال الاستعارة الترشيحية على تحقيق المبالغة؛ لأن فى نفس الاستعارة مبالغة فى التشبيه (بجعل المستعار له فردًا من المستعار منه) وفى ذكر ما يلائم المستعار منه تحقيق للمبالغة وتقوية لها.

ولأجل أن فيها تحقيقًا للمبالغة كان مبناها على تناسى التشبيه، وادّعاء أن المستعار له نفس المستعار منه، حتى أنه يستعمل علو المكان لعلو المنزلة كما

فى قول الشاعر[١]:

ويصعد حتى يظنّ الجهول ... بأن له حاجة فى السماء

استعار الشاعر الصعود (الذى يكون لعلو المكان) لعلو القدر والارتقاء فى مدارج الكمال، ثم بنى على علو القدر (المستعار له) ما يبنى على علو المكان (المستعار منه) من ظن الجهول بأن للممدوح حاجة فى السماء، فكأنه نسِىَ التشبيه وجعل علو القدر عين علو المكان، ومن القبيل (أى البناء على المبالغة وتناسى التشبيه) ما مرّ من التعجب فى قول الشاعر:

قامت تظلّلنى ومن عجب ... شمس تظلّلنى من الشمس

فإن بناء التعجب على تناسى التشبيه، وجعل محبوبتها شمسًا حقيقة؛ الشمس لا تظلّل، بل تزيل الظلّ، وكذلك من هذا القبيل النهى عن التعجب فى قول الشاعر:

لا تعجبوا من بلى غلالته ... قد زرّ أزراه على القمر

فإنه لو لم يقصد تناسى التشبيه وإنكاره لما كان للنهى عن التعجب وجهًا صحيحًا؛ إذ لو لم يكن جسم الممدوح عين القمر، وبليت غلالته لكان التعجب وجهًا لا ينكره أحد.

وجاز البناء على المشبه به مع الاعتراف بالمشبه (كما فى المثالين السابقين كما قول الشاعر:

هى الشمس مسكنها فى السماء ... فعزّ الفؤاد عزًا جميلا

فإن تستطع إليها الصعود ... ولن تستطيع إليك النزولا

فقوله: "هى الشمس" تشبيه لا استعارة، ويكون فى التشبيه اعتراف بالمشبه (فإنه هو المقصود) ومع ذلك فقد بنى الكلام على المشبه به، وهى

---

(١) أبو تمام.

الشمس وهذا واضح، وكذا فى قول الشاعر:

قلتُ زورى فأرسلت ... أنا آتيك سُحْرَه

قلتُ فالليل كان أخفى وأدنى مَسَرَّه

فأجابت بحجة ... زادت القلب حَسْرَه

أنا شمس وإنما ... تطلع الشمس بكره

ففى قوله: "أنا شمس" تشبيه، ولكن بناء الكلام على المشبه به وهى الشمس المعروفة، فإذا جاز بناء الكلام على المشبه به مع اعتراف المشبه (كما فى التشبيه) فجوازه عليه مع إنكار التشبيه (كما فى الاستعارة) بالطريق الأولى، كما فى قول الشاعر الفارسى(١).

وحاصل الشعر: لا تعجبوا من قصر ذوائب المحبوب، فإنها كالليل، ووجهه كالربيع، ويميل الليل فى الربيع إلى القصر، وقد وقع النهى عن التعجب مع التصريح بأداة التشبيه، فكأنه أنكر المشبه، وبنى الكلام على المشبه به.

الاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية

وما مرّ من التقسيمات الستة كان للاستعارة التصريحية التى هى قسم من المجاز، ولما كانتا (الاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية) عند القزوينى أمرين معنويين غير داخلين فى تعريف المجاز عقد لهما فصلا على حدةٍ، وقد يضمر التشبيه فى نفس المتكلم، فلا يصرّح بشىء من أركانه سوى لفظ

---

(١) آن زلف مشک بار بران روی چون نگار ... گر کوته است کوتهی از وی عجب مدار

شب در بهار میل کنــد سوی کوتهی ... آن زلف چون شب آمد وآن روی چون بهار

المشبه، ويُدلّ على ذلك التشبيه بإثبات أمر مختصّ بالمشبه به للمشبه من غير أن يكون فى المشبه شيء ثابت حسًّا أو عقلا أجرى (وأطلق) عليه ذلك الأمر المختصّ بالمشبه به، فيسمّى ذلك التشبيه استعارةً بالكناية (لعدم التصريح بالتشبيه والاكتفاء بلوازمه)، ويسمّى إثبات ذلك الأمر المختصّ بالمشبه به للمشبه استعارةً تخييلية (لتخييل المشبّه فردًا من المشبه به وإثبات لوازمه له) مثالهما كقول الشاعر[1]:

وغداة ريح قد كشفتُ وقرّةٍ[2] إذ أصبحت بيد الشمال زمامُها

حاصل معنى الشعر أنّى كشفت وأزلت البرد عنهم بإيقاد النار، وذبح الجزور فى غداة فيها ريح وبردٌ شديد حينما كان زمام البرد بيد ريح الشمال، فإنه جعل للشمال يدًا، ومعلوم أنه ليس للشمال أمر ثابت حسّا أو عقلا تجرى اليد عليه، ولكن لما شبّه الشمال (لتصريفها البَرْدَ حسب طبعها) بالإنسان المصرّف زمام ما بيده أثبت للشمال يدًا على سبيل التخييل مبالغةً فى تشبيه الشمال بالإنسان، فتشبيه الشمال بالإنسان فى النفس استعارة بالكناية، وإثبات اليد للشمال استعارة تخييلية.

ثم الأمر المختصّ بالمشبه به الذى يُثبت للمشبه على قسمين:

١- ما لا يكمل وجه الشبه فى المشبه به بدونه.

٢- وما يكون به قوام (ثبوت) وجه الشبه فى المشبه به.

مثال الأول قول الشاعر:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كلّ تميمة لا تنفع

فإن الشاعر شبّه المنية بالسبع فى اغتيال النفوس بالقهر والغلبة، فهذا استعارة بالكناية، وأثبت للمنية الأظفار التى لا يكمل وجه الشبه (اغتيال

---

(١) لبيد بن ربيعة.

(٢) القرّة: البرد.

النفوس) فى السبع بدونها، وإنما يكون إثبات الأظفار تحقيقًا للمبالغة فى التشبيه، ومثال الثانى قول الشاعر:

ولئن نطقتُ بشكر برك مفصحًا فلسان حالى بالشكاية أنطق

فإنه شبّه الحال الدالة على المقصود بإنسان متكلم، ووجه الشبه الدلالة، فأثبت للحال اللسان الذى به قوام الدلالة -التى هى وجه الشبه- فى الإنسان.

والمثال المحتمل للاستعارة التخييلية والتحقيقية (التصريحية) قول الشاعر:

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطلُه وعرّى أفراس الصبا ورواحله

أى أفاق القلب عن محبة سلمى وانتهى باطله يعنى امتنع عن باطله، وعريت أفراس زمن الصبا وأبله عمّا فى ظهورهما من السروج والرواحل، أراد الشاعر أن يبيّن أنه ترك ما كان يرتكبه زمن الصبا، والمحبة من الجهل والغىّ، وأعرض عن معاودته، فبطلت آلات ما كان يرتكبه.

فشبّه الصبا بجهة من جهات السفر، كسفر الحج والتجارة، وقد قضى من تلك الجهة وطره، فأُهمِلَتْ آلات السفر إلى تلك الجهة.

ووجه الشبه الاشتغال التام، وركوب المسالك الصعبة -فى كل من الصبا والسفر إلى تلك الجهة- من غير مخافة عن الهلاك، ومن غير احتراز عن أىّ معركة، وهذا التشبيه استعارة بالكناية، وإثبات الأفراس والرواحل (اللازمة للسفر إلى تلك الجهة) للصبا استعارة تخييلية.

و "الصبا" على تقدير التشبيه من "الصبوة" بمعنى الميل إلى الجهل والفتوة (المروءة والكرم) لا من الصباء بالفتح بمعنى اللعب مع الصبيان.

ويحتمل أن الشاعر أراد بالأفراس والرواحل دواعى النفوس،

وشهواتها، والقوى الحاصلة للنفوس فى استيفاء لذاتها، أو أراد بتلك الأفراس والرواحل الأسباب التى قلما تستعمل فى اتّباع الغىّ والجهل، إلا فى أوان الصبا وعنفوان الشباب، مثل المال والمنال والأعوان.

فتكون الاستعارة تحقيقيةً ومصرحةً بسبب ذكر المشبه به صراحةً وإرادة المشبه.

وبما أن آراء السكاكى فى الحقيقة والمجاز، وفى الاستعارة بالكناية، والاستعارة التخييلية مردودة بوجوه خمسة ذكرها المصنف فى "التلخيص" و"الإيضاح"، فلا حاجة بنا إلى ذكر تلك الآراء وتسويد القرطاس بها وتضييع المداد.

شروط حسن الاستعارة

واعلم أن حسن كل واحدة من الاستعارة التحقيقية (بأن يكون المستعار له حقيقة حسية أو عقلية) والاستعارة التمثيلية (بأن يكون المستعار منه والمستعار له هيئة منتزعة عن أمور متعددة) يكون بأمرين:

الأول: برعاية جهات حسن التشبيه، مثل أن يكون وجه الشبه شاملا للطرفين، ويكون التشبيه وافيًا بما أريد منه.

والثانى: أن لا يشمّ شىء منهما (التحقيقية والتمثيلية) رائحة التشبيه لفظًا؛ لأن ذلك يبطل الغرض من الاستعارة، أعنى دخول المشبّه فى جنس المشبه به؛ لأن التشبيه يدل على أن المشبه به أقوى فى وجه الشبه من المشبّه، فيفوت تلك المبالغة.

ولذلك (رعاية جهات حسن التشبيه) يوصى (يؤكد) أن يكون وجه

الشبه بين الطرفين جليّا بنفسه، أو بواسطة عرف عام، أو اصطلاح خاص؛ لئلا تصير الاستعارة إلغازًا (وتعميةً) يقال: ألغز فى كلامه إذا عمِيَ وخفى مراده.

مثال خفاء وجه الشبه فى الاستعارة التحقيقية نحو قولك: "رأيت أسدا" وأردت إنسانًا أبخر (منتن رائحة الفم) فوجه الشبه بين الطرفين خفى، وفى التمثيلية نحو قولك: "رأيت إبلا مئة لا أجد فيها راحلة" وأردتَ من الإبل ناسًا، تعنى أن المرضى الشريف من الناس فى عزة وجوده كالإبل المختارة التى لا توجد فى كثير من الإبل، ووجه الشبه هنا أيضًا خفى.

ومن هذا ظهر أن التشبيه أعمّ محلا من الاستعارة؛ إذ كل ما يحسن فيه الاستعارة يمكن فيه التشبيه أيضًا من غير عكس، لجواز أن يكون وجه الشبه خفيًا، فلا يحسن أن يكون استعارةً، ولكن يكون تشبيهًا، كما فى المثالين المذكورين.

ومما يتصل بما ذكرنا من أنه إذا خفى وجه التشبيه لم يحسن الاستعارة ويتعين التشبيه، أنه إذا قوى الشبه بين الطرفين حتى صارا كالمتحدين، كما فى تشبيه العلم بالنور، وتشبيه الجهل بالظلمة، ووجه الشبه فى الأول: الاهتداء، وفى الثانى: الضلالة، لم يحسن التشبيه وتعيّنت الاستعارة، فتقول بعد العلم بشىء: "حصل فى قلبى نور"، ولا تقول: "كأنّ نورًا حصل فى قلبى"، وإذا وقعت فى شبهة وجهل تقول: وقعت فى ظلمة، ولا تقول: كأنّى وقعت فى ظلمة.

والاستعارة بالكناية كالاستعارة التحقيقية فى أن حسنها برعاية حسن جهات التشبيه.

وأمّا التخييلية فحسنها باعتبار حسن المكنى عنها؛ لأنها تكون تابعةً

للاستعارة بالكناية، وليس لها فى نفسها تشبيه، بل هى مستعملة فى معناها الحقيقى عند المصنف، فحسنها تابع لحسن متبوعها.

المعنى الآخر للفظ "المجاز"

واعلم أن الكلمة كما توصف بالمجاز لنقلها عن معناها الأصلى، واستعمالها فى غيره، كذلك توصف به لنقلها عن إعرابها الأصلى إلى غيره، لحذف لفظ أو زيادة لفظ، مثال المجاز لأجل الحذف، كقوله تعالى: ﴿واسأل القرية﴾ أى أهل القرية، فإعراب "القرية" فى الأصل هو الجرّ، فحذف المضاف لفظ "أهل" وأعطى المضاف إليه "القرية" إعرابه، ولو جعل "القرية" مجازًا عن أهلها من قبيل ذكر المحل وإرادة الحال، فيكون من المجاز بمعنى الأول، واستعمال اللفظ فى غير ما وضع له، وقوله تعالى: ﴿وجاء ربّك﴾ أى أمر ربّك، والأصل فى إعرابه هو الجرّ، ومثال المجاز لأجل الزيادة قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شىء﴾ أى ليس مثله شىء، فإعراب "مثله" فى الأصل هو النصب (لأنه خبر ليس) فزيدت الكاف فصار جرًا.

واعلم أن القول بزيادة "الكاف" فى قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شىء﴾ أخذ بالظاهر؛ فإنه يحتمل أن لا يكون الكاف زائدًا، بل كان مبنى الكلام على نفى المثل عنه تعالى بطريق الكناية التى هى أبلغ من التصريح؛ لأن الله تعالى موجود بلا شبهة، فإذا نفى مثل مثله (لأن المعنى على هذا التقدير ليس مثل مثله شىء) لزم نفى مثله تعالى؛ لظهور أنه لو كان له تعالى مثل لكان الله تعالى نفسه مثل مثله، فلم يصح نفى مثل مثله، فعلم أن النفى (فى الآية) لمثله تعالى على طريق الكناية.

التمرين

١- عرّف الاستعارة الوفاقية والعنادية، ومثّل لهما.

٢- ما هو المراد من الاستعارة التمليحية؟ وما هو الغرض منها؟

٣- وضّح الفرق بين النقيضين والمتضادين.

٤-اذكرمثالالدخول وجه الشبه فى مفهوم الطرفين ومثالالخروجه عنه.

٥- ما هى الاستعارة العامية والخاصيّة أظهر الفرق بينهما فى ضمن الأمثلة.

٦- اذكر الأقسام الستة للاستعارة باعتبار الطرفين ووجه الشبه.

٧- وضّح الاستعارة فى هذه الآية: ﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون﴾.

٨- لما ذا استشهد بقوله تعالى: ﴿من بعثنا من مرقدنا﴾.

٩- ما هو المستعار منه والمستعار له فى هذه الآية: ﴿فاصدع بما تؤمر﴾؟

١٠- اذكر الفرق بين الاستعارة الأصلية والتبعية، ومثّل لهما.

١١- ما معنى كون الاستعارة فى متعلقات الحروف تبعية؟ اشرحه بالأمثلة.

١٢- وما هو المراد من "متعلقات الحروف"؟

١٣- ما هى طرق معرفة القرينة فى الاستعارة التبيعية؟

١٤- هاتِ مثالا للاستعارة المطلقة والمجرّدة والمرشّحة.

١٥- ما هو محل الاستشهاد فى قول الشاعر:

لدى أسد شاكى السلاح مقذّف   له لبد أظفاره لم تقلّم؟

١٦- عرّف الاستعارة بالكناية، واذكر لها مثالا.

١٧- ما هى شروط حسن الاستعارة؟ بيّنها.

١٨- ما هو المعنى الآخر للفظ المجاز؟

بحث الكناية

مفهوم الكناية لغةً وا صطلاحًا:

أمّا لغةَ: فهو ترك التصريح، تقول: كنيتُ بكذا عن كذا، أو كنوتُ، إذا تركتَ التصريح به.

وأمّا اصطلاحًا: فهو لفظ أريد به لازم معناه الموضوع له مع جواز إرادته، كقولك: فلان طويل النجاد (حمائل السيف) أى طويل القامة، فإن حمائل السيف يكون بقدر قامة حامله، فيكون طول القامة لازمًا لطول النجاد، ولا يمتنع مع ذلك إرادة طول النجاد نفسه، بخلاف المجاز؛ حيث لا يجوز فيه إرادة المعنى الحقيقى مع المعنى المجازى؛ لأن القرينة فى المجاز مانعة عن إرادة المعنى الموضوع له.

فظهر أن الكناية تخالف المجاز؛ لجواز إرادة المعنى الحقيقى فيها دونه، فلا يجوز فى قولك: "فى الحمام أسد" إرادة الحيوان المفترس مع استعمال الأسد فى الرجل الشجاع؛ لأن القرينة (لفظ فى الحمام) مانعة عنها.

أقسام الكناية

وهى على ثلاثة أقسام: القسم الأول: هى التى لا يكون المطلوب بها صفة ولا نسبة، بل يكون المطلوب بها موصوفًا، ثم هذه الكناية على قسمين: الأول: أن يذكر معنى واحد، أى صفة واحدة من الصفات الموجودة فى موصوف، وأريد بتلك الصفة (لأجل اختصاصها به) ذلك

الموصوف، كما فى قول الشاعر:

الضاربين بكل أبيض مخذَم   والطاعنين مجامع الأضغان

أى أمدح الضاربين بكل سيف لمّاع قاطع، وأمدح الطاعنين بالرماح قلوب الأعداء التى هى مركز العداوة، فأريد بالصفة الواحدة (مجامع الأضغان) الموصوف وهو القلوب، فليس المراد نفس الصفة، ولا نسبتها إلى الموصوف، بل المراد نفس القلوب التى هى محل الطعن بالرماح.

والثانى: أن يذكر معانٍ (صفات) متعددة، وأريد بها الموصوف، كقولنا فى الكناية عن الإنسان: حىّ، مستوى القامة، عريض الأظفار، فإن هذه الصفات مجموعها مخصوصة بالإنسان، فتكون كنايةً عن موصوفها، وهو الإنسان، ففى هذا المثال أيضًا لا يكون المراد نفس الصفات، ولا نسبتها إلى الموصوف، بل المراد نفس الموصوف، وشرط القسم الأول (بقسميه) اختصاص الصفة، أو الصفات المذكورة بالمكنى عنه، أى الموصوف؛ ليسهل الانتقال إليه.

والقسم الثانى: هى التى يكون المطلوب بها صفة، يعنى يُذكر الموصوف، ويراد به الصفة.

وهو (أى القسم الثانى) أيضًا على قسمين: قريبة، وبعيدة.

ثم الكناية القريبة التى يكون الانتقال فيها إلى المطلوب سهلا على قسمين: (١) قريبة واضحة: وهى التى يكون الانتقال فيها من الموصوف إلى الصفة بلا واسطة وبسهولة، كقولهم فى الكناية عن طويل القامة: زيد طويل نجاده، أو طويل النجاد (الأول بالإضافة، والثانى المعرّف باللام).

والفرق بين هذين المثالين أن الأول كناية خالصة، والثانى فيه نوع من التصريح؛ لتضمّن الصفة (طويل) الضمير الراجع إلى الموصوف (وهو زيد)

لضرورة احتياج الصفة إلى مرفوع مسند إليه، فيشتمل على نوع التصريح بثبوت الطول للموصوف، فكأنّ الموصوف أريد أيضًا فى الجملة.

(٢) وقريبة خفية: وهى التى يكون الانتقال فيها من الموصوف إلى الصفة بالمشقة، كالتأمل وإعمال الرَوية (الفكر)، كقولهم فى الكناية عن الأبله "عريض القفا" فإن عرض القفا (مؤخر الرأس) وعظم الرأس بالإفراط مما يستدل بهما على البلاهة، فعرض القفا ملزوم، والبلاهة لازم له بحسب الاعتقاد، ولكن فى الانتقال منه إلى البلاهة نوع خفاء.

والكناية البعيدة: هى التى كان الانتقال فيها إلى المطلوب بواسطة فصاعدًا، كقولهم فى الكناية عن المضياف (كثير الاهتمام بالضيوف): "كثير الرماد" فإن الذهن ينتقل من كثرة الرماد إلى كثرة إحراق الحطب تحت القدور، ومنها إلى كثرة الطبخ، ومنها إلى كثرة الأكلة، ومنها إلى كثرة الضيفان، ومنها إلى المقصود، وهو المضياف، ومن هذا النوع قول الشاعر:

لعبد العزيز على قومه	وغيرهم منن ظاهره
فبابك أسهل أبوابهم	ودارك مأهولة عامره
وكلبك آنس بالزائرين	من الأم بالابنة الزائره

والقسم الثالث: هى الكناية التى يكون المطلوب بها النسبة، أى إثبات أمر لأمر آخر، أو نفيه عنه (يعنى لا يكون المطلوب بها الصفة فقط، أو الموصوف كذلك، بل نسبة الصفة إلى الموصوف إيجابًا أو سلبًا)، مثاله كقول الشاعر:

إن السماحة والمروءة والندى	فى قبة ضُربت على ابن الحشرج

السماحة: الكرم، والمروءة: كمال الرجولية، والندى: الجود، والقبة: [فـ]وق الخيمة يتخذها الرؤساء لمسكنهم، فإن الشاعر حين أراد أن لا يصرّح

بإثبات هذه الصفات لابن الحشرج جمعها فى قبّة، تنبيهًا بذلك على أن محلّها رجل ذو قبة، وجعلها مضروبة عليه لوجود ذى قباب كثيرين فى الدنيا، فأفاد إثبات الصفات المذكورة، ونسبتها إليه بطريق الكناية؛ لأنه إذا أثبت الأمر فى مكان الرجل، ومحلّه فقد أثبت له.

ونظير هذا البيت قولهم: "المجد بين ثوبيه، والكرم بين بُردَيه" حيث لم يُصرّح بثبوت المجد والكرم له، بل كنى عن ذلك؛ لكونهما بين ثوبيه وبرديه، فنُسب المجد والكرم إليه بواسطة ثوبيه وبرديه.

وأمّا قول القائل: "كثر الرماد فى ساحة زيد" ليس المطلوب به الكناية فى الصفة والنسبة حتى قيل: إنه قسم رابع للكناية، بل فى هذا كنايتان: إحداهما: المطلوب بها نفس الصفة، وهى كثرة الرماد، فإنّها كناية عن كونه مضيافًا (كثير الاهتمام بالضيوف).

والثانية: المطلوب بها نسبة المضيافية إليه، وهو جعل المضيافية فى ساحة زيد لتفيد إثباتها له، ثمّ الموصوف فى القسم الثانى (الكناية عن الصفة) والقسم الثالث (الكناية عن النسبة) قد يكون مذكوراً، كما مر فى مثاليهما، وقد يكون غير مذكور، كما يقال فى التعريض بمن يؤذى المسلمين: «المسلم من سَلِم المسلمون من لسانه ويده»، فإنه كناية عن نفى نسبة الإسلام إلى المؤذى، أى ليس المؤذى مسلمًا، وهو غير مذكور فى الكلام.

وكما يقول فى التعريض بمن يشرب الخمر، ويعتقد حلّها، وأنت تريد تكفيره: "أنا لا أعتقد حلّ الخمر"، وهذا كناية عن إثبات صفة الكفر له، مع أنه غير مذكور فى الكلام.

الأقسام الثانوية للكناية

وتنقسم الكناية (مرّة ثانية) إلى أقسام آتية: تعريض، وتلويح، ورمز، وإيماء، يعنى إشارة.

١- التعريض: وهو عبارة عن كون الكناية مسوقة لأجل موصوف غير مذكور؛ لأن التعريض لغةً هو إمالة الكلام إلى عُرضٍ (جانب) يدل على المقصود، تقول: "عرّضت لفلان أو بفلان"، إذا قلتَ قولا، وأنت تريده، فكأنّك أشرت بهذا القول إلى جانب، وتريد جانبًا آخر، كما يقول المحتاج للمحتاج إليه: جئتك لأسلّم عليك، فأمال كلامه إلى جانب يدل على مقصوده، وهو رفع حاجته.

٢- التلويح: وهوفى اللغة: أن تشير إلى غيرك من بعيد، فإذا كثرت الوسائط (بين اللازم والملزوم)، كما فى كثير الرماد، وجبان الكلب فى الكناية عن الجوّاد، تسمّى الكناية تلويحًا؛ للبعد بين اللازم والملزوم.

٣- الرمز: وهو فى اللغة: الإشارة بالشفة أو الحاجب، وفى الاصطلاح: أن تشير إلى قريب منك على سبيل الإخفاء، فإذا قلّت الوسائط مع خفاء فى اللزوم، كعريض القفا وعريض الوسادة فى الكناية عن البليد تسمّى الكناية رمزًا؛ لخفاء اللزوم فيها، قال الشاعر:

رَمَزَتْ إلىّ مخافةً من بعلها   من غير أن تبدى هناك كلامها

٤- الإيماء: فإن قلّت الوسائط بلا خفاء تسمّى الكناية إيماءً وإشارةً، كما فى قول الشاعر:

أو ما رأيت المجد ألقى رحله   فى آل طلحة ثم لم يتحوّل

وإلقاء الرحل كناية عن وجوده فى مكانهم، ووجوده فيه كناية عن نسبة المجد إليهم.

والتعريض (كما أنه يكون كناية) قد يكون مجازاً أيضاً، فلا ينحصر فى الكناية، كقولك: "آذيتنى فستعرف" وأنت تريد بتاء الخطاب إنساناً آخر هو عند المخاطب، دونه؛ ليكون اللفظ (تاء الخطاب) مستعملا فى غير ما وضع له، فيكون (هذا التعريض) مجازاً، وإن أردت (بتاء الخطاب) المخاطب وإنساناً آخر معه جميعاً كان (التعريض) كنايةً؛ لأنك أردت باللفظ (تاء الخطاب) المعنى الأصلى وغيره معاً، والمجاز ينافى إرادة المعنى الأصلى، وقد درست أن مدار الفرق بين المجاز والكناية إنما هو إمكان إرادة المعنى الأصلى فى الكناية دون المجاز.

ولا بد فى الصورتين (صورة المجاز وصورة الكناية) من القرينة الدالة على أن المراد فى الأول هو المجاز (أى إنسان آخر مع المخاطب، دونه) وفى الثانية الكناية (أى المخاطب مع إنسان آخر جميعاً).

وتحقيق ذلك أن قولك: "آذيتنى فستعرف" كلام دال على تهديد المخاطب بسبب الإيذاء، ولازمه تهديد كل من صدر عنه الإيذاء، فإن استعملتَ هذا الكلام وأردت به تهديد المخاطب (وهو الملزوم) وتهديد غيره من المؤذيين (وهو اللازم) كان كناية؛ لجواز إرادة المعنى الحقيقى مع المعنى الكنائى (وهو اللازم).

وإن أردت بهذا الكلام تهديد غير المخاطب بسبب الإيذاء (وهو اللازم فقط) لعلاقة اشتراك ذلك الغير مع المخاطب فى الإيذاء حقيقةً أو حكماً مع قرينة مانعة عن إرادة المعنى الحقيقى -وهو المخاطب- كان ذلك الكلام مجازاً.

مراتب المجاز، والاستعارة، والكناية عند البلغاء

وقد أطبق البلغاء على ١ - أن المجاز أبلغ من الحقيقة، ٢- وأن الاستعارة أبلغ من التصريح بالتشبيه، ٣- وأن الاستعارة التمثيلية أبلغ من التمثيل المجرد، ٤- وأن الكناية أبلغ من التصريح.

قال الشيخ عبد القاهر: ليس ذلك (أبلغية هذه الأربعة من تلك الأربعة) لأن الواحد من هذه الأمور الأربعة) يفيد زيادة فى المعنى نفسه، لا يفيدها خلافه، بل لأنه يفيد تأكيدًا لإثبات المعنى لا يفيده خلافه، فليست فضيلة قولنا: "رأيت أسدًا" على قولنا: "رأيت رجلا هو والأسد سواء فى الشجاعة" أن الأول أفاد زيادة فى مساواته للأسد فى الشجاعة لم يفدها الثانى، بل الفضيلة أن الأول أفاد تأكيدًا لإثبات تلك المساواة له ولم يفده الثانى، وكذا ليست فضيلة قولنا: "كثير الرماد" على قولنا: "كثير القِرى" أن الأول أفاد زيادة القِرى لم يفدها الثانى، بل هى أن الأول أفاد تأكيدا لإثبات كثرة القرى له ولم يفده الثانى.

والسبب فى ذلك أن الانتقال فى الجميع من الملزوم إلى اللازم، فيكون إثبات المعنى بالطرق المذكورة كدعوى الشىء ببينة، فإنك إذا قلت: "زيد طويل النجاد" كأنّك استدللتَ عليه بقولك: لأنه طويل القامة، وكذلك إذا قلت: "رأيت أسدًا فى الحمام" كأنّك ذكرت دليلا عليه بقولك: لأن الرجل المستعار له مثل الأسد فى الشجاعة، ولا شك أن دعوى الشىء بيّنة أبلغ من دعواه بلا بيّنة.

التمرين

١- عرّف الكناية لغةً واصطلاحًا، وبيّن الفرق بينهما، وبين المجاز.

٢- اذكر أقسام الكناية مع شرح قول المصنف: "لا يكون المطلوب بها صفة ولا نسبة".

٣- عيّن الكناية فى قول الشاعر:

الضاربين بكل أبيض مِخذَم والطاعنين مجامع الأضغان

٤- وضّح الفرق بين الكناية القريبة الواضحة، وبين القريبة الخفية.

٥- عرّف الكناية البعيدة، ومثّل لها.

٦- ما معنى قولهم: "هى التى يكون المطلوب بها نسبةً"؟ وما هو مثالها؟

٧- اذكر الأقسام الثانوية للكناية، كم هى؟ وما هى؟

وهذا آخر البيان فى فن البيان والحمد لله على ذلك، وقد وقع الاختتام فى الليلة الثامنة من شهر محرم الحرام ١٤١٦هـ.

البلاغة الصافية

تهذيب مختصر التفتازاني (المتوفى ٧٩١هـ)

علم البديع

تقديم وتهذيب وتسهيل:

محمد أنور البدخشاني

الأستاذ بجامعة العلوم الإسلامية بنوري تاون - كراتشي .

١- نشأة علم البديع

ومن المناسب ذكر بعض المعلومات الهامّة قبل الخوض فى تعريف علم البديع ومباحثه.

يقول عبد الله بن المعتز العباسى المتوفى ٢٩٦هـ الذى صنف كتابه فى "علم البديع" فى سنة أربع وسبعين ومائتين (٢٧٤هـ): "قد قدّمنا فى أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا فى القرآن، واللغة، وأحاديث رسول الله ﷺ، وكلام الصحابة، والأعراب، وغيرهم، وأشعار المتقدمين من الكلام الذى سمّاه المحدثون "البديع"؛ ليعُلمَ أن بشاراً ومسلماً وأبا نواس ومن حاكاهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن، ولكنه كثر فى أشعارهم، فعُرف فى زمانهم حتى سُمّى بهذا الاسم "البديع"[(١)].

ثم يقول (بعد أسطر): "وإنما غرضنا فى هذا الكتاب تعريف الناس أن المحدثين لم يسبقوا المتقدمين إلى شىء من أبواب البديع"[(٢)].

وغاية ابن المعتزّ من كتابه الذى أعلن فيه بوجود علم البديع (فى القرآن والسنة وكلام الصحابة والأعراب، وأشعار الإسلاميين والجاهلين) هى أن يثبت أن المحدثين لم يخترعوا البديع الذى يلهجون به، ولعلّه كان هناك من يزعم أن المحدثين هم الذين أنشأوا فنّ البديع من العدم، فلم تكن العرب تعرفه، وهذا زعم خطأ، ويكفى بابن المعتزّ فضلا أنه أوّل من صنف فى البديع، ورسم فنونه، وكشف عن أجناسها وحدودها بالدلالات البيّنة، والشواهد الناطقة، بحيث أصبح إماماً لكلّ من صنّف فى البديع بعده.

---

(١) كتاب البديع صـ١.

(٢) كتاب البديع صـ٣.

٢- عدد المحسّنات البديعية

١-وقد أحصى عبد الله بن المعتزّ العباسى فى أوّل كتابه الذى مرّ ذكره ثمانية عشر محسّنًا، وضمّ إلى المحسّنات البديعية بعض الصّور البيانية الأساسية، وهى الاستعارة، والتشبيه، والكناية، فالبديع عنده، وعند من ألّف بعده على منواله شامل للبيان.

٢- وزاد قدامة بن جعفر ثلاثة عشر محسّنًا، فصار المجموع واحدًا وثلاثين محسّنًا.

٣- ثم جاء أبو هلال العسكرى، فعدّ من المحسّنات خمسة وثلاثين.

٤-ووجدنا أسامة بن منقذ (المتوفى ٥٨٧هـ) أحصى فى كتابه "البديع فى نقد الشعر" كثيرًا من المحسّنات البديعية، وكذلك فعل الوطواط فى كتابه "حدائق السحر فى دقائق الشعر".

٥- ثمّ جاء عصر السكاكى، فألحق فى "المفتاح" البديع بعلمى المعانى والبيان، واقتصر منه على ستّة وعشرين محسّنًا.

٦- وجاء شرف الدين بن يوسف التيفاشى المغربى (المتوفى ٦٥١هـ)، وصنّف كتابًا فى البديع، وأحصى فيه سبعين محسّنًا.

٧- وألّف عالم آخر معاصر شرف الدين، وهو ابن أبى الأصبغ المصرى (المتوفى ٦٥٤هـ) كتابين: "تحرير التحبير" و "بديع القرآن"، فقد أحصى فى "تحرير التحبير" من المحسّنات مائة واثنين وعشرين محسّنا (١٢٢)، فبدأ بمحسّنات ابن المعتز، ومحسّنات قدامةبن جعفرثم بما وجد فى كتب المصنفين بعدهما، حتى كمل عدد المحسّنات باثنين وتسعين محسّنا،

وأضاف إلى ذلك ثلاثين محسّنًا جديدًا، فصار المجموع ١٢٢ محسّنًا.

٨- وأشار صفى الدين الحلىّ (المتوفى ٧٥٠هـ) فى قصيدته التى أنشدها فى مدح النبى ﷺ إلى مائة وخمسين محسّنًا.

٩- وذكر عبد الغنى النابلسى الصوفى المشهور (المتوفى ١١٤٣هـ) فى كتابه "نسمات الأسحار فى مدح النبى المختار" مائة وخمسة وخمسين محسّنًا (١٥٥).

١٠- وجمع القزوينى فى "إيضاحه" واحدًا وثلاثين (٣١) محسّنًا معنويا، وسبع محسّنات لفظية، وذكر قبله تسعة وعشرين محسّنًا معنويًا، وسبعة محسّنات لفظية فى "تلخيصه" ونحن نتّبع إيضاحه، إن شاء الله تعالى فى عدد المحسّنات.

٣- واضع علم البديع

إذا كان الواضع بمعنى المخترع والمنشئ لا شكّ أن هذا العلم كان موجودًا قبل الإسلام وبعده، كما أشرنا إليه تحت عنوان "نشأة علم البديع"، وإن كان الواضع بمعنى المرتّب والمدوّن، فعبد الله بن المعتزّ العباسى أحد خلفاء العباسيين المتوفى ٢٩٦ للهجرة هو أوّل من وضع ورتّب هذا العلم، وذكر ثمانية عشر محسّنًا، فكلّ من جاء بعده اقتفى أثره، وهو مشكور بعمله العلمى عند جميع علماء الأمة، إن شاء الله تعالى، فجزاه الله تعالى عن علماء البلاغة جزاءً يكفيه فى الدارين.

٤- تعريف علم البديع

١-أمّا لغةً: فالبديع بمعنى المختَرضع والموجَد على غير مثال سابق، من قولهم: بدع الشيء وأبدعه اخترعه، لا على مثال سابق، مأخوذ من قوله تعالى: ﴿بديع السموات والأرض﴾.

٢- وأمّا اصطلاحًا: فهو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال، ووضوح الدلالة (أى خلوه عن التعقيد بقسميه).

٣- غايته: هو إدراك جمال كلام العرب الذى نزل به كلام الله تعالى، وبُعث بهذه اللغة رسول الله ﷺ، والتصديق بإعجاز كلام الله من ناحية محاسنه اللفظية والمعنوية، وكماله الظاهرى والباطنى.

٤- موضوعه: هو الوجوه والأمور التى تورث فى الكلام حسنًا وجمالا، إمّا فى لفظه، وإمّا فى معناه.

ولمّا كان الغرض الأصلى من الكلام هو المعنى اهتمّ علماء البديع بالمحسّنات المعنوية أكثر من اهتمامهم بالمحسّنات اللفظية، فقدّموا الأول على الثانى.

أنواع المحسّنات

وهذه الوجوه ضربان: ضرب يفيد حسن المعنى أولا، و ضرب يفيد حسن اللفظ أولا، وعدد الوجوه المعنوية (كما فى "الإيضاح" للمصنّف) واحد وثلاثون (٣١)، وعدد الوجوه اللفظية سبعة، وأمّا فى "التلخيص":

فالمحسّنات المعنوية تسعة وعشرين، واللفظية سبعة مثل ما فى "الإيضاح".

التمرين

١- ما ذا تعرف حول نشأة علم البديع؟
٢- كم عدداً من المحسّنات ذكرها عبد الله بن المعتزّ؟ ثم من زاد عليه؟ وكم زاد؟
٣- من وضع علم البديع؟ ومتى وضع؟
٤- عرّف علم البديع، وبيّن غايته وموضوعه.
٥- كم هو عدد المحسّنات فى "الإيضاح"؟

المحسّنات المعنوية

١- **المطابقة**: ومنها المطابقة، وتسمّى الطباق والتضاد أيضًا، وهى الجمع بين المتضادين، أى المعنيين المتقابلين بوجه من الوجوه، كالجمع بين القدم والحدوث، وبين الحياة والموت.

ومعنى "المطابقة" و "الطباق" هو الموافقة، ولأجل توافق المعنيين فى كون كلّ منهما ضدّاً للآخر يطلق عليه المطابقة أو الطّباق، كما أن لأجل نفس التضاد يطلق عليه لفظ "التضادّ" أيضًا.

صور الجمع بين المتضادّين

١- وقد يُجمع بين اللفظين المتضادّين من نوع واحد، فهما: ١- إمّا

اسمان، كقوله تعالى: ﴿وتحسبهم أيقاظًا وهم رقود﴾ فهنا جُمع بين الأيقاظ والرقود.

٢- أو فعلان، كما في قوله تعالى: ﴿تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذلّ من تشاء﴾ فهنا بين "تؤتى" و"تنزع" وبين "تعزّ" و"تذلّ" تضادّ، وقوله تعالى: ﴿يُحيي ويُميت﴾ فكلاهما فعلان متضادان، وقول النبي ﷺ: «إنكم لتكثرون عند الفزع، وتقلّون عند الطمع»، فالفزع والطمع متضادان، و كذا الكثرة والقلة.

وقول أبي صخر الهذلي:

أما والذي أبكى وأضحك والذي ... أمات وأحيا والذي أمره الأمر

ولا يخفى ما بين البكاء والضحك، وما بين الإحياء والإماتة من التقابل.

٣- أو حرفان، كقوله تعالى: ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ فالتقابل هنا بين "اللام" و"على"، وقول الشاعر:

على أنني راضٍ بأن أحمل الهوا ... وأخلص منه لا عليّ ولا ليا

٢- وقد يجمع بينهما من نوعين مختلفين، كقوله تعالى: ﴿أو من كان ميتًا فأحييناه﴾ فالأول "ميتًا" اسم، والثاني "أحيينا" فعل، وهما متضادّان، أي من كان ضالا فهديناه.

ثم الطباق على قسمين: طباق في الإيجاب وطباق في السلب.

فطباق الإيجاب: هو أن يكون المتقابلان كلاهما مثبتين، نحو قوله تعالى: ﴿وتحسبهم أيقاظًا وهم رقود﴾ فالأيقاظ والرقود مثبتان.

وطباق السلب: هو الجمع بين الفعلين الذَين أحدهما فعل مثبت، والآخر منفي، أو أحدهما أمر، والآخر نهي، ومصدرهما واحد، مثال الأول قوله تعالى: ﴿ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون، يعلمون ظاهرًا من الحياة

الدنيا﴾ ومثال الثانى قوله تعالى : ﴿ولا تخشون الناس واخشونِ﴾ ، وقول الشاعر :

ونُنكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول

فالأول مثبت ، والثانى منفى ، وقول الشاعر :

خُلقوا وما خلقوا لمكرمة فكأنهم خلقوا وما خُلقوا

رُزقوا وما رُزقوا سماح يد فكأنهم رُزقوا وما رُزقوا

ومن الطباق ما سمّاه بعضهم تدبيجا ، والتدبيج فى اللغة : التزيين ، من قولهم : دبّج المطر الأرض ، أى زيّنها .

وفى الاصطلاح: هو أن يُذكر فى معنى من المدح أو غيره (كالهجاء) ألوان مختلفة لقصد الكناية أو التورية .

مثال التدبيج لقصد الكناية قول الشاعر[1] :

تردّى ثياب الموت حمرًا فما أتى لها الليل إلا وهى من سندس خضر

يقول أبو تمام فى مرثية أبى نهشل محمد بن حُمَيد حين أُستشهد : ارتدى الثياب الملطّخة بالدم ، فلم يمضِ يوم قتله ، ولم يدخل فى ليلته إلا وقد صارت ثيابه من سندس خضر ، أى من ثياب الجنة ، فقد جمع بين الحمرة والخضرة ، وقصد بالأول الكناية عن القتل ، وبالثانى الكناية عن دخول الجنة .

ومثال التدبيج لقصد التورية قول الحريرى فى "مقاماته" : "فمذ اغبرّ العيش الأخضر ، وازورّ المحبوب الأصفر ، اسودّ يومى الأبيض ، وابيضّ فودى[2] الأسود ، حتى رثى لى العدوّ الأزرق ، فيا حبّذا الموت الأحمر" ، فالمعنى القريب للمحبوب الأصفر هو الإنسان الذى له صفرة ، والمعنى البعيد

---

(١) أبو تمام .

(٢) الفود : جانب الرأس .

الذهب، وهو المراد ههنا، فيكون تورية، وليس فى كل لون منه كناية.

أمران آخران يلحقان بالطباق

الأول: الجمع بين معنيين تتقابل عين أحدهما مع سبب الآخر، أو لازمه، نحو قوله تعالى: ﴿أشدّاء على الكفار رحماء بينهم﴾، فإنّ بين الشدة وسبب الرحمة وهو اللين، مقابلة وقوله تعالى: ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لِتسكنُوا فيه ولتبتغوا من فضله﴾.

فالسكون وابتغاء الفضل وإن لم يكن بينهما مقابلة، ولكن بين السكون وبين لازم ابتغاء الفضل، وهى الحركة مقابلة.

والثانى: الجمع بين معنيين غير متقابلين (كالبكاء وظهور الشيب) عبّر عنهما بلفظين متقابلين باعتبار معناهما الحقيقى، كالضحك والبكاء فى قول الشاعر:

لا تعجبى يا سَلْمُ من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

فالضحك باعتبار معناه المجازى، وهو ظهور المشيب لا يكون مقابلا للبكاء، ولكن باعتبار معناه الحقيقى يكون ضدّا ومقابلا للبكاء، ويسمّى الثانى إيهام التضاد؛ لأنهما ذكرا بلفظين يوهمان التضاد فى بادى الرأى (وهو حمل الضحك على المعنى الحقيقى).

ولمّا جعل السكاكى "المقابلة" قسمًا على حدةٍ من المحسّنات المعنوية، وجعلها القزوينى قسمًا من الطباق، قال: ودخل فى الطباق ما يختص باسم "المقابلة"، وهو أن يؤتى بمعنيين متوافقين، أو معانٍ متوافقة، ثم يؤتى بما يقابل المعنيين، أو المعانى على الترتيب، والمراد بتوافق المعنيين هنا خلاف

التقابل، سواءكانا متناسبين أو متماثلين.

١- مثال مقابلة اثنين باثنين، قوله تعالى: ﴿فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرًا﴾ ذكر الضحك والقلّة المتوافقين، ثم ذكر البكاء والكثرة المتقابلين لهما.

وقوله عليه السلام: «إن الرفق لا يكون فى شىء إلا زانه، ولا ينزع من شىء إلا شانه»، فإنّ كون الرفق فى شىء وزينه متوافقان، ونزع الرفق عن شىء وشينه متقابلان لهما، وقول الشاعر:

فتى تمّ فيه ما يسرّ صديقه على أن فيه ما يسوء الأعاديا

فالمسرّة والصديق متوافقان، والمساءة والعدوّ متقابلان لهما.

ومثال مقابلة ثلاثة بثلاثة قرل أبى دُلامة:

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وما أقبح الكفر والإفلاس بالرجل

أتى الشاعر بالحسن والدين والدنيا(الغنى) ثم بما يقابلها من القبح والكفر والإفلاس على الترتيب.

ومثال مقابلة أربعة بأربعة قوله تعالى: ﴿فأمّا من أعطى واتّقى وصدّق بالحسنى فسينسّره لليسرى، وأمّا من بخل واستغنى وكذّب بالحسنى فسنيسّره للعسرى﴾، فالإعطا، و التقوى، والتصديق، واليسر متوافقة، والبخل، ولازم الاستغناء، وهو الزهد فيما عند الله وعدم التقوى، والتكذيب، والعسر مقابلة لها بالترتيب.

ومن لطيف المقابلة ما حكى عن محمد بن عمران التيمى، إذ قال له المنصور: "بلغنى أنك بخيل"، فقال: "يا أمير المؤمنين! ما أجمد فى حق، ولا أذوب فى باطل".

وزاد السكاكى فى تعريف المقابلة قيدًا آخر؛ حيث قال: "هى أن يجمع بين شيئين متوافقين، أو أكثر، وبين ضدّيهما، ثم إذا شُرط فى المتوافقين، أو أكثر أمر شُرط ثَمَّه، أى فى ما بين الضدّين، أو أكثر، كهاتين الآيتين؛ فإنه لما

جُعل التيسير مشتركًا بين الإعطاء والاتقاء والتصديق جعل ضدّه وهو التعسير أيضًا مشتركًا بين الأضداد، وهى البخل والاستغناء (لازمه وهو عدم التقوى) والتكذيب.

٢- مراعاة النظير

ومنها مراعاة النظير، وتسمى التناسب، والائتلاف، والتوفيق أيضًا.

تعريفها: وهى أن يجمع بين أمر، وما يناسبه (لأجل التوافق، لا لأجل التضاد، وإلا لكان طباقًا) مثالها، كقوله تعالى: ﴿والشمس والقمر بحسبان﴾، فهذا جمع بين الأمرين المتناسبين، ولا تخفى مناسبة الشمس بالقمر.

وقول بعضهم للمُهلّبىّ الوزير: أنت أيّها الوزير إسماعيلىّ الوعد، شُعيبىّ التوفيق، يوسفى العفو، محمدى الخُلق، و قد جمع بين أربعة أمور.

و قد تكون بالجمع بين ثلاثة أمور، كقول البُحترى فى صفة الإبل الأنضاء (الهزال) كالقسىّ المعطّفات، بل الأسهم مبريّة بل الأوتار.

القسى: جمع قوس، والمعطّفات: المنحنيات، والأسهم: جمع سهم، ومُبرّية: منحوتة، والأوتار: جمع وتر، وهو الخيط الجامع بين طرفى القوس.

وقد جمع بين ثلاثة أمور متناسبة، وهى القسى، والأسهم والأوتار، وقول الشاعر:

كأن الثريا علّقت فى جبينه　　وفى خدّه الشعرى وفى وجهه البدر

وقد جمع بين الثريا والشعرى والبدر، ولا تخفى مناسبة هذه الثلاث.

ومن مراعاة النظير ما يسمّيه البعض "تشابه الأطراف" يعنى ليس تشابه

الأطراف قسمًا مستقلا من المحسّنات المعنوية، بل هو داخل فى مراعاة النظير.

تعريف تشابه الأطراف: وهو أن يختم الكلام بما يناسب ابتداءه فى المعنى، يعنى اختتام الكلام بما يناسب ابتداءه فى المعنى، نحو قوله تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾، فإن "اللطيف" يناسب كونه مدركًا للأبصار؛ لأن المدرك للشىء يكون خبيرًا عالمًا به، وهنا مناسبة اختتام الكلام بابتداءه ظاهرة.

وأمّا فى قوله تعالى: ﴿وله ما فى السموات وما فى الأرض وإن الله لهو الغنى الحميد﴾ فالمناسبة خفية؛ لأن معنى "الغنى الحميد" هنا أن ماله تعالى من الأشياء فى السماوات وفى الأرض ليس لحاجته، بل هو غنى عنه جواد، فإذا جاد بالمال حمِدَه المُنعَمِ عليه، أى ليس ما فى السموات وما فى الأرض لله تعالى لأجل حاجته إليها؛ لأنه غنى عنهما، ولذلك يحمده العالم بسبب جوده؛ فإن المعطى للحاجة لا يُحمَد.

ومما يلحق بمراعاة النظير الجمع بين ألفاظ يناسب بعضها بعضًا باعتبار معنى، ولا يناسبه باعتبار معنى آخر، نحو قوله تعالى: ﴿الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان﴾ فإنه جمع بين ألفاظ "الشمس والقمر والنجم والشجر" ولا يناسب المعنى المجازى للنجم (لأن معناه المجازى النبات الذى يظهر من الأرض ولا ساق له) المعنى الحقيقى للشمس والقمر، وأما باعتبار معناه الحقيقى وهو الكوكب فيناسبهما، وكذلك "النجم" باعتبار معناه الحقيقى لا يناسب الشجر، ولكن باعتبار معناه المجازى المذكور يناسب الشجر.

ويسمّى هذا إيهام التناسب، يعنى باعتبار المعنى المجازى لا يناسب النجم الشمس والقمر، ولكن باعتبار وهم إرادة المعنى الحقيقى يناسبهما.

وكذلك لا يناسب النجم الشجر باعتبار وهم المعنى الحقيقى، ولكن يناسبه باعتبار إرادة المعنى المجازى.

٣- الإرصاد

ومنها الإرصاد، ويسمّى التسهيم أيضًا، وهو فى اللغة: نصب المراقب (أى تعيينه) فى الطريق (ليُخبر عمّن يأتى من تلك الطريق) ويقال: بُرد مسهّم أى فيه خطوط مستوية، فالتسهيم: هو جعل الخطوط المستوية فى البرد لزينته.

وفى الاصطلاح: هو أن يجعل قبل العجز (أى الآخر) من الفقرة (فى النثر) أو قبل العجز من البيت (فى النظم) ما يدل على العجز إذا عُرف الروى (أى عرف ما يدل على عجز البيت بعد معرفة رويه) فكأنّ ما قبل العجز يراقب ما بعده أىّ شىء هو، أو لأن فى الإرصاد زينة كالبرد الذى فيه خطوط.

شرح التعريف: والفقرة فى اللغة: حلىّ يصاغ على شكل فقرة الظهر، وفى الاصطلاح: هى فى النثر بمنزلة البيت فى النظم.

مثال الفقرة فى قول الحريرى: "وهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه"، فالجملة الأولى فقرة، والثانية فقرة أخرى.

والروى: هو الحرف الذى يبنى عليه أواخر الأبيات، أو الفِقَر، ووجب تكريره فى كلّ منهما.

مثال الإرصاد فى الفقرة كقوله تعالى: ﴿وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾، فقوله تعالى: ﴿وما كان الله ليظلمهم﴾ يدل على

أن مـادة العـجز من "الظلم"، ومـا يدل عـلى الـروى (هو الواو والنون) فى قـوله تعـالى قـبل هذه الآية: ﴿ادخلوا الجنة بما كنتم تعـملون﴾، ومـثاله فى البيت قول معديكرب:

إذا لم تـسـتطع شـيـئًا فـدعـه　　　وجـاوزه إلى مـا تـسـتطيع

فـفى قـوله: "إذا لم تـسـتطع" إرصـاد؛ لأنه يدل على أن مـادة العـجـز (المصراع الآتى) من الاستطاعة.

٤- المشاكلة

ومنها المشاكلة: وهى فى اللغة: المماثلة، وفى الاصطلاح: ذكر الشىء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته تحقيقًا أو تقديرًا.

مثال الأول (الواقع فى صحبة الغير تحقيقًا) قول الشاعر:

قالوا اقترح شيئًا نجد لك طبخه　　　قلت اطبخوا لى جبّة وقميصًا

أى قلت: خيطوا لى جبّة وقـميصًا، وعُبّر عن خياطة الجبـة بـ "الطبخ" لوقوع الخيـاطة فى صحبة طبخ الطعام حقيقةً، أى لا أريد الطعام بل أريد الثوب، وقوله تعالى: ﴿تعلم ما فى نفسى ولا أعلم مـا فى نفسك﴾ وعُبّر عن ذات الله المقدسة بلفظ "نفسك" لوقوعها فى صحبة "نفسى" حقيقةً.

ومثال الثانى (الواقع فى صحبة غيره تقديرًا)، نحو قوله تعالى: ﴿قولوا آمنّا بالله ومـا أنزل إلينا﴾ إلى قـوله: ﴿صـبـغـة الله ومن أحسن من الله صـبـغـة ونحن له عابدون﴾.

فإن "صبغة الله" مصدر مؤكّد لآمنّا، ومنصوب بفعل مقدر أى صبغنا الله صبغة، والمعنى آمنّا بالله وصبغنا الله بالإيمان صبغةً، لا مثل صبغتكم،

وطهّرنا بالإيمان تطهيراً، لا مثل تطهيركم.

والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمّسون أولادهم فى ماء أصفر يسمّونه "المعمودية"، ويزعمون أنه تطهير لأولادهم، فيكون لفظ "آمنا بالله" مشتملا على تطهير الله لنفوس المؤمنين دالا عليه، فيكون لفظ "صبغة الله" بمعنى تطهير الله مؤكّدا لمضمون "آمنا بالله"، ثم أشار (التفتازانى) إلى وقوع "تطهير الله" فى صحبة ما يعبّر عنه بالصبغ تقديراً بقوله: "والأصل فى ذكر التطهير بلفظ الصبغ أن النصارى إلخ"، فعُبّر عن الإيمان بالله (أى تطهير الله) بصبغة الله للمشاكلة؛ لوقوعه فى صحبة صبغة النصارى تقديراً بقرينة سبب نزول الآية، وهو غمس النصارى أولادهم فى الماء الأصفر بنية التطهير.

٥- الاستطراد

ومنها الاستطراد، وهو الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به، لم يُقصَد بذكر الأول التوصل إلى ذكر الثانى، أى لم يجعل الأول توطئةً للثانى، مثاله كقول الشاعر:

وإنّا لقوم ما نرى القتل سبّةً ... إذا ما رأته عامر وسلول

وقول الشاعر:

إذا ما اتّقى الله الفتى وأطاعه ... فليس به بأس وإن كان من جرم

وعليه (على الاستطراد) قوله تعالى: ﴿يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسًا يّوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير﴾.

قال الزمخشرى: هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقب ذكر بدء السوأة، وخصف الورق عليها إظهاراً للمنة فيما خلق الله من اللباس، ولما فى

العرى وكشف العورة من المهانة والفضيحة، وإشعاراً بأن التستر باب عظيم من أبواب التقوى.

٦- المزاوجة

ومنها المزاوجة، وهى فى اللغة: مصدر من المفاعلة بمعنى جعل شىء زوجًا لآخر بعد ما كان فردًا، أو القران بين أمرين.

وفى الاصطلاح: هى أن يُزاوج بين معنيين فى الشرط والجزاء، أى يرتّب على الجزاء مثل ما رتّب على الشرط، كقول الشاعر:

إذا ما نهى الناهى فلجّ بى الهوى　　أصاخت إلى الواشى فلجّ بها الهجر

أى إذا منع المانع عن حبّها، فزاد ولزمنى حبّها، استمعت المحبوبة إلى النّمام الذى يزيّن كذبه، أى صدّقتِ النّمام فى افتراءه علىّ، فلجّ ولزم بها الهجر والفراق.

وقد زاوج الشاعر بين "نهي الناهى" وبين "أصاخت إلى الواشى" حيث رتّب على الجزاء مثل ما رتب على الشرط من اللجوج، وقول الشاعر:

إذا احتربت يومًا ففاضت دماءها　　تذكّرت القربى ففاضت دُمُوعها

وقد زاوج بين الشرط (احتربت) والجزاء (تذكّرت) حيث رتّب على الجزاء مثل ما رتّب على الشرط، وهو قوله: "ففاضت".

٧- العكس

ومنها العكس، والتبديل، وهو أن يجعل الجزء المقدّم من الكلام

مؤخرًا، والمؤخر مقدّمًا.

وله أنواع:

١- منها أن يقع بين أحد طرفى الجملة، وما أضيف إليه ذلك الطرف، نحو عادات السادات سادات العادات، فطرف الجملة لفظ "عادات" والمضاف إليه لذلك الطرف لفظ "السادات" والمجموع مبتدأ، وعكسه "سادات العادات"، وهو الخبر.

٢- ومنها أن يقع بين متعلقى فعلين فى جملتين، نحو قوله تعالى: ﴿يخرج الحىّ من الميّت ويخرج الميّت من الحىّ﴾ فالفعلان المعطوف عليه والمعطوف، ومتعلّقاهما الحىّ والميّت، فقدّم "الحىّ" فى الأول، وأخر "الميّت"، وعكس (أى قدّم "الميّت"، وأخّر "الحىّ" فى الثانى.

٣- ومنها أن يقع بين لفظين فى طرفى جملتين، نحو قوله تعالى: ﴿لا هنّ حلّ لهم ولا هم يحلّون لهنّ﴾ قدّم فى الجملة الأولى "هنّ" على "هم"، وفى الثانية قدّم "هم" على "هنّ"، وهما لفظان وقع أحدهما فى جانب المسند إليه، والآخر فى جانب المسند، وقول المتنبئ:

فلا مجد فى الدنيا لمن قلّ ماله ... ولا مال فى الدنيا لمن قلّ مجده

٨- الرجوع

ومنها الرجوع، ومعناه لغةً: العود، واصطلاحًا: هو العود إلى الكلام السابق بنقضه وإبطاله لنكتة، كقول الشاعر:

قف بالديار التى لم يعفُها القدم ... بلى وغيّرها الأرواح والديم

أى توقّف بالديار التى لم يُبلها قدم العهد، بلى وقد أبلاها وغيّرها

الرياح والأمطار، أثبت أولا أن تلك الديار لم تتغيّر بسبب تقادم العهد، وتطاول الأزمان، ثم رجع، وقال: بلى قد تغيّرت لأجل كثرة الرياح والأمطار، فنقض كلامه الأول، وهو عدم التغيّر، وأثبت لها التغيّر بأسباب أخر.

٩- التورية

ومنها التورية، وسمّى الإيهام أيضًا، وهى لغةً: مصدر من ورى الخبر إذا ستره، وأظهر غيره، كأنه جعله وراء ظهره لأجل ستره.

واصطلاحًا: هى أن يذكر لفظ، له معنييان: قريب وبعيد، ويراد به المعنى البعيد؛ لأجل قرينة خفيّة تدلّ عليه.

أنواع التورية: وهى ضربان: الأولى: المجردة، وهى التى لم يذكر فيها شىء من لوازم المعنى القريب، نحو قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾.

وللاستواء معنيان: قريب: وهو الاستقرار فى المكان، وبعيد: وهو الاستيلاء والملك، وهذا المعنى البعيد، هو المراد هنا؛ لأنه لم يذكر معه شىء مما يلائم المعنى القريب.

والثانية: المرشّحة: وهى التى ذُكِر فيها شىء من لوازم المعنى القريب، نحو قوله تعالى: ﴿والسماء بنيناها بأيدٍ﴾، وأريد من "اليد" المعنى البعيد، وهو القدرة، وقد ذكر البناء الذى يلائم المعنى القريب، وهو الجارحة المخصوصة، وهذا (أى إرادة المعنى البعيد، وجعله توريةً فى المثالين) مبنى على ما اشتهر بين أهل الظاهر (أهل التأويل) من المفسّرين، وإلا فالتحقيق أنّ هذا تمثيل، وبيان لعظمته تعالى من غير أن يتكلّف للمفردات حقيقة أو مجاز.

١٠- الاستخدام

ومنها الاستخدام: وهو فى اللغة: طلب الخدمة، وفى الاصطلاح: هو أن يراد بلفظ، له معنيان بظاهره معنًى، وبالضمير الراجع إليه معناه الآخر، أو يراد بأحد الضميرين الراجعين إليه معنًى، وبالضمير الآخر معناه الآخر.

مثال الأول (هو أن يراد بظاهره معنى، وبضميره معناه الآخر): قول الشاعر:

إذا نزل السماء بأرض قوم ... رعيناه وإن كانوا غضابا

أراد بالاسم الظاهر (السماء) الغيث، وبضميره فى "رعيناه" النبت، وكلاهما معنى مجازى للسماء.

ومثال الثانى (وهو أن يراد بأحد الضميرين أحد المعنيين، وبالضمير الآخر معناه الآخر)، كقول الشاعر:

فسقى الغضا والساكنيه وإن هم ... شبّوه بين جوانحى وضلوعى

شرح الغريب: الغضا: نوع من الشجر، وجوانح: جمع جانحة، هى الأضلاع التى تحت الترائب مما يلى الصدر، وضلوع: هى الأضلاع مما يلى الظهر.

معنى الشعر: سقى الله شجر الغضا، والذين يسكنون فى مكانه وجواره، وإن كان هؤلاء الساكنون أوقدوا نار ذلك الشجر بين أضلاعى، أى فى قلبى، فأراد الشاعر بأحد ضميرى الغضا (وهو الضمير المجرور فى "الساكنيه") المكان الذى فيه شجر الغضا، وبالآخر (أعنى الضمير المنصوب فى "شبّوه") النار الحاصلة من شجر الغضا، وكلاهما معنى مجازى.

التمرين

١- عرّف المطابقة، ثم اذكر صور الجمع بين المتضادّين مع الأمثلة.

٢- مثّل لطباق الإيجاب، وطباق السلب.

٣- بيّن معنى "التدبيج" لغةً واصطلاحًا، واذكر مثالا للتدبيج لقصد الكناية.

٤- ما هما الأمران الملحقان بالطباق؟ بيّنهما.

٥- أظهر محل الاستشهاد فى قول الشاعر الآتى:

لا تعجبى يا سَلْمَ من رجل ... ضحك المشيب برأسه فبكى

٦- اذكر مثالا لمقابلة الأربعة بالأربعة.

٧- ما هو محل الاستشهاد فى قول الشاعر؟

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا ... وما أقبح الكفر والإفلاس بالرجل

٨- اكتب تعريف مراعاة النظير مع المثال.

٩- ما هو تشابه الأطراف؟ اشرحه، ومثّل له.

١٠- كيف يلحق بمراعاة النظير قوله تعالى: ﴿والشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان﴾؟

١١- ما هو مفهوم الإرصاد لغةً واصطلاحا؟

١٢- بين وجه إيراد الشعر الآتى:

قالوا اقترح شيئًا نَجُد لك طبخه ... قلت اطبخوا لى جبّة وقميصًا

١٣- ما ذا فهمتَ من الاستطراد؟ بيّنه.

١٤- ما هى المزاوجة عند علماء البديع؟

١٥ - اكتب الأنواع الثلاثة للعكس.

١٦ - ما هو محل الاستشهاد فى قول الشاعر:

قف بالديار التى لم يعفُها القدم ... بلى وغيّرها الأرواح والديم

١٧ - مثّل لنوعى التورية (المجردة والمرشّحة).

١٨ - عرّف الاستخدام، واذكر مثالا لقسميه.

١١- اللفّ والنشر

ومنها اللفّ والنشر: وهو ذكر أمور متعددة تفصيلا، أو إجمالا، ثم ذكر ما يناسب كل واحد منها من غير تعيين ثقةً بأن السامع يردّ كل واحد إلى ما يليق به.

أمّا الأول (ذكر الأمور المتعددة تفصيلا): فعلى ضربين: ١- أن يكون النشر على ترتيب اللفّ، بأن يكون الأول من النشر للأول من اللف، والثانى للثانى، وهكذا.

مثاله قوله تعالى: ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله﴾، ذكر الله تعالى الليل والنهار على التفصيل، ثم ذكر ما لكل واحد منهما من السكون فى الليل، والابتغاء فى النهار.

٢- وأن يكون النشر على غير ترتيب اللفّ، كقول الشاعر:

كيف أسلو وأنتِ حقف وغصن ... وغزال لحظًا وقدّا وردفًا

فاللحظ للغزال، والقدّ للغصن، والردف للحقف (والحقف: هو الرمل المجتمع المستدير) أى أنت كالغزال فى اللحاظ، والنظر بطرف عينك، وكالغصن فى القدّ، وكالحقف فى كثرة لحم أليتك ولينهما.

وأمّا الثانى (وهو ذكر المتعدد إجمالا) : فمثاله قوله تعالى : ﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى﴾ ، فإن الضمير فى "قالوا" لليهود والنصارى ، فذكر الفريقين على طريق الإجمال بدون التفصيل ، ثم ذكر ما لكل منهما ، أى قالت اليهود : لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا ، وقالت النصارى : لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى ، فلفّ (جمع) بين الفريقين إجمالا لعدم الالتباس ، وثِقةً بأ السامع يردّ كل واحد إلى ما يناسبه ، ولعلم السامع بتضليل كل فريق صاحبه ، وادّعاءه أنه يدخل الجنة فقط دون صاحبه .

١٢- الجمع

ومنها الجمع : وهو أن يجمع بين شيئين أو أشياء فى حكم واحد ، كقوله تعالى : ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ ، وقد جمع بين المال والبنين فى كونهما زينةً للحياة الدنيا ، وقول الشاعر :

إن الفراغ والشباب والجدّه   مفسدة للمرء أى مفسده

أى الفراغ عن المشاغل والمصائب ، وقوةالشباب والغنى والثراء ، داعية للمرء إلى الفساد على وجه الكمال ، وقد جمع الشاعر بين الثلاث فى كونها سببًا لفساد المرء .

وقول الشاعر :

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها   شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر

وقد اشترك الثلاث فى إشراق الدنيا .

١٣- التفريق

ومنها التفريق : وهو إيقاع التباين بين أمرين من نوع واحد فى المدح ، أو غيره ، كقوله تعالى : ﴿كذّبت ثمود وعاد بالقارعة ، فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية ، وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية﴾ ، وكقول الشاعر :

ما نوال الغمام وقت ربيع   كنوال الأمير يوم سخاء
فنوال الأمير بدرة عين   ونوال الغمام قطرة ماء

النوال : العطاء ، وبدرة عين : قطعة ذهب ، فقد أوقع الشاعر التباين بين نوال الأمير ، ونوال الغمام ، مع أنهما نوع واحد ، وهو مطلق النوال ، وقول الشاعر :

من قاس جدواك بالغمام فما   أنصف فى الحكم بين شكلين
أنتَ إذا جدت ضاحك أبدًا   وهو إذا جاد دامع العين

١٤- التقسيم

ومنها التقسيم : وهو ذكر متعدد أولا ، ثم إضافة ما لكل واحد إليه على التعيين ثانيًا ، بخلاف النشر بعد اللفّ ؛ فإنه لا يكون فيه إضافة ما لكل واحد إليه على التعيين ، بل يفوّض الإضافة إلى علم السامع ، كقول الشاعر :

ولا يقيم على ضيم يراد به   إلا الأذلان عير الحىّ والوتد
هذا على الخسف مربوط برمّته   وذا يشجّ فلا يرثى له أحد

أى لا يقيم ولا يصبر أحد على ظلم يراد به إلا الأذلان ، وهما حمار

القبيلة، والوتد الذى يربط به الحمار، فالحمار مربوط مع الذلّ بقطعة حبل بالية، والوتد يُدقّ ويشجّ رأسه، فلا يرق ولا يرحم عليه أحد.

ذكر العير (الحمار) والوتد، ثم أضاف إلى الأول الربط على الخسف والذل، وأضاف إلى الثانى الشجّ على التعيين.

١٥- الجمع مع التفريق

ومنها الجمع مع التفريق: وهو أن يُدْخَلَ شيئان فى معنى واحد، ويُفرّق بين جهتى الإدخال، نحو قوله تعالى: ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين، فمحونا آية الليل، وجعلنا آية النهار مبصرة﴾، وكقول الشاعر:

فوجهك كالنار فى ضوءها ... وقلبى كالنار فى حرّها

جَمع القلب والوجه فى التشبيه بالنار، ثم فرّق فى جهة التشبيه، بأن الوجه كالنار فى الضوء، والقلب كالنار فى الحرارة.

١٦- الجمع مع التقسيم

ومنها الجمع مع التقسيم: وهو جمع متعدد تحت حكم، ثم تقسيمه، أو تقسيم متعدد، ثم جمعه.

مثال الأول كقول الشاعر:

حتى أقام على أرباض خرشنة ... تشقى به الروم والصلبان والبيع

للسّبى ما نكحوا والقتل ما ولدوا ... والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا

أى قاد سيف الدولة عساكره حتى أقام بأطراف ونواحى بلدة اسمها

خرشنة ، ووقع بسببه فى المشقة أهل الروم، وأهل الصليب، وأهل المعابد مع أن هؤلاء ما نكحوا أزواجهم للسّبى، وما ولدوا للقتل، وما جمعوا أموالهم للنهب، وما زرعوا مزارعهم للإحراق، جمع فى البيت الأول شقاء الروم بالممدوح (سيف الدولة)على سبيل الإجمال، حيث قال: وتشقى به الروم، ثم قسم فى الثانى وفصّل، فقال: للسبى إلخ.

مثال الثانى (التقسيم ثم الجمع) كقول الشاعر:

قوم إذا حاربوا ضرّوا عدوّهم   أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا
سجيّة تلك منهم غير مُحْدَثِة   إن الخلائق فاعلم شرّها البدع

أى هم قوم إذا أرادوا حرب العدوّ ضرّوا عدوهم، أو إذا أرادوا النفع فى أتباعهم نفعوهم، وتلك منهم طبيعة وغريزة قديمة، وليست بجديدة ومحدثة، فإن شر الأخلاق حديثها وجديدها، أى التى تتبدّل وقتًا فوقتًا، فقسم الشاعر فى البيت الأول صفة الممدوحين إلى ضرّ الأعداء ونفع الأولياء، ثم جمعها فى البيت الثانى بقوله: سجية تلك.

١٧- الجمع مع التفريق والتقسيم

ومنها الجمع مع التفريق والتقسيم: وهو أن يجمع بين متعدد فى حكم، ثم يوقع التباين بينهما، ثم يضاف إلى كل واحد ما يناسبه، كقوله تعالى: ﴿يوم يأتى لا تكلّم نفس إلا بإذنه، فمنهم شقى وسعيد، فأما الذين شقوا ففى النار، لهم فيها زفير وشهيق، خالدين فيها ما دامت السموات والأرض، إلا ما شاء ربك، إن ربك فعّال لما يريد، وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاءً غير مجذوذ﴾.

١- أمّا الجمع: ففى قوله تعالى: ﴿يوم يأتى لا تكلّم نفس إلا بإذنه﴾.

فإن قوله : "نفس" متعدد معنًى ؛ لأن النكرة فى سياق النفى تعمّ .

٢-وأما التفريق : ففى قوله تعالى : ﴿فمنهم شقى وسعيد﴾ .

٣- وأمّا التقسيم : ففى قوله : ﴿فأما الذين شقوا﴾ إلى آخر الآية الثانية .

المعنيان الآخران للتقسيم

وللتقسيم (الذى من المحسّنات المعنوية) معنيان آخران : **الأول**: أن يذكر المتعدد ويُذكر مع كل واحد ما يناسبه ، كقول الشاعر :

سأطلب حقّى بالقنا ومشايخ كأنّهم من طول ما التثموا مُرَدٌ[1]

ثقال إن لاقوا خفاف إذا دعوا كثير إذا شدّوا قليل إذا عدّوا

غريب الشعر : القنا : الرماح ، التثموا : أى غطّوا وجوههم لئلا يعرفهم العدوّ ، مرد : جمع أمرد ، وهو من لم تنبت لحيته .

أى أطلب حقى باستعانة الرماح وبمشايخ هم كالمرد لكثرة تغطية وجوههم ، وهم ثقال وأقوياء عند لقاء العدوّ ، وخفاف إذا دعوا إلى كفاية مهمّ ودفاع ، وكثير إذا هجموا على العدوّ ، وقليل عند استكشاف عددهم .

فذكر المتعدد ، وهو أحوال المشايخ ، ثم أضاف إلى كلّ حال ما يناسبها ، بأن أضاف إلى الثقل حال الملاقاة ، وإلى الخفة حال الدعاء ، وأضاف إلى الكثرة حال الشدّة ، وإلى القلّة حال العدّ .

والثانى: استيفاء أقسام الشىء بالذكر ، أى ذكر جميع أقسام الشىء ، كقوله تعالى : ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله﴾ ، فجعل العباد ثلاثة أقسام ، وقوله تعالى : ﴿يَهبُ لمن يشاء إناثًا ويَهبُ لمن يشاء الذكور ، أو يزوجهم ذكرانًا وإناثًا ويجعل من يشاء عقيمًا﴾ ، فالإنسان المتزوج لا يخلو

---

(١) جمع الأمرد : الولد الذى لم تنبت لحيته بعد .

عن هذه الأربعة .

٨ ١- التجريد

ومنها التجريد : وهو لغةً : إزالة الشيء عن غيره ، واصطلاحًا : هو أن ينتزع من أمر ذى صفة أمر آخر مثله فى تلك الصفة ؛ لإفادة المبالغة ، بادّعاء كمال تلك الصفة فى ذلك الأمر .

مثاله : " لى من فلان صديق حميم " أى بلغ فلان من الصداقة مبلغًا صحّ معه أن ينتزع منه صديق آخر مثله فيها ، أى هو كالصّديقين .

أقسام التجريد

وله أقسام : ١- منها ما يكون بـ " من " التجريدية ، نحو قولهم : " لى من فلان صديق حميم " يعنى بلغ فلان من الصداقة مبلغًا صحّ معه أن يستخلص (وينتزع) منه صديق آخر مثله فيها ، أى هو يساوى الاثنين فى الصداقة .

٢- ومنها ما يكون بالباء التجريدية الداخلة على المنتزع منه ، نحو قولهم : " لئن سألتَ فلانًا لتسألنّ به البحر " ، فقد بالغ (المتكلم) فى اتّصاف الفلانى بالسماحة ، حتى انتزع منه بحرًا فى السماحة .

٣- ومنها ما يكون بدخول باء المعية على المنتزع ، كقول الشاعر :

وشوهاء تعدو بى إلى صارخ الوغى   بمستلئم مثل الفنيق المرحّل

غريب الشعر : شوهاء : فرس قبيحة المنظر ، وتعدو : تسرع ، وصارخ الوغى : المستغيث فى الحرب ، ومستلئم : لابس لأمة ، أى لابس درع ، والباء

فيى "بمستلئم" بمعنى مع، والفنيق: الفحل المكرّم، والمرحّل: البعير الذى أطلق وأرسل عن مكانه.

يريد الشاعر أنها (الفرس) تعدو بى، ومعى من نفسى مستعدّ آخر للحرب، فقد بالغ فى استعداده للحرب، حتى انتزع منه مستعدًا آخر.

٤- ومنها ما يكون بدخول "فى" على المنتزع منه، نحو قوله تعالى: ﴿لهم فيها دار الخلد﴾، فإن جهنّم -أعاذنا الله منها- هى دار الخلد، لكن أُنتزِع منها دار مثلها، وجُعلت معَدّة فيها للكفار تهويلا لأمرها، ومبالغةً فى اتصافها بالشدّة.

٥- ومنها ما يكون بدون توسّط حرف، كقول الشاعر:

فلئن بقيتُ لأرحلنّ بغزوة ... تحوى الغنائم أو يموت كريم

أراد بالكريم نفسه، وقد انتزع من نفسه كريمًا آخر للمبالغة فى كرمه، يعنى أو يموت منى كريم.

٦- ومنها ما يكون بطريق الكناية، كقول الشاعر:

يا خير من يركب المطىّ ولا ... يشرب كأسًا بكفّ من بخلا

يريد أن الممدوح يشرب الكأس بكفّ الجواد، فقد انتزع من المخاطب الممدوح جوادًا يشرب الممدوح بكفّه على سبيل الكناية؛ لأنه إذا نفى عنه الشرب بكف البخيل، فقد أثبت له الشرب بكفّ الكريم، ومن الظاهر أنه يشرب غالبًا بكف نفسه، فهو حينئذٍ ذلك الكريم.

٧- ومنها ما يكون بمخاطبة الإنسان نفسه، كقول الشاعر:

ودّع هريرةَ إن الركب مرتحل ... وهل تطيق وداعًا أيّها الرجل

كأنه انتزع من نفسه رجلا آخر، فخاطبه بقوله: "أيّها الرجل"، وقول أبى الطيب:

لا خيل عندك تُهديها ولا مال ... فليُسعد النطق إن لم يُسعد الحال

أراد بالحال الغنى ، فكأنه انتزع من نفسه شخصًا آخر مثله فى فقد الخيل والمال ، وخاطبه بقوله : عندك .

١٩- المبالغة المقبولة

ومنها المبالغة المقبولة ؛ لأن المبالغة المردودة لا تكون من المحسنات .

تعريف المبالغة: وهى أن يدّعى لبلوغ وصفٍ فى ا لشدّة ، أو الضعف حدّا مستحيلا ، أو مستبعدا ، لئلا يظنّ أنه غير متناهٍ فى الشدّة ، أو الضعف .

أقسام المبالغة

. وتنحصر المبالغة فى ثلاثة أقسام : التبليغ ، والإغراق ، والغلوّ .

١ - التبليغ : هو أن يكون دعوى الوصف بالشدّة ، أو الضعف فى شىء ممكنا عقلا وعادةً ، كقول الشاعر :

فعادى عداء بين ثور ونعجة ... دراكًا فلم ينضح بماء فيغسل

فقد وصف فرسه ، بأنه أدرك ثورًا وبقرةً وحشيين فى مضمار واحد ، ولم يعرق حتى يُغسَلَ ، وذلك غير ممتنع عقلا وعادةً ، أى أسرع الفرس إسراعًا متواليًا بين الثور والنعجة ، حتى أصرعهما فى مرة واحدة ، ولم يعرق ولم يحتج إلى الغسل عن أوساخ العرق .

٢- الإغراق : هو أن يكون الوصف بالشدّة ، أو الضعف ممكنًا عقلا ، لا عادةً ، كقول الشاعر :

ونكرم جارنا ما دام فينا ... ونتبعه الكرامة حيث مالا

أى نكرم جارنا حيث كان فينا، ونرسل أسباب الكرامة على أثره، وخلفه حيث غاب، وذهب عنّا، وهذا ممكن عقلا، ولكن ممتنع عادةً لغلبة الشحّ على الناس، فإنه ادعى أن جاره لا يميل عنه إلى جهة، إلا وهو يتبعه بالكرامة، وهما(التبليغ والإغراق) مقبولان عند البلغاء، فهما من المحسّنات البديعية.

٣- الغلوّ: هو أن لا يُكون الوصف بالشدّة، أو الضعف ممكنًا، لا عقلا، ولا عادةً، كقول الشاعر:

أخفتَ أهل الشرك حتى إنه لتخافك النطف التى لم تخلق

فمخافة النطف فى الأرحام غير ممكن عقلا وعادةً.

أنواع المقبول من الغلوّ

والمقبول منه أصناف:

١- منها: ما أدخل عليه ما يقرّبه إلى الصحة، نحو قوله تعالى: ﴿لا يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار﴾، فلفظة "يكاد" جعلت الغلوّ أقرب إلى الصحة ومقبولا؛ فإن إضاءة الزيت قبل مسّ النار غير ممكن عقلا وعادةً، ولكن لما زيدت لفظة "يكاد" صارت ممكنًا عقلا وعادةً؛ فإن صفاء الزيت حتى يكون كالمصباح، وقريبًا منه لا ينكر، فإن المحال القريب الوقوع يجعله الوهم واقعًا وممكنًا.

٢- ومنها: ما تضمّن نوعًا حسنًا من التخييل، كقول الشاعر:

عَقَدَتْ سنابكها عليها عثيرًا لو تبتغى عنقًا عليه لأمكنا

أى جمعت حوافر الخيل الجياد على رؤوسها غبارًا كثيرًا، حتى لو

تطلب الجياد، وتريد سيراً سريعًا على هذا الغبار لأمكن هذا السير.

فالعنق: نوع من السير وهو السريع منه، فإن العنق محلّ ظهور سرعة السير فى الخيل والإبل، والعثير: الغبار.

وادعى الشاعر تراكم الغبار المرتفع من سنابك الخيل (حوافرها) فوق رؤوسها بحيث صار أرضًا يمكن سير الخيل عليها، وهذا ممتنع عقلا عادةً، ولكنّه تخييل حسن عند الشعراء.

٣- وقد يجتمع هذان الوجهان (من الغلوّ)، كما جمع القاضى الأرجانىّ بينهما فى قوله يصف الليل بالطول:

يخيّل لى أن سُمِّرَ الشُّهُبُ فى الدجى   وشدّت بأهدابى إليهنّ أجفانى

يُوقع فى خيالى أن الشهب محكمة بالمسامير، لا تزول عن مكانها، وأن أجفان عينى قد شدّت بأهدابها (أشعارها) إلى الشهب لطول ذلك الليل، وغاية سهرى فيه، وهذا تخييل حسن، ولفظ "يُخيّل" يزيده حسنًا.

٤- ومنها ما أخرج مخرج الهزل والخلاعة (عدم المبالاة بما يقول) كقول الشاعر:

أسكر بالأمس إن عزمت   على الشرب غدًا إنّ ذا من العجب

هذا مبالغة فى شغف الشاعر بالشرب، فادعى أن حرصه على الشرب وصل إلى حدّ لو أنه أراد الشرب فى الغد، فيسكر بالأمس قبل مجيء الغد، وقبل الشرب، ولا شك أن سكره بالأمس عند عزمه على الشرب غدًا محال عقلا وعادةً، ولكن لمّا كان الكلام أخرِج مخرج الهزل والخلاعة كان ذلك الغلوّ مقبولا.

٢٠- المذهب الكلامى

ومنها المذهب (الأسلوب) الكلامى فى الاستدلال على شيء.

تعريف المذهب الكلامى : هو أن يورد المتكلم حجة لما يدّعيه على طريق أهل الكلام، أى على أسلوب علماء الكلام، وطريقهم، وهو أن يكون الدليل بعد تسليم المقدمات مستلزمًا للمطلوب (سواءكان دليلا اقترانيًا أو استثنائيًا) مثاله قوله تعالى : ﴿لو كان فيهما آلهةٌ إلا الله لفسدتا﴾، واللازم (الجزاء) هو فساد السموات والأرض باطل؛ لأن المراد بفسادهما خروجهما عن النظام الذى هما عليه، فكذا الملزوم (الشرط) وهو تعدد الإلهة.

يقول التفتازانى رحمه الله تعالى بضوء فكرته الفلسفية : "وهذه الملازمة من المشهورات التى يكتفى بها فى الخطابيات (الظنيات) دون القطعيات المعتبرة فى البرهانيات".

ويكفيه أولا ما أصدروا عليه من الإفتاء الذى لا حاجة إلى ذكره، كما هو مذكور فى "المسامرة"[1] شرح "المسايرة" من (صـ٥٢ إلى صـ٦١).

وثانيًا : أن هذه الملازمة من الإلهيات التى اكتفى بها رسل الله فى إثبات وحدانيته، ونفى أىّ شريك له، وهى عندهم وعند من يؤمن بهم أجلى من القطعيات التى يأخذ بهاالفلاسفة، وأهل الكلام.

والمثال الثانى لمذهب الكلامى قول الشاعر :

حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبة ... وليس وراء الله للمرء مطلب
لئن كنتَ بُلِّغتَ عنى خيانة ... لمبلّغك الواشى أغشّ وأكذب
ولكنّنى كنت امرءً لى جانب ... من الأرض فيه مستراد ومذهب
ملوك وإخوان إذا ما مدحتُهم ... أُحكَّمُ فى أموالهم وأقرَّبُ
كفعلك فى قوم أراك اصطنعتهم ... فلم ترهم فى مدحك أذنبوا

حاصل الشعر : أى حلفتُ بالله وأزلت ريبك؛ فإن المرء لا يحلف بالله

---

(١) "المسامرة" لكمال الدين محمد بن محمد المعروف بـ"أبى شريف المحقق المتوفى "٩٠٥هـ"، و "المسايرة" لابن الهمام المتوفى ٦٨١هـ.

كاذبًا، ولئن وصل إليك من جانبى خيانة، فو الله لمبلّغ تلك الخيانة أكثر خيانة، وأكذب الناس، ولكن أنا امرء أطلب رزقى فى جانب من الأرض، وأذهب إلى حاجاتى، وفى ذلك الجانب ملوك وإخوان إذا مدحتهم أتصرّف فى أموالهم، وأكون قريبًا منهم، كما إذا أحسنتَ إلى قوم فمدحوك لا يكون مدحهم ذنبًا، فكذلك مدحى لآل جفنة لا يكون ذنبًا، فهذا من قبيل التمثيل الذى قد يستدلّ به أهل الكلام.

التمرين

١- عرّف اللفّ والنشر، وبيّن أقسامه مع الأمثلة.

٢- ما هو الشاهد فى قول الشاعر؟

إن الفراغ والشباب والجدّه ... مفسدة للمرء أى مفسده

٣- ما هو التفريق؟ اذكر له مثالا من القرآن الكريم.

٤- ما هو محلّ الاستشهاد فى قول الشاعر؟

ما نوال الغمام وقت ربيع ... كنوال الأمير يوم سخاء

فنوال الأمير بدرة عين ... ونوال الغمام قطرة ماء

٥- اشرح الأبيات الآتية، ثم بين محل الاستشهاد:

ولا يقيم على ضيم يراد به ... إلا الأذلان عير الحىّ والوتد

هذا على الخسف مربوط برمّته ... وذا يشجّ فلا يرثى له أحد

٦- مثّل للجمع مع التفريق من كلام الله تعالى، ومن كلام الشعراء الفصحاء.

٧- لما ذا جىء بهذا البيت؟

حتى أقام على أرباض خرشنة تشقى به الروم والصلبان والبيع
للسبى ما نكحوا والقتل ما ولدوا والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا

٨- اشرح هذا المصراع :

"إن الخلائق فاعلم شرها البدع"

٩- قدّم مثالا للجمع مع التفريق والتقسيم .

١٠- عرّف التجريد ، واذكر أقسامه السبعة إجمالا .

١١- اذكر أقسام المبالغة ، ومثّل للمقبول منها .

١٢- كم نوعًا للمبالغة المقبولة اذكرها .

١٣- ما هو المذهب الكلامى مثّل له .

١٤- هل توافق التفتازانى رحمه الله تعالى فى جعله قوله تعالى : ﴿لو كان فيهما آلهةٌ إلا الله لفسدتا﴾ برهانًا مشهوريًا وظنيًا؟

٢١- حسن التعليل

ومنها حسن التعليل : وهو أن يدعى لوصف علّة مناسبة له ، مع أنّها لا تكون علّة حقيقية لذلك الوصف ، بل تكون علّيتها باعتبار العقل وتأويله ؛ إذ ذكر العلّة الحقيقية لا يكون أمرًا عجيبًا ، حتى يكون من المحسّنات البديعية ، كما تقول : قتل فلان أعداءه لدفع ضررهم ، فإنه ليس فيه شيء من حسن التعليل ، بل الحسن فى أنه قتلهم لأجل إيفاء العهد مع الذئاب .

أقسام حسن التعليل

وله أربعة أقسام : **الأول:** أن تكون الصفة التى قُصد بيان علّتها ثابتة ،

ولا يظهر لها علة فى العادة، كقول الشاعر:

لم يحك نائلك السحاب وإنّما حمّت به فصبيبها الرحضاء

يقول الشاعر فى مدح سخاء الممدوح، وأنه لا مثل له: "لم تحك السحاب بنزول المطر كثرة عطاءك، بل إنما صارت محمومةً بسبب كثرة عطاءك، وحياءها أمام سخاءك، فيصبّ منها العرق"، فأثبت أن علّة نزول المطر هى خجالتها عن عطاء الممدوح، فإن نزول المطر لا يظهر له علة فى العادة، وإن لم تخل عن العلة حقيقةً، ونزول المطر لأجل حياء السحاب عن الممدوح ليس أمرًا واقعيًا، بل أمر ادّعائى، وفيه حسن معنوى.

الثانى: أن تكون تلك الصفة ثابتةً، ويظهر لها فى العادة علة غير العلة المذكورة معها؛ ليتحقق حسن التعليل بذكر ا لعلة غير الحقيقة وغير العادية، كقول الشاعر:

ما به قتل أعاديه ولكن يتّقى إخلاف ما ترجو الذئاب

أى ليس بالممدوح رغبة قتل الأعداء لأجل دفع مضرتهم، بل لاتّقاء إخلاف الوعد، فإن العلّة العادية والحقيقية لقتل الأعداء هو دفع مضرّتهم، وإخلاء المملكة عن منازعتهم، والعلة المذكورة مع وصف القتل، هو اتّقاء خلف الوعد مع الذئاب؛ لأن الممدوح إذا توجّه إلى الحرب صارت الذئاب ترجو اتّساع الرزق بكثرة لحوم من يقتل من الأعادى، وفى هذا مع كونه وصفًا بكمال الجود وصف بكمال الشجاعة، حتى ظهرت للحيوانات أيضًا.

والثالث: أن لا تكون تلك الصفة ثابتةً، ولكن كانت ممكنة، كقول الشاعر:

يا واشيًا حَسُنَتْ فينا إساءته نجّى حذارك إنسانى من الغرق

أيّها الواشى والنمّام الذى حسُنت إساءته فينا قد نجّى خوفى منك إنسان عينى من الغرق فى الدموع لأجل البكاء.

والحاصل : أن استحسان إساءة الواشى ممكن (وإن كان غير واقع) لكنه لمّا خالف الناسَ فيه عقّبه بذكر علّته ، وهو أن حذاره وخوفه من الواشى منعه من البكاء ، فسَلِم إنسان عينه من الغرق فى الدعوع ، حيث ترك البكاء ، فصار استحسان الإساءة علّة موجبةً للحسن .

والرابع: أن لا تكون ثابتة ، ولا ممكنة كقول الشاعر[١] فى ترجمة بيت فارسى[٢] .

"لو لم تكن نية الجوزاء خدمته   لما رأيتَ عليها عِقد منتطق"

أى عقدا من شدّ النطاق على وسطها ، المنتطق : هو الذى شدّ النطاق على وسطه .

ويظنّ علماء الهيئة القدماء أن حول كوكب الجوزاء كواكب صغار يقال لها : نطاق الجوزاء ، فبناءً على هذا الزعم يبالغ الشاعر فى المدح ، ويقول : "لو لم تكن" إلخ .

فنية الجوزاء خدمة الممدوح صفة غير ممكنة ؛ لأن النية إنما تكون من العاقل ، وعلّل لها الشاعر شدّ النطاق على وسط الجوزاء .

فلفظه "لو" للاستدلال بانتفاء الثانى (الجزاء) على انتفاء الأول (الشرط) يعنى عدم رؤية عقد النطاق على وسط الجوزاء باطل ، فعدم نية الجوزاء خدمة الممدوح أيضًا باطل .

والخامس: ما يلحق بحسن التعليل ، وليس منه -لأن بناءه على الشكّ- مثاله كقول الشاعر :

رُبَّى شفعت ريح الصبا لرياضها   إلى المزن حتى جادها وهو هامع

---

(١) القزوينى نفسه .

(٢) (گر نبودى قصدِ جواز خدمتش   كس نديدى بر ميانِ او كمر)

كأنّ السحاب الغرّ غيّبن تحتها حبيبًا فما ترقأ لهن مدامع

غريب الأبيات: الربى: جمع ربوة، وهى التلّ المرتفع، والمزن: جمع مزنة، وهى السحابة البيضاء، والهامع: المنصبّ بكثرة، والغرّ: جمع الأغرّ، وهى السحاب الغزيرة الماء، وضمير "تحتها" للربى، ورقأ الدمع: سكَن.

شرح الأبيات: شفعت ريح الصبا إلى المزن لأجل الرياض الواقعة فى المواضع المرتفعة حتى جاد المزن لها، وهو مصبّ ماءه فى تلك الرياض، وتمطر السحاب (المزن) كثيرًا كأن تلك السّحاب الغرّ أخفين تحت الربى حبيبًا، فما تسكن دموع السّحاب لأجله.

أثبت الشاعر على سبيل الشك (بكلمة "كأنّ") لنزول المطر من السّحاب علّة، بأنها غيّبن حبيبًا تحت تلك الربى، فهى (السحاب) تبكى على الحبيب.

٢٢- التفريع

ومنها التفريع: وهو لغةً: جعل الشىء فرعًا لغيره، واصطلاحًا: أن يُثْبَتَ حكم لأحد متعلقى أمر، ثم يُثْبَت ذلك الحكم لمتعلقه الآخر، كما فى قول الشاعر:

أحلامكم لسقام الجهل شافية كما دماءكم تشفى من الكَلَب

الكَلَب: داء شبه الجنون، يحدث من عضّ الكلب المجنون، ولا دواء له (فى زعم أهل الجاهلية) سوى شرب دم الملوك، فبناء على هذا قال الشاعر هذا الكلام.

والمراد بالحكم هنا الشفاء، وبالأمر الملوك، وبأحد المتعلقين الأحــلام،

وبالآخر الدماء، ففرّع على وصفهم بشفاء أحلامهم من داء الجهل وصفهم بشفاء دمائهم من داء الكَلَب، أي ذكر هذا الوصف بعد الوصف الأول، وليس المراد التفريع الأصولي.

والحاصل: أنكم أصحاب العقول، وأصحاب السلطنة والمملكة.

٢٣- تأكيد المدح بما يشبه الذم

وهو ضربان: الأول -وهو أفضلهما-: أن يُستثنى من صفة ذمٍ منفية عن الشيء صفة مدح لذلك الشيء على تقدير وفرض دخول صفة المدح فى صفة الذم، كقول الشاعر:

لا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قرع الكتائب

الفلول: جمع فلّ، وهو الكسر فى حدّ السيف.

القراع: الضرب بالسيوف من الجانبين.

الكتائب: الجيوش.

فالمشابهة بالذم بسبب إدخال فلول السيف فى العيب، ثم إخراجه بالاستثناء المتصل الذى هو الأصل فى الاستثناء، والمدح بسبب نفى العيوب عنهم، وتأكيد المدح لأجل جعل الاستثناء منقطعًا و بسبب أن فلول السيف كناية عن الشجاعة، ففى "لا عيب فيهم" مدح، وفى "غير أن سيوفهم" شبه الذمّ على تقدير دخول "فلول السيف" فى العيوب، وفى كونه كنايةً عن الشجاعة تأكيد المدح، وهذا كدعوى الشيء ببينة، يعنى ليس فيهم عيب؛ لأن فى سيوفهم فلولا إلخ.

والثانى: أن يثبت لشيء صفة مدح، ثم يذكر أداة الاستثناء، ويكون

بعدها صفة مدح أخرى لذلك الشيء، مثاله قوله عليه الصلاة والسلام: «أنا أفصح العرب بيدَ أنّى من قريش» و "بيدَ" بمنى غير، وهو أداة الاستثناء، فصفة المدح "أفصح العرب"، والشيء الموصوف هو النبى ﷺ، وأداة الاستثناء "بيدَ"، والصفة الأخرى "من قريش".

وأصل الاستثناء فى هذا القسم أيضًا هو المنقطع، كما أن فى القسم الأول كان منقطعًا، وهو باقٍ على حاله، أى لم يقدّر متصلا، ثم جعل منقطعًا كما فى الأول، فلا يفيد التأكيد إلا من الوجه الثانى، وهو أن المذكور بعد أداة الاستثناء أيضًا مدح.

بخلاف الأول؛ لأن التأكيد فيه من وجهين: الأول: أن الأصل فى الاستثناء الاتصال؛ لأن المنفى عيب، ولكن جُعل منقطعًا لعدم كون فلول السيف من العيوب.

والثانى: أن المذكور بعد أداة الاستثناء صفة مدح، ولذلك جُعل الأول أفضل الضربين.

٣- وله ضرب (قسم) آخر: وهو أن يأتى الاستثناء فيه مفرغًا (أى كان المستثنى منه فيه محذوفًا) كقوله تعالى: ﴿وما تنقم منا إلا أن آمنّا بآيات ربّنا لمّا جاءتنا﴾ أى وما تعيب منّا (شيئًا) إلا أصل المناقب والمفاخر كلّها، وهو الإيمان بآيات ربّنا، يعنى ليس فينا ما يوجب الذمّ والعقوبة إلا الإيمان بالله وآياته، وهذا لا يوجب الذم والعيب، بل يدل على المدح والكمال، فعدم عيب آخر غير هذا مدح، وهذا (الإيمان بالله وآياته) مدح آخر يؤكد المدح الأول، ومثله قوله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب هل تنقمون منّا إلا أن آمنّا بالله وما أنزل إلينا﴾.

الاستدراك كالاستثناء فى هذا الباب

اعلم أن استدراك المفهوم من لفظ "لكن" فى هذا الباب كالاستثناء، كما فى قول الشاعر:

هو البدر إلا أنه البحر زاخراً ... سوى أنه الضرغام لكنه الوبل

أى الممدوح كالبدر فى الشرف والرفعة، ليس هذا فقط، بل كالبحر الزاخر فى الكرم، وسوى أنه كالأسد فى الشجاعة، ولكنه كالمطر فى العطاء، فإن قوله: "إلا أنه البحر" و "سوى أنه الضرغام" استثناء مثل قوله: «بيدَ أنّى من قريش» فى أنه ذكر صفة مدح، ثم ذكر بعدها أداة الاستثناء، وأتى بعدها بصفة مدح أقوى، وقوله: "لكنّه" استدراك يفيد فائدة الاستثناء (بيدَ) فى الضرب الثانى؛ لأن لفظ "إلا" فى الاسثناء المنقطع بمعنى "لكن".

٢٤- تأكيد الذم بما يشبه المدح

وهو ضربان: الأول: أن يستثنى من صفة مدح منفية عن الشىء صفة ذمّ بتقدير وفرض دخول صفة الذم فى صفة المدح، كقولك: "فلان لا خير فيه، إلا أنه يسىء إلى من أحسن إليه" أى انتفت عنه صفات الخير إلا هذه الصفة، (وهى الإساءة إلى محسنه) لو كانت خيراً، لكنها ليست بخيرٍ، فحينئذٍ لا خير فيه أصلا.

والثانى: أن تُثْبِتَ للشىء صفة ذمّ، وتذكر عقب تلك الصفة أداة الاستثناء، وتتصل بأداة الاستثناء صفة ذمّ أخرى لذلك الشىء، كقول

القائل: "فلان فاسق إلا أنه جاهل"

وهذا الضربان كالضربين المذكورين لتأكيد المدح بما يشبه الذم فى إفادة التأكيد، وفى أفضلية الضرب الأول، فلا نعيد التفصيل.

٢٥- الاستتباع

وهو فى اللغة: طلب المتابعة، وفى الاصطلاح: هو المدح بشىء على وجه يستلزم المدح بشىء آخر، كقول الشاعر:

نهبتَ من الأعمار ما لو حويته　　　لهُنّئت الدنيا بأنك خالد

فإنه (المتنبى) مدح سيف الدولة ببلوغه النهاية فى الشجاعة؛ إذ كثر قتلاه بحيث لو ورِثَ أعمارهم لخلد فى الدنيا، ولقال الناس للدنيا: "هنيئًا لك بطول حياته"، وقد استلزم هذا المدح مدحه بكونه سببًا لصلاح الدنيا ونظامها، حيث جُعلت الدنيا مهنّأة لخلوده.

قال على بن عيسى الربعى: "وفيه (فى هذا البيت) وجهان آخران من المدح: أحدهما: أنه نهب الأعمار دون الأموال.

والثانى: أنه لم يكن ظالمًا فى قتل أحد من مقتوليه؛ لأنه لم يقصد بذلك القتل إلا صلاح الدنيا وأهلها، فهم مسرورون ببقاءه.

٢٦- الإدماج

هو لغةً: الإدخال، فيقال: أدمج الشىء فى ثوبه إذا لفّه فيه، واصطلاحًا: هو أن يجعل المتكلم كلامًا ساقه لمعنًى (من مدح، أو ذم، أو

غيرهما) متضمنًا لمعنًى آخر، وهو أعمّ من "الاستتباع" لاختصاصه بالمدح، مثاله قول أبى الطيب:

أقلّب فيه أجفانى كأنّى أعدّ بها على الدهر الذنوبا

أى أتقلّب أجفانى فى الليل كأنّى أعدّ بها ذنوب الدهر، فقد ساق الكلام أصالة لبيان طول الليل، وأدمج فى ذلك على وجه الاستتباع الشكاية من الدهر.

٢٧- التوجيه

وهو فى اللغة: (١) جعل الشىء ذا وجهين (٢) وبيان وجه الشىء وعلته، وفى الاصطلاح: إيراد الكلام محتملا لوجهين مختلفين (كالمدح والذم مثلا).

مثاله قول بشّار بن برد لخيّاط أعور[١] حينما أعطاه ثوبا ليخيط له قباءً، فقال له الخياط مازحًا: "لأخيطنّه فلا تدرى أ هو جبة أم قباء؟".

فقال بشار فى جوابه: إذًا أنظم فيك شعرًا لا يعلم من سمعه، أدعوت لك أم عليك؟ فلمّا خاطه كما قال، فقال بشار أيضًا كما قال:

خاط لى عمرو قباء ليتَ عينيه سواء

قل لمن يعرف هذا أمديح أم هجاء

قال السكاكى: "ومن التوجيه متشابهات القرآن باعتبار" وهو احتمالها لوجهين (معنيين) مختلفين، وأما باعتبار عدم استواءالاحتمالين، وهو كون أحد المعنيين ظاهرًا وقريبًا، والآخر بعيدًا وخفيًا، فهى من قسم التورية والإيهام.

---

(١) اسمه عمرو.

٢٨- الهزل

ومن المحسّنات المعنوية: الهزل الذى يراد به الجدّ، وهو أن يذكر الشىء على سبيل اللعب، ويقصد به أمر صحيح.

والفرق بين الهزل وبين التهكم، أن التهكم ظاهره جدّ، وباطنه هزل، وهذا بعكسه، مثاله قول الشاعر:

إذا ما تميمى أتاك مفاخرًا ... فقل عدّ عن ذا كيف أكلك للضبّ

أى قل للتميمى إذا جاءك وهو يفتخر بحضورك، تجاوز عن هذا الفخر، وقل لى: كيف أكلك للضبّ؟ وهذا السؤال هزل فى الظاهر، وجدّ فى المعنى؛ حيث يريد المتكلم به ذمّ التميمى بأكله الضبّ، وأنه لا مفاخرة مع هذا الفعل المكروه.

٢٩- تجاهل العارف

ومنها تجاهل العارف: وهو إيراد المعلوم فى صورة المجهول لنكتة: وهى (١) قد تكون توبيخًا، كما فى قول الامرأة الخارجية[1]:

أيا شجر الخابور ما لك مورقا ... كأنك لم تجزع على ابن طريف

أيها الشجر النابت بموضع اسمه "الخابور" لما ذا أراك ذا أوراق وناضرًا مسرورًا كأنّك لم تظهر الحزن والألم على قتل أخى وفراقه.

والشاعرة تعلم أن الشجر لا يجزع على أحد؛ لأنه لا عقل له، ومع ذلك تظهر الجهل وتوبّخ شجر الخابور بترك الجزع على قتل أخيها، فغير

(١) ليلى بنت طريف.

الشجر أحق بالتوبيخ بالأولى.

(٢) وقد تكون (تلك النكتة) مبالغةً فى المدح، كما فى قول الشاعر:

ألمع برق سرى أم ضوء مصباح   أم ابتسامتها بالمنظر الضاحى

يقول الشاعر مبالغًا فى مدح محبوبتها: ألمع برق سرى فى الليل أم ضوء مصباح، أم ضوء يظهر عند التبسم عن أسنانها فى الوجه الظاهر الجميل، فالشاعر يعلم أنه ليس هنا ضوء، ولا لمع سوى ابتسامها، لكنه تجاهل وأظهر أنه التبس عليه الأمر فى معرفة اللمعان.

(٣) وقد تكون مبالغة فى الذم كقول الشاعر:

وما أدرى وسوف إخال أدرى   أقوم آل حصن أم نساء

والشاعر يعرف أن آل حصن قوم ورجال، ولكن لأجل المبالغة فى ذمّهم، وإخراجهم عن صفّ الرجال يقول كذلك.

والبيت دليل على أن "القوم" يطلق على الرجال خاصةً، كما فى قوله تعالى: ﴿لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرًا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكنّ خيرًا منهنّ﴾.

(٤) وقد تكون تحيّرا فى الحبّ، كقول الشاعر:

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا   ليلاى منكنّ أم ليلى من البشر

القاع: جمع قيعة: وهو المستوى من الأرض، ومع علم الشاعر بكون ليلى من البشر لا من الظبيات، يسأل عنهنّ هل ليلاى منكنّ -لكثرة حسنها وجمالها- أم هى من البشر؟ وإنما يفعل ذلك تحيّرًا تدلّهًا فى حبّها، وله أمثلة عديدة تركناها رومًا للإيجاز.

٣٠- القول بالموجِب

ومنها القول بالموجِب: وهو ردّ المتكلم كلام خصمه عن فحوى لفظه، أو تسليم دليل الخصم وإنكار دعواه، وهو قسمان: أحدهما: أن تقع صفة فى كلام الغير كناية عن شىء أثبت له حكم، فَتُثْبِتُ (أنتَ) فى كلامك تلك الصفة لغير ذلك الشىء، من غير تعرّض لثبوتِ ذلك الحكم أو نفيه، كما فى قوله تعالى: ﴿هم الذين يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ، ولله العزّة ولرسوله وللمؤمنين﴾.

فالصفة فى هذه الآية "الأعزّ والأذلّ"، فالأعزّ كناية عن المنافقين، كما أن الأذلّ كناية عن المؤمنين (بزعم المنافقين)، والحكم هو الإخراج، فقد أثبت الله تعالى صفة العزة لنفسه ولرسوله وللمؤمنين، وسكت عن الإخراج الذى هو الحكم، فدليلهم أن الأذله يستحق الإخراج صحيح، وأمّا دعواهم أن المنافقين هم الأعزّ والمؤمنين هم الأذلّ فغير صحيح، فإن الأعزّ هو الله ورسوله والمؤمنون، فثبت أن الأذل هم المنافقون، فيستحقّون الإخراج.

والثانى: هو حمل لفظ وقع فى كلام الغير على خلاف مراده الذى يحتمله اللفظ؛ لأجل ذكر متعلّقه (أى متعلق خلاف المراد)، كقول الشاعر:

قلتُ ثقّلتُ إذ أتيت مراراً ... قال ثقّلتَ كاهلى بالأيادى

أى قد ثقّلتُ عليك وحملتك على المشقة بكثرة زيارتى، ومجيئى إلى دارك، فيصرفه المخاطب عن رأيه بأدب، وينقل كلمته (ثقّلتُ) من معنى إلى معنى آخر، يعنى نعم، إنك ثقّلت كاهلى بما أكثرتَ علىّ من النعم.

وقد سمّى غير القزوينى (القول بالموجب) بالأسلوب الحكيم، وهو

تلقّى المخاطب، أو إجابته، بغير ما يترقب، إمّا بترك سؤاله والإجابة عن سؤال لم يسأله، وإمّا بحمل كلامه على غير ما كان يقصد، وإنما يُفعل كذلك إشارةً إلى أن المناسب بحاله أن يسأل عن هذا، أو يقصد من كلامه هذا، كما فى قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الأهلّة قل هى مواقيت للناس والحج﴾.

٣١- الاطّراد

ومن آخر المحسّنات المعنوية (على ترتيب القزوينى فى "إيضاحه") الاطّراد، وهو لغةً: سهولة جريان الماء، واصطلاحًا: هو أن يذكر اسم الممدوح (أو غيره) واسم من يمكن من آباءه على ترتيب الولادة من غير تكلّف فى النظم والسبك، حتى تكون الأسماء فى تحدرها وسرعة أداءها كالماء الجارى فى اطّراده وسهولة انسجامه.

مثاله قول الشاعر:

إن يقتلوك فقد ثللتَ عروشهم ... بعتيبة بن الحارث بن شهاب

الخطاب فى "يقتلوك" للمقتول، فلا فخر لهم، لأنك قد أهلكت وأسقطت أساس مجدهم؛ لأنا قتلنا بدلك رئيسهم عتيبة بن الحارث بن شهاب.

وقول الشاعر:

قتلنا بعبد الله خير لداته ... ذؤاب بن أسماء بن يزيد بن قارب

أى أخذنا ثأرنا وقتلنا بعوض عبد الله خير نظرائه وأمثاله فى السّن، وهو ذؤاب بن أسماء بن يزيد بن قارب، ومنه قوله عليه السلام: «الكريم بن الكريم ابن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم».

التمرين

١- عرّف حسن التعليل، واذكر أقسامها.

٢- ما هو الشاهد فى قول الشاعر؟

ربًى شفعت ريح الصبا لرياضها　　　إلى المزن حتى جادها وهو هامع

٣- مثّل للتفريع وطبّقه على تعريفه.

٤- اذكر أقسام تأكيد المدح بما يشبه الذم مع الأمثلة.

٥- ما هو محل الاستشهاد فى قوله تعالى: ﴿وما تنقم منّا إلا أن آمنّا بآيات ربّنا لمّا جاءتنا﴾.

٦- اشرح هذا العنوان "الاستدراك كالاستثناء فى هذا الباب"، ومثل للاستدراك.

٧-ما هما الضربان لتأكيد الذم بما يشبه المدح؟

٨- بيّن الشاهد فى قول الشاعر:

نَهبْتَ من الأعمار ما لو حويته　　　لهُنّئت الدنيا بأنك خالد

٩- اذكر تعريف الإدماج لغةً واصطلاحًا.

١٠- عرّف التوجيه، وبيّن محل الاستشهاد فى البيت الآتى:

خاط لى عمرو قباء　　　لَيْتَ عينيه سواء

١١- ما هو رأيك فى متشابهات القرآن؟ هل هى من التوجيه؟ أو من التورية؟

١٢- ما هو الهزل؟ وما الفرق بينه وبين التهكم؟

١٣-اذكر نكات تجاهل العارف، كم هى؟

١٤- عرّف القول بالموجب، وبيّن أقسامه مع الأمثلة.

١٥- ما هو الاطّراد؟ استشهد له بالشعر والحديث.

المحسّنات اللفظية

١- منها الجناس: ويسمّى التجنيس أيضًا، هو لغةً: مصدر جانس الشيءُ الشيءَ أى شاكله واتحد معه فى الجنس.

واصطلاحًا: تشابه الكلمتين فى اللفظ، أى التلفظ مع اختلافهما فى المعنى.

وأما التشابه فى المعنى، نحو أسد وسبع، أو فى مجرد العدد، نحو ضرب وعلم، أو فى مجرد الوزن، نحو ضرب وقتل، فليس من الجناس.

أقسام الجناس

وله خمسة أقسام: التام، والمحرّف، والناقص، والمضارع، والمقلوب.

١- تعريف الجناس التام: وهو اتفاق اللفظين فى أربعة أمور: فى أنواع الحروف، وفى عددها، وفى هيئتها، وفى ترتيبها، نحو "الساعة" بمعنى القيامة و "الساعة" بمعنى الوقت، فلفظ "يفرح ويمرح" ليس بينهما جناس تام لاختلاف نوعى الفاء والميم، وكذا ليس بين "الساق" و "المساق" جناس تام لاختلاف عدد الحروف، وكذا بين "البُرد" و "البَرد" لاختلاف الهيئة، كما أنه لا جناس تاما بين "الفتح" و "الحتف" لعدم الترتيب.

أقسام الجناس التام الأولية:

وهو باعتبار نوعى اللفظين قسمان: الجناس المماثل، والجناس المستوفى.

(١) فالمماثل: هو أن يكون اللفظان بعد الاتفاق فى جميع ما ذكر من نوع واحد، بأن يكونا اسمين، أو فعلين، أو حرفين، ويقال له: مماثل بناء على اصطلاح المتكلمين من أن المماثلة هى الاتحاد فى النوع.

مثال الجناس المماثل: قوله تعالى: ﴿يوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة﴾.

(٢) والمستوفى: هوأن يكونا من نوعين: من اسم وفعل، أو اسم وحرف، أو فعل وحرف، ويسمّى مستوفى لاستيفاء كل من اللفظين أوصاف الآخر، وإن اختلفا فى النوع.

مثال الجناس المستوفى قول الشاعر:

ما مات من كرم الزمان فإنّه   يحيا لدى يحيى بن عبد الله

فالأول فعل، والثانى اسم.

وقول الشاعر:

وسمّيته يحيى ليحيا فلم يكن   إلى ردّ أمر الله فيه سبيل

الأقسام الثانوية للجناس التام

والجناس التام إذا كان أحد لفظيه مركبًا، والآخر مفردًا (يعنى كان أحد لفظيه مركّبا من كلمتين، أو كلمة، وبعض كلمة، والآخر مفردًا) يسمّى جناس التركيب.

وهو على قسمين : المتشابه والمفروق .

والمتشابه : هو الذى يتفق اللفظان (المفرد والمركب) فى الخط ، كقول الشاعر :

إذا مَلِكٌ لم يكن ذا هِبَة فدعه فدولته ذاهِبَةٌ

ففى الأول : ذا هبةٍ مركب (مضاف ومضاف إليه ، وفى الثانى : ذاهِبَة مفرد وهو اسم الفاعل) .

ويقال له : المتشابه لتشابه اللفظين فى الكتابة ، .

والجناس المفروق : هو الذى لم يتفق فيه اللفظان (المفرد والمركب) فى الخط ، كقول الشاعر :

كلّكم قد أخذ الجا م ولا جام لنا

ما الذى ضرّ مدير الجام لو جاملنا

ففى الأول : مركب من اسم "جام" وجار ومجرور وهو "لنا" ، وفى الثانى : مفرد ، وفعل وهو "جاملنا" .

وسمّى بالمفروق لافتراق اللفظين فى صورة الكتابة ، وأمّا المركب من كلمة وبعض كلمة ، فقولك : "أ هذا مصاب أم طعم صاب" ، المصاب قصب السكر ، والصاب عصارة شجر مرّ .

فالأوّل : "مصاب" كلمة ، والثانى : مركب من ميم "طعم" وهو بعض الكلمة ، ومن "صاب" وهو كلمة ، ويسمّى لهذا القسم المرفوء ؛ لرفوء وجمع بعض الكلمة إلى بعض ، فإن الرفوء هو إصلاح الثوب ، وجمع بعض قطعاته إلى بعض بالخياطة .

٢- **تعريف الجناس المحرّف:** وهو الذى اختلف اللفظان فى الهيئة دون الأمور الثلاثة (أنواع الحروف وعددها وترتيبها) بأن كانت هيئة أحدهما غير هيئة الآخر ، ويسمّى محرّفا ؛ لانحراف هيئة أحد اللفظين عن هيئة اللفظ

الآخر.

ثم اختلاف الهيئة يكون على قسمين: (١) اختلاف الهيئة بالحركة، كقولهم: "جُبّة البُرد جنّة البَرد" الأول: بضمّ الباء، والثانى: بفتح الباء أى الجبّة المصنوعة من البرُد تكون كالجنة فى أيام البَرد.

(٢) واختلاف الهيئة بالسكون كما فى قولهم: "الجاهل إمّا مفرط أو مفرّط" لأن الحرف المشدّد يعتبر (من جهة التلفظ) حرفا واحداً.

ومن ثمّ يكون الحرف المشدّد فى هذا الباب فى حكم المخفّف، ففى "مفرط" و "مفرّط" يكون اختلاف الهيئة لأن الفاء فى الأول ساكن، وفى الثانى مفتوح، وليس من قسم اختلاف العدد لأجل التخفيف والتشديد.

وقد يكون الاختلاف (فى الجناس المحرّف) بالحركة والسكون جميعًا، كما فى قولهم: "البدعة شَرَك الشِّرك" بفتح الشين فى الأول، وكسرها فى الثانى، وبفتح الراء فى الأول، وسكونها فى الثانى.

٣- **تعريف الجناس الناقص:** وهو الذى اختلف فيه اللفظان فى العدد فقط (دون الأنواع والهيئةوالترتيب) بأن يكون فى أحد اللفظين حرف زائد أو أكثر، وإنما سمّى ناقصًا لنقصان أحد اللفظين عن الآخر.

أنواع الجناس الناقص

ويكون النقصان فى عدد الحروف على وجهين: أحدهما: أن يختلفا (اللفظان المتجانسان) بزيادة حرف واحد (١) إما فى الأول، كقوله تعالى: ﴿والتفّت الساق بالساق إلى ربك يومئذٍ المساق﴾، فالميم زائد فى أول لفظ "المساق".

(٢) وإمّا فى الوسط، كقولهم: "جدّى جَهدى" أى حظى، أو غنائى فى تعبى ومشقتى، (٣) وإمّا فى الآخر، كقول الشاعر:

يمدّون من أيد عواصٍ عواصم تصول بأسياف قواضٍ قواضب

فالجناس بين "عواصٍ" و "عواصم" بزيادة الميم فى الآخر، وكذا بين "قواضٍ و "قواضب" بزيادة الباء فيه.

شرح البيت: أى يمدّون أيدى ضاربات (بالعصا والسيف) للأعداء حاميات للأولياء، صائلات على الأقران بسيوف حاكمة بالقتل (أو بين الحق والباطل) قاطعة رؤوس الأعداء ورقابهم.

ومنه (من القسم الثالث الذى يكون الزائد فى آخر الكلمة) ما كتبه بعض ملوك المغرب إلى صاحب له يدعوه إلى مجلس أنيس له:

أيّها الصاحب الذى فارقت عينى ونفسى منه السنا والسناء

نحن فى المجلس الذى يهب الرا حة والمسمع الغنى والغناء

نتعاطى التى تُنسّى من اللذ ة والرقّة والهوى والهواء

فأته تُلْفِ راحة ومَحيًا قد أعدّا لك الحيا والحياء

ويسمّى هذا القسم (الذى ييكون الحرف الزائد فى الآخر) جناسًا مطرّفًا؛ لوقوع الحرف الزائد فى الآخر أى الطرف.

غريب الأبيات:

السنا: الضوء

السناء: الارتفاع.

الرقة: رقة القلب وتأثره من شىء.

الغنى: من كثر ماله.

الغناء: بفتح الغين النفع والكفاية، وبكسره التطريب والترنم.

الهوى: من سَمِع يسْمَع بمعنى المحبة وميلان النفس، ومن ضَرَبَ بمعنى السقوط.

الهواء: بمعنى الفارغ والخالى، وبمعنى الجوّ، وبمعنى الغاز الذى يتنفّس منه الحيوانات.

محيًا: مصدر ميمى معناه الحياة.

الحيا: الخصب والمطر.

الحياء: الخجل، وترك القبيح استحياءً منه.

والوجه الثانى (من الجناس الناقص): أن يختلف اللفظان بزيادة أكثر من حرف واحد، كقول الخنساء:

إن البكاء هو الشفا ... ء من الجَوى بين الجوانح

قالت فى جواب من لامها على البكاء على أخيها صخر: أى البكاء هو الذى يشفى من حرقة القلب الذى بين الضلوع، فالزائد فى اللفظ الثانى النون والحاء، وربما سمّى هذا الضرب (أى الزائد حرفان فصاعدًا فى الآخر) مذيّلا؛ لأن تلك الزيادة كالذيل.

٤- تعريف الجناس المضارع: وهو الذى يكون الاختلاف فيه بين اللفظين فى أنواع الحروف فقط، دون العدد والترتيب والهيئة.

وشرطه: أن لا يقع الاختلاف فى أكثر من حرف واحد (لأنه لو كان الاختلاف فى أكثر من حرف واحد لا يبقى الجناس بين اللفظين).

وإنّما يسمّى الجناس مضارعًا إذا كان الحرفان المختلفان متقاربين فى المخرج؛ لمشابهة حرف كل لفظ حرف اللفظ الآخر فى المخرج.

أنواع الجناس المضارع

ويكونان (الحرفان المتقاربان فى المخرج)

١- إمّا فى أول اللفظين، كقول الحريرى: "بينى وبين كنّى ليل دامس، وطريق طامس"، فالاختلاف بين الدال والطاء، وهما متقاربان فى المخرج، أى بينى وبين بيتى ليل مظلم، وطريق مطموس العلامات لا يهتدى إليه أحد فى الظلمة، أو طريق بعيد.

٢- وإمّافى الوسط، نحو قوله تعالى: ﴿وهم ينهون عنه وينئون عنه﴾، فالهاء والهمزة مختلفان نوعًا، ومتقاربان مخرجًا.

٣- وإمّا فى الآخر، نحو قوله عليه السلام: «الخيل معقود بنواصيها الخير»، فالاختلاف بين اللام والراء، وهما فى آخر اللفظين.

وإن كان الحرفان المختلفان غير متقاربين، سمّى الجناس لاحقًا، فهما (أى الحرفان المختلفان وغير المتقاربين فى المخرج) على ثلاثة أنواع: ١- إمّا يكونان فى الأول، كقوله تعالى: ﴿ويل لكل همزة لمزة﴾ فالاختلاف بين الهاء واللام، وهما غير متقاربين فى المخرج، وواقعان فى أول اللفظ.

٢- أو فى الوسط: نحو قوله تعالى: ﴿ذلكم بما كنتم تفرحون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون﴾، فالفاء والميم مختلفان نوعًا ومخرجًا، وواقعتان فى وسط اللفظ.

٣- أو فى الآخر: نحو قوله تعالى: ﴿فإذا جاءهم أمر من الأمن﴾، فالراءوالنون واقعان فى آخر اللفظين، ومختلفان نوعًا ومخرجًا.

٥- تعريف جناس القلب وأقسامه

والجناس القلب: هو الذى يكون فيه اللفظان مختلفين فى ترتيب الحروف فقط، أى يتحدان فى النوع والعدد والهيئة.

وله ضربان:-

(١) قلب الكل، كقولهم: "حسامه فتح لأوليائه، حتف لأعدائه" الفاء فى الأول فى أوّل اللفظ، وفى الثانى فى آخر اللفظ، وكذلك الحاء فى الأول فى الآخر، وفى الثانى فى الأول.

(٢) وقلب البعض: كما فى الحديث الشريف: «اللهمّ استر عوراتنا وآمن روعاتنا»، وكذا قول بعضهم: "رحم الله امرأ أمسك ما بين فكّيه، وأطلق ما بين كفّيه".

تنبيهات

١- وفى جناس القلب إذا وقع أحد المتجانسين فى أول البيت، والآخر فى آخره سمّى هذا مقلوبًا مجنّحًا؛ لأن اللفظين بمنزلة جناحين للبيت، مثاله:

لاح أنوار الهدى ... من كفّه فى كل حال

فالجناس بين "لاح" وهو فى أول البيت، وبين "حال" وهو فى آخر البيت، وترتيبهما مختلف.

٢-وإذا اتصل أحد المتجانسين بالآخر (فى أى جناس كان) سمّى مُزْدَوَجًا ومكررًا ومردّدًا، كقوله تعالى: ﴿وجئتك من سبأ بنبأ يقين﴾،

فالجناس بين "سبأ ونبأ" ، والاختلاف بين الحرفين نوعًا ومخرجًا .

وقوله عليه السلام : «المؤمنون هيّنون ليّنون» ، والاختلاف بين الهاء واللام ، وقولهم : "من جدّ وجد" ، والجناس بين "جدّ" وبين "وجد" ، والمشدّد كالمخفّف كما مر .

٣- ويلحق بالجناس أمران آخران : أحدهما : أن يجمع اللفظين الاشتقاقُ ، كقوله تعالى : ﴿فأقم وجهك للدين القيّم﴾ فإنهما مشتقّان من قام يقوم ، وقوله عليه السلام : «الظلم ظلمات يوم القيامة» .

والثانى : أن يجمعهما شبه الاشتقاق ، نحو قوله تعالى : ﴿قال إنّى لعملكم من القالين﴾ ، فإن "قال" من القول ، و "القالين" من القلى ، وبينهما شبه الاشتقاق صورةً .

٢- ردّ العجز على الصدر

ومنها ردّ العجز على الصدر : وهو (فى النثر) أن يجعل أحد اللفظين المكررين (المتفقين فى اللفظ والمعنى) أو المتجانسين (المتشابهين فى اللفظ دون المعنى) ، أو الملحقين بالمتجانسين لأجل الاشتقاق ، أو شبه الاشتقاق فى أول الفقرة ، واللفظ الآخر فى آخرها .

الأمثلة:

(١) قوله تعالى : ﴿وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ هذا مثال المكررين ، ومنه قولهم : "الحيلة ترك الحيلة" .

٢- وقولهم : "سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل" هذا مثال المتجانسين .

٣-وقوله تعالى : ﴿استغفروا ربكم إنه كان غفّارا﴾ هذا مثال الملحق

لأجل الاشتقاق.

٤- وقوله تعالى: ﴿قال إنّى لعملكم من القالين﴾ هذا مثال الملحق لأجل شبه الاشتقاق.

طريق رد العجز على الصدر فى النظم

وهو فى النظم أن يكون أحد اللفظين المذكورين فى آخر البيت، والآخر فى صدر المصراع الأول، أو حشوه، أو آخره، أو فى صدر المصراع الثانى، وتبلغ الصور الممكنة إلى ستة عشر، وأما الأمثلة: فثلاثة عشر مثالا.

١- مثال المكررين الذين أحدهما فى آخر البيت، والآخر فى أوّل المصراع الأول، قول الشاعر:

سريع إلى ابن العمّ يلطم وجهه وليس إلى داعى الندى بسريع

٢- مثال المكرّرين الذين أحدهما فى حشو المصراع الأول، والآخر فى آخر المصراع الثانى، قول الشاعر:

تمتّع من شميم عَرار نجد فما بعد العشية من عَرار

العرار: وردة ناعمة صفراء طيبة الرائحة، أى استمتع بشمّ وردة نجد، فإنك لا تجد بعد العيشة عرارًا.

٣- مثال المكررين الذين هما فى آخر المصراعين، قول الشاعر:

ومن كان بالبيض الكواعب مُغرما فما زلت بالبيض القواضب مُغرما

أى من كانت لذته، وتحمّل غرامته لأجل الجوارى البيض الناهدة الثدى، فلا التفت إليه؛ لأن لذّتى بمخالطة السيوف البيض القاطعة.

٤- مثال المكررين الذين أحدهما فى صدر المصراع الثانى، والآخر فى

آخره، قول الشاعر :

وإن لم يكن إلا مُعرّج ساعة قليلا فإنّى نافع لى قليلها

أى وإن لم يكن النزول بتلك الدار إلا للإقامة فى ساعة قليلة، فهذا القليل يكفينى ويشفى غليل وجدى.

٥- مثال المتجانسين الذين أحدهما فى صدر المصراع الأول، والآخر فى آخر البيت، قول الشاعر :

دعانى من ملامكما سفاهًا فداعى الشوق قبلكم دعانى

اتركانى من لومكم لأجل السفاهة والحمق؛ فإن طالب الشوق قبلكم قد طلبنى، فاللفظان متفقان صورةً، ومختلفان معنًى، فهمان متجانسان.

٦- مثال المتجانسين الذين أحدهما فى حشو المصراع الأول، والآخر فى آخر البيت، قول الشاعر :

إذ البلابل أفصحت بلغاتها فانفِ البلابل باحتساء بلابل

فأوّل اللفظين هو "البلابل" الواقع بعد "إذ" قد وقع فى الحشو.

غريب البيت :

البلابل : فى المصراع الأول جمع بلبل، وهو طائر معروف، و"البلابل" الواقع فى حشو المصراع الثانى جمع بَلبال معناه الحزن، و"بلابل" الواقع فى آخر البيت جمع بُلبلة هو إبريق فيه خمر.

والاحتساء : الشرب، فانف : أمر من نفى ينفى، أى إذا أفصح وأظهر البلابل صوتها بلغاتها وقت الصباح، فأزل عنك الهموم والأحزان بشرب ما يكون فى الأباريق من الخمر.

٧- مثال المتجانسين الذين أحدهما فى آخر المصراع الأول، والآخر فى آخر المصراع الثانى (فى آخر البيت)، قول الشاعر :

فمشغوفٌ بآيات المثانى ومفتون برنّات المثانى

المثانى: فى الأول القرآن الكريم؛ لأنه تثنّى وتكرّر آياته صباحًا ومساءً ليلا ونهارًا.

والمثانى: فى الثانى جمع مثنى عود له وتران فصاعدًا يستعمل فى المزامير واللهو.

و الرنّات: الأصوات.

و مشغوف: محبّ ومشغول لأجل المحبة يعنى مغلوب المحبة، ومفتون: أى مجنون.

يصف الشاعر أهل البصرة، وكأنه يقول: "منهم الصالحون ومشغولون بآيات كتاب الله الكريم، ومنهم الطالحون المجانين فى حبّ أصوات أعواد المزامير، ومنهمكون فى رضا الشيطان اللئيم".

٨- مثال المتجانسين الواقعين أحدهما فى صدر المصراع الثانى، والآخر فى آخره قول الشاعر:

أمّلتهم ثم تأمّلتهم فلاح لى أن ليس فيهم فلاح

أى رجوت منهم الخير، ثم تفكّرت فى أحوالهم، فظهر لى أن ليس فيهم أى نجاة وظفر.

٩- مثال الملحقين بالمتجانسين لأجل الاشتقاق، وأحدهما فى صدر المصراع الأول، والآخر فى آخر البيت، قول الشاعر:

ضرائب أبدعتَها فى السماح فلسنا نرى لك فيها ضريبًا

ضرائب: جمع ضريبة، هى الطبيعة التى خُلق عليها الرجل، وألزمت له، وضريب بمعنى المثل، أى الذى يضرب به مثلا، ومعنى البيت:

أبدعت طبائع عجيبة فى العطاء والسخاء، فلسنا نرى لك مثلا فى تلك

ا لطبائع ، يعنى لك عند إعطاء كل سائل طبيعة على حدة تعطى كلا على حسب منزلته .

١٠ - مثال الملحقين لأجل الاشتقاق ، والواقع أحدهما فى حشو المصراع الأول ، والآخر فى آخر البيت قول الشاعر :

إذا المرء لم يخزُن عليه لسانه   فليس على شىء سواه بخزّان

أى إذا لم يحفظ المرء لسانه عما يضرّ نفسه ، فلا يحفظه عن شىء آخر قطّ .

١١ - مثال الملحقين لشبه الاشتقاق والواقع أحدهما فى حشو المصراع الأول ، والآخر فى آخر البيت قول الشاعر :

لو اختصرتم من الإحسان زرتكم   والعذب يهجر للإفراط فى الخَصَر

اختصرتم معناه معروف ، والخصر برودة الماء ، أى بعدى عنكم وقلّة مجيئى إليكم لأجل كثرة إحسانكم لئلا يثقل علىّ نعمكم ، كما أن الماء العذب البارد قد يترك لأجل شدةبرودته ، نعم لو تقلّون الإحسان أزوركم .

١٢ - مثال الملحقين لأجل الاشتقاق والواقعين فى آخر المصراعين قول الشاعر :

فدع الوعيد فما وعيدك ضائرى   أطنين أجنحة الذباب يضير

فضائر ويضير مشتقان من الضير .

١٣ - مثال الملحقين لأجل الاشتقاق والواقعين فى أول المصراع الثانى ، وآخره قول الشاعر :

وقد كانت البيض القواضب فى الوغى   بواتر فهى ا لآن من بعده بُتر

أى كانت السيوف القواطع في الحرب قواطع بالفعل وعملا ، وأما الآن بعد غياب الممدوح ، فهى مقطوع الذنب وناقصة ؛ إذ لم يبقَ بعده من يستعمل

تلك السيوف مثل استعماله، فالبتر جمع أبتر، وهو مقطوع الذنب، وناقص الفائدة.

٣- السجع

ومن المحسّنات اللفظية السجع: وهو فى اللغة: عبارة عن هدير الحمام، وعن مدّ الناقة حنينها على جهة واحدة، و منه يقال: سجعت الناقة.

وفى الاصطلاح: هو تواطؤ ا لفاصلتين من النثر على حرف واحد فى الآخر، والسجع فى النثر كالقافية فى النظم، أى كما أن القوافى هى الألفاظ المتوافقة فى أواخر الأبيات كذلك الأسجاع هى الألفاظ المتوافقة فى أواخر الفقر، ولذلك قال السكاكى: ما حاصله: أن السجع فى النثر كالقافية فى الشعر.

أقسام السجع

وله ثلاثة أقسام: مطرّف، ومرصّع، ومتوازٍ.

١- السجع المطرّف: هو أن تختلف الفاصلتان فى الوزن، نحو قوله تعالى: ﴿ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطواراً﴾، فوزن "وقارا" غير وزن "أطوارا" فهما مختلفان، وسمّى مطرّفا؛ لأن التوافق بينهما فى الطرف فقط، وهو الراء مع الألف، وقبلهما مختلفان.

٢- والسجع المرصّع: هو أن لا تختلف الفاصلتان، ولكن كان ما فى إحدى القرينتين، أو القرائن من الألفاظ مثل ما يقابله من القرينة الأخرى فى الوزن والتقفية (أى التوافق على الحرف الأخير) وإنما سمّى مرصْعا لحسن

السجع وجماله.

مثاله قول الحريرى: "فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه"، فجميع ما فى القرينة الثانية (ويقرع الأسماع بزواجر وعظه، موافق لما يقابله من القرينة الأولى، وأمّا لفظ "فهو": فلا يقابله شىء.

٣- السجع المتوازى: هو أن لا يكون جميع ما فى القرينة (أو القرائن) مثل ما يقابله من القرينة الأخرى، وإنما سمّى المتوازى؛ لتوازى الفاصلتين فى الوزن والتقفية (أى التوافق فى الحرف الأخير).

مثاله قوله تعالى: ﴿فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة﴾ فالفاصلتان (مرفوعة وموضوعة) وإن كانتا متفقتين، ولكن يوجد الاختلاف بين سرر وأكواب فى الوزن والتقفية، فليس جميع ما فى إحدى القرينتين مثل ما فى الأخرى.

تنبيهات

١ - شرط حسن السجع اختلاف قرينتيه فى المعنى، كما مر فى الأمثلة السابقة.

٢ - وأحسن السجع ما تساوت قرائنه فى عدد الحروف، كقوله تعالى: ﴿فى سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود﴾ ثم الأحسن بعده ما طالت قرينته الثانية كقوله تعالى: ﴿والنجم إذا هوى ما ضلّ صاحبكم وما غوى﴾ أو طالت الثالثة، كقوله تعالى: ﴿خذوه فغلّوه ثم الجحيم صلّوه﴾.

٣- ولا يحسن أن تكون القرينة الثانية (أو الثالثة) أقصر من الأولى بكثير؛ لأن السجع إذا وصل إلى نهايته فى الأولى بطولها، ثم جاءت الثانية

(أو الثالثة) أقصر منها كثيرًا يكون كالشيء المبتور (المقطوع) ويبقى السامع كمن يريد الانتهاء إلى غاية، فيسقط قبل وصوله إليها.

٤- ومن لطيف أمثلة السجع قول البديع الهمداني في كتاب له إلى ابن فريقون: "كتابي والبحر وإن لم أرَه، فقد سمعتُ خبره، والليث وإن لم ألقه، تصوّرت خلقه، والملك العادل وإن لم أكن لقيتُه، فقد لقيني صيته، ومن رأى من السيف أثره، فقد رأى أكثره".

٥- واعلم أن فواصل الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الأعجاز (الأواخر) موقوفًا عليها، ولا يتمّ ذلك في كل صورة إلا بالوقف، ألا ترى أنك لو وصلت قولهم: "ما أبعد ما فات، وما أقرب ما هو آت" لا بد من إجراء الإعراب على كل من الفاصلتين، فيفوت الغرض من السجع؛ لأن التاء من "فات" مفتوح، ومن "آتٍ" منوّن مكسور.

٦- يرى بعض العلماء[1] كراهة إطلاق السجع على القرآن الكريم؛ لأنه نوع من الكلام يعتمد الصنعة، وقلّما يخلو عن التكلّف والتعسّف، وكذلك يطلق السجع على هدير الحمام، وصوت الناقة، فلا يطلق على القرآن تعظيمًا، ورعايةً للأدب، وإنما يقال: في مثل ذلك فواصل أخذًا من قوله تعالى: ﴿كتاب فصّلت آياته﴾.

٧- ويرى بعض البلغاء أن السجع غير مختصّ بالنثر، بل يوجد في النظم أيضًا، مثاله قول أبي تمام:

تجلّى به رشدي وأثْرَتْ به يدي وفاض به ثمدي وأورى به زندي

أي ظهر بسبب هذا الممدوح رشدي وهدايتي إلى المقاصد، وصارت يدي بسببه ذات ثروة ومال كثير، وسال به مائي القليل أي كثر، وصار به

(١) كالباقلاني وابن الأثير.

زندى ذا نار يعنى صار بيتى معمورًا لأجله .

٨- وعند من يقول : بعموم السجع فى النثر والنظم قسم رابع للسجع يسمّى التشطير : وهو أن يجعل لكلّ من شطرى البيت سجعة مخالفة لأختها ، كقول أبى تمام :

تدبير معتصم ، بالله منتقم   لله مرتغبٍ فى الله مرتقب

فالشطر الأول سجعة مبنية على الميم ، والثانى سجعة مبنية على الباء ، فتدبير معتصم مبتدأ ، أي تدبير الممدوح (الذى لقبه "معتصم بالله" ومنتقم من أعداءه لرضاء الله ، وراغب فيمايحصل به رضوان الله ، ومنتظر ثوابه) ، وما يأتى بعده فى البيت الثالث[٢] خبره ، أو (تدبير معتصم) خبر لمبتدأ محذوف ، أى ذلك تدبير معتصم إلخ .

٤- الموازنة

ومن المحسّنات اللفظية الموازنة : وهى تساوى الكلمتين الأخيرتين من الفقرتين ، أو المصراعين فى الوزن دون التقفية ، كقوله تعالى : ﴿ونمارق مصفوفة وزرابىّ مبثوثة﴾ فإن "مصفوفة" و "مبثوثة" متساويان فى الوزن ، لا فى التقفية ؛ إذ الأولى على الفاء ، والثانى على الثاء ، ولا عبرة بتاء التأنيث فى القافية .

والمماثلة : هى أن يكون جميع ما فى إحدى القرينتين (من الألفاظ) أو أكثر ما فيها مثل ما يقابله من الأخرى فى الوزن .

١- مثال المماثلة فى أكثر القرينتين فى النثر ، كقوله تعالى : ﴿وآتيناهما

---

(٢) لم يرم قوما ولم ينهد إلى بلد   إلا تقدّمه جيش من الرعب

الكتاب المستبين، وهديناهما الصراط المستقيم﴾.

وإنما قلنا: هذا مثال للمماثلة فى أكثر ما فى القرينتين؛ لعدم التماثل بين "آتينا" و "هدينا".

٢- ومثال المماثلة فى الأكثر فى النظم قول الشاعر:

مها الوحش إلا أن هاتا أوانس قنا الخطّ إلا أن تلك ذوابل

غريب البيت:

مها: جمع مهاة: وهى البقرة الوحشية، هاتا: أى هذه النساء.

قنا: الرماح، واحده قناة بمعنى الرمح.

الخط: اسم موضع بالبحرين، معروف برماحه الجيدة.

ذوابل: أى ليس فى الرماح نعومة ونضارة، جمع ذابل بمعنى اليابس الخشن.

معنى البيت: هنّ أى النساء كالبقرات الوحشية فى الحسن والجمال إلا أن هذه النسوة يأنسن ويتحدثن بالمحبة، وهن كالرماح المصنوعة فى الخط (البحرين) فى استقامة قد هنّ إلا أنّ تلك الرماح ذوابل ليس فيها نعومة ونضارة مثل النساء.

وإنما قلنا: المساواة فى أكثر ما فى القرينتين؛ لعدم التماثل بين "هاتا" و "تلك".

٣- مثال المماثلة بين جميع ما فى القرينتين قول الشاعر:

فأحجم لما لم يجد فيك مطمعًا وأقدم لما لم يجد عنك مهربا

أى أبعد نفسه عنك لمّا لم يجد فيك طمعه، وهو هزيمتك، وجاء إليك وفوّض نفسه لك حينما لم يجد مهربّا وملجأ منك.

ففى هذا البيت جميع ما فى القرينة الأولى من الألفاظ مثل ما فى

القرينة الثانية وزنًا، بخلاف المثالَيْن الأولين، فإن المماثلة إنما كانت فى أكثر ما فى القرينتين من الألفاظ.

٥- القلب

ومن المحسّنات اللفظية القلب: وهو فى اللغة: جعل الشىء معكوسًا، كقلب الإناء.

وفى الاصطلاح: هو كون الكلام بحيث لو عكستَه وبدأت بحرفه الأخير إلى الأول كان الحاصل بعينه هو الكلام الأول.

ويجرى فى النظم والنثر كليهما، مثاله فى النظم قول الشاعر:

مـــــودته تـدوم لـكلّ هـول وهـل كـل مـــــودته تـدوم

وفى مجموع البيت قلب كما لا يخفى.

ومثاله فى النثر قوله تعالى: ﴿كلّ فى فلك﴾ و ﴿ربّك فكبّر﴾ وقد مرّ أن الحرف المشدد فى حكم المخفف فى أمثال هذه الأمور.

٦- التشريع

ومنها التشريع: وهو فى الاصطلاح [٣]: بناء البيت على قافيتين، يصح الوزن والمعنى عند الوقوف (أى التوقف) على كل منهما، ويسمّى التوشيح ذا القافيتين أيضـ. وهو مخصوص بالشعر، مثاله قول الشاعر:

(٣) وأما فى اللغة: فلم أجد فى المراجع التى استقيت منها له معنًى لغويًا يناسب هذا المفهوم الاصطلاحى.

يا خاطب ا لدنيا الدنيئة إنها شرك الردى وقرارة الأكدار

(يا طالب الدنيا الخسيسة إنها حبالة الهلاك ومقرّ الكدورات ومنبعها)، ففى هذا البيت إن وقفت على الردى، فالبيت وزنه من الضرب الثامن من الكامل، وإن وقفتَ على "الأكدار" فهو من الضرب الثانى منه.

تعريف القافية: وهى عند الخليل من آخر حرف فى البيت إلى أوّل ساكن يليه مع الحركة التى قبل ذلك الساكن.

فالقافية الأولى من هذا البيت هو لفظ "الردى" مع حركة الكاف من "شرك"، والقافية الثانية هى من حركة دال "الأكدار" إلى الآخر، أو نقول: من راء "الأكدار" إلى حركة داله.

٧- لزوم ما لا يلزم

ومن (آخر) المحسّنات اللفظية لزوم ما لا يلزم، ويعبّر عنه بـ "الالتزام، والتضمين، والتشديد، والإعنات" (يعنى التزام ما لا يلزم، وتضمين القافية ما ليس لها بلازم، وإيقاع المتكلم نفسه فى الشدّة والمشقّة).

تعريفه: هو أن يأتى قبل حرف الروى (الواقع فى قوافى الأبيات)، أو ما فى معناه من (الحرف الواقع فى) الفاصلة ما ليس بلازم فى السجع، أى يتمّ السجع فى النثر والنظم بدون التزام ذلك الحرف الزائد أو الحركة الزائدة.

والأمر الذى يأتى قبل حرف الروى، أو ما فى معناه قد يكون حرفًا، وقد يكون حركةً، وقد يكون حرفًا وحركةً.

مثاله فى النثر قوله تعالى: ﴿فأمّا اليتيم فلا تقهر وأمّا السائل فلا تنهر﴾، فالراء فى الفاصلتين فى معنى حرف الروى، ومجىء "الهاء"

قبله فى الفاصلتين لزوم ما لا يلزم؛ لصحة السجع بدون الهاء، نحو: فلا تنهر، ولا تسخر، ولا تنحر، فإن فى "تسخر" و "تنحر" السجع صحيح مع أن الهاء فيهما غير موجود.

ومثاله فى النظم قول الشاعر:

سأشكر عمراً إن تراخت منيّتى أيادى لم تمنن وإن هى جلّت
فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلّت
رأى خلّتى من حيث يخفى مكانها فكانت قَذَى عينيه حتى تجلّت

فحرف الروى -هو التاء- قد جيء قبله بلام مشدّدة مفتوحة (أى الحرف والحركة) وهذا المجيء ليس بلازم فى السجع، لصحته بدون التاء وحركته، نحو جلّت ومدّت ومنّت وانشقّت؛ فإن فى الألفاظ الأخيرة السجع صحيح بدون اللام وفتحه، فلا فرق بين وجود اللام (كما فى "جلّت") وبين عدمه كما فى الثلاثة المذكورة، فذكر اللام لزوم ما لا يلزم.

شرط الحسن فى المحسّنات اللفظية

وشرط الحسن فى ذلك كلّه، أى فى جميع ما ذكر من المحسّنات اللفظية أن تكون الألفاظ تابعة للمعانى، دون العكس، أى لا أن تكون المعانى توابع للألفاظ، بأن يأتى المتكلم بألفاظ تكلّفية مصنوعة، فيتبعها المعانى كيف ما كانت.

كما يفعله بعض المتأخْرين الذين لهم شغف بتكثير المحسّنات اللفظية، فيجعلون الكلام كأنّه غير مسوق لإفادة المعانى، ولا يبالون بخفاء الدلالات وركاكة المعانى، فيصير مَثَل هذا الكلام كغمد من ذهب على سيف من

خشب .

بل الوجه المناسب والطريق الفطرى أن نترك المعانى على سجيتها ، فتطلب لأنفسها ألفاظًا تليق بها ، وعند هذا الصنع تظهر البلاغة والبراعة ، ويتميّز الكامل من القاصر .

نموذج ممن جعلوا المعانى تابعة للألفاظ

وهذا الحريرى صاحب "المقامات" المعروفة مع كمال فضله فى الأدب والبلاغة ، لمّا وُلّى منصب "ديوان الإنشاء الرسمى ، عجز عن كتابة وإنشاء المراسلات الرسمية .

فقال ابن الخشّاب -فى وجه عجزه- : "هو رجل مقاماتى" ، وذلك لأن كتابه حكاية تجرى على حسب إرادته ، أى جعل المعانى تابعة لألفاظه المصنوعة ، فأين المقامات عن كتاب أمِرَ به فى القضايا الواقعية ، يعنى لا يقدر أن يجعل ألفاظه المموّهة تابعة للمعانى الجميلة الصادقة .

ففرق واضح بين من يكتب كما يريد ، وبين من يكتب كما يؤمر ، فكثير من أهل القلم يكتب كما يريد ، ولا يستطيع أن يكتب كما أمر ، والكمال هو الثانى دون الأول .

وكتب الصاحب بن عبّاد أمر عزل قاضى بقم ، وكان ما فى الورقة هكذا : "أيّها القاضى بقم ، قد عزلناك فقم" ، ولما وصل أمر العزل إلى القاضى قال : "والله ما عزلنى إلا هذه السجعة" يعنى ما كان غرض الصاحب من هذا الكلام عزلى عن القضاء ، بل كان غرضه إعجابه بهذه السجعة ، أى جعل المعنى تابعًا وفرعًا ، واللفظ متبوعًا وأصلا .

التمرين

١ - عرّف الجِناس، واذكر أقسامه .

٢- ما الفرق بين الجناس المماثل والمستوفى؟

٣- اذكر محل الاستشهاد فيما يأتي :

يمدّون من أيد عـوصٍ عـواصـم　　　تصول بأسياف قواضٍ قواضب

٤- ما هو الجناس القلب؟ وكم قمسًا له؟

٥- عرّف ردّ العجز على الصدر فى النثر والنظم على حدة على حدة .

٦- اذكر مثالين من الأمثلة الثلاث عشر لردّ العجز على الصدر .

٧- ما هو المطرّف والمرصّع والمتوازى؟

٨- اذكر أربعة من التنبيهات الثمانية .

٩- ما هو الفرق بين الموازنة والمماثلة؟

١٠ - اذكر مثالين للقلب نظمًا ونثرًا .

١١ - اذكر تعريف التشريع، ومثاله فى النظم .

١٢ - عرّف لزوم ما لا يلزم، ومثّل له .

١٣ - ما هو الشرط فى المحسّنات اللفظية؟

١٤ - اذكر نموذجا من لا يراعى شرط الحسن فيها .

١٥ - ما ذا كتب الصّاحب بن عباد لقاضي قم؟ اكتبه .

خاتمة
فى السرقات الشعرية وما يتصل بها وغيرها

ونبحث فى هذه الخاتمة -إن شاء الله تعالى- عن الأمور الآتية مرتّبة: السرقات الشعرية، والاقتباس، والتضمين، والعقد، والحلّ، والتلميح، والقول فى الابتداء، والتخلّص، والانتهاء.

ربط الخاتمة بالفنّ الثالث:

يقول المصنّف فى "الإيضاح"(٤): "هذا ما تيسّر -بإذن الله تعالى- جمعه وتحريره من أصول الفن الثالث، وبقيت أشياء يذكرها بعض المصنّفين:

١- منها ما يتعيّن إهماله لأحد المعنين: لعدم دخوله فى البلاغة، أو لعدم جدواه.

٢- ومنها ما لا بأس، بذكره لاشتماله على فائدة".

ومما لا بأس بذكره القول فى السرقات الشعرية، وما يتّصل بها (مثل الاقتباس، والتضمين، والعقد، والحلّ، والتلميح)، والقول فى الابتداء، والتخلّص، والانتهاء.

١- السرقات الشعرية: كما أن الفقراء والأذلاء وأصحاب الحاجات يسرقون الأموال والأشياء النفيسة، كذلك الشعراء الضعفاء العاجزون عن الإتيان بالشعر البليغ يسرقون كلام غيرهم، أى ينسبونه إلى أنفسهم ويتفاخرون به، فأفعالهم هذه يقال لها: "السرقات الشعرية".

وأما أنه كيف تكون السّرقات الشعرية، وفى أىّ شىء تكون؟ فسيأتى.

---

(٤) ص ٤٠٩.

١ - اعلم أن اتفاق، أى موافقة القائلَيْنِ فصاعدًا (فى كلام) إن كان فى الغرض على العموم -كالوصف بالشجاعة، والسخاء، والبلادة، والذكاء- فلا بعدّ هذا الأخذ سرقة، ولا استعانة، ولا نحوهما مما يؤدى هذا المعنى؛ فإن هذه (الأوصاف المذكورة) أمور متقررة فى النفوس، متصورة للعقول (حتى) يشترك فيها الفصيح، والأعجم، والشاعر، والمُفْحَمُ.

٢- وإن كان اتفاقهما فى طريق دلالة الكلام على الغرض، فهذا ينقسم إلى أقسام.

(١) منها التشبيه بما توجد فيه الصفة على الوجه البليغ.

(٢) ومنها ذكر هيئات تدل على تلك الصفة، كوصف الرجل حال الحرب بالابتسام، وسكون الجوارح، وقلّةالفكر، وكل هذه الهيئات تناسب الوصف بالشجاعة، وتدل عليه.

وكذا وصف الجواد بالتهلّل عند ورود العفاة (السائلين) والارتياح لرؤيتهم، ووصف البخيل بالعبوس، وقلّة البِشْر (البشارة) مع سعة ذات اليد، ومساعدة الدهر، فالهيئة الأولى تدل على السخاء، والثانية تدل على البخل.

٣- وإن كان موافقتهما فيما يشترك الناس فى معرفته؛ لاستقراره فى العقول وا لعادات، كتشبيه الفتاة الحسنة بالشمس والبدر، والجواد بالغيث والبحر، والبليد بالحجر والحمار، والشجاع بالسيف والنار، فاتفاق الاثنين (فصاعدًا) فيه كالاتفاق فى الغرض العام الذى يذكره كل أحد (يعنى لا يكون سرقةً).

٤- وإن كان ما اتفقا فيه مما لا ينال إلا بفكر عميق، ولا يصل إليه كل أحد، فهذا الذى يجوز أن يدّعى فيه الاختصاص، والسبق، أى يدّعى أنه

يوجد عند بعض، ولا يوجد عند بعض آخر، ويسابق فيه بعضهم بعضًا، وجاز أن يحكم فيه بين القائِلَينِ بالتفاضل، بأن أحدهما فيه أفضل من الآخر، وأن الثانى زاد على الأول، أو نقص منه، فيقع فيه السرقة والأخذ.

وهذا أى ما يمكن فيه الاختصاص والتفاضل على ضربين: أحدهما: ما كان فى أصله خاصيًا غريبًا (أى يكون مختصًا ببعض العقول، ولا يوجد إلا قليلا) فلا ينال إلا بفكر كامل.

والثانى: ما كان فى أصله عاميًا مبتذلا (مستعملا) ولكن تصرّف فيه بما أخرجه من الابتذال إلى الغرابة، كما مرّ فى باب التشبيه والاستعارة، ففى هذين الضربين يمكن السرقة، والأخذ عن الغير.

أقسام السرقة فى الكلام

فالأخذ سرقةً نوعان: ظاهر وغير ظاهر.

فالأخذ الظاهر هو أن يأخذ المعنى (من كلام غيره) كلّه: إمّا مع اللفظ كلّه، أو بعضه، وإمّا المعنى وحده، ولأجل كون المأخوذ ظاهرًا ومعلومًا، يقال له الظاهر.

فإن كان المأخوذ المعنى مع اللفظ كلّه من غير تغيير لنظمه، فهو مذموم ومردود؛ لأنه سرقة محضة، ويسمّى هذا الأخذ نسخًا وانتحالا؛ لأن القائل الثانى نسخ كلام الأول، أى نقله إلى نفسه (والنسخ لغةً: هو النقل) ولأنه ادّعى كلام الغير لنفسه، والانتحال هو ادّعاء شيء الغير لنفسه.

١ - مثال السرقة فى الشعر (أى أخذ كلام الغير بمعناه، ولفظه كلّه):
وقد حكى أن عبد الله بن الزبير (كأمير) دخل على معاوية رضى الله عنه

وأنشده:

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرف الهجران إن كان يَعقِل

ويركب حدّ السيف من أن تضيمه إذا لم يكن عن شفرة السيف مَرْجِلُ

(أى إذا أنت لم تنصف أخاك، ولم تعطِه حقّه وجدته على طرف الهجران، أى يتركك ويبعد عنك، إن كان له عقل، وإدراك على عدم إنصافك، بل يركب حدّ السيف، يعنى يتحمّل المشقة والآلام بدل أن تظلمه أنتَ، أى يرجح حدّ السيف على ظلمك إذا لم يكن له مفرّ، وبعد عن حدّ السيف).

فقال له معاوية رضى الله عنه: لقد شعرتَ بعدى يا أبا بكر! (كنية عبد الله بن الزبير) أى صرت شاعراً مع أنك لم تكن من الشعراء، ولم يفارق عبد الله المجلس حتى دخل معن بن أوس المزنى، فأنشد قصيدته التى أولها:

لعمرك ما أدرى وإنى لأوجل على أيّنا تغدو المنية أوّل

حتى وصل إلى هذين البيتين، فأقبل معاوية على عبد الله، وقال له: ألم تخبرنى أن هذين البيتين لك؟ فقال عبد الله بن الزبير: (أولا): المعنى لى واللفظ له[٥] و (ثانيًا): أنه أخى من الرضاعة، وأنا أحق بشعره.

وأخذ كلام الغير مع التغيير فيه بإبدال كلمة منه، أو أكثر بما يرادفها داخل فى السرقة المحضة المردودة.

٢ – مثال تبديل كلمات كلام الغير كلّها بما يرادفها قول الشاعر:

ذر المآثر لا تذهب لمطلبها واجلس فإنك أنت الآكل اللابس

فإنه بدّل وسرق قول الحُطَيْئة هذا:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى

---

(٥) معن بن أوس.

٣- مثال تبديل كلمة من كلام الغير بما يرادفها قول طرفة :

وقوفا بها صحبى علىّ مطيّهم   يقولون لا تهلك أسًى وتجلّد

فإنه عين قول امرئ القيس بعد كلمته الأخيرة ، قال امرؤ القيس :

وقوفًا بها صحبى علىّ مطيّهم   يقولون لا تهلك أسًى وتجمّل

فالشاعر (طرفة) بدل تجمّل بـ "تجلّد" .

٢-وإن كان المأخوذ (عن كلام الغير) اللفظ كلّه مع تغيير نظمه ، أو كان المأخوذ بعضه سمّى هذا الأخذ إغارةً ومسخًا : أمّا إغارةً؛ فلأن الآخذ أغار على ما هو للغير وغيّره ، وأمّا مسخًا ؛ فلأنه بدّل وغيّر صورة كلام الغير ، وهذا هو المسخ .

أنواع كلام الآخذ فى هذا الأخذ المسمّى بالمسخ

وكلام الآخذ لا يخلو عن ثلاثة : إمّا أن يكون أبلغ من الكلام الأول ، أو أدون منه ، أو مثله .

١ - فإن كان الثانى أبلغ من الأول لاختصاصه بفضيلة لا توجد فى الأول كحسن السبك (النظم) ، أو الاختصار ، أو الإيضاح ، أو زيادة معنى ، فالكلام مقبول ، وأخذه ليس بعيب ، بل يسمّى بحسن الاتباع .

مثال الأول (المأخوذ عنه) قول الشاعر :

من راقب النّاس لم يظفر بحاجته   وفاز بالطيبات الفاتك اللهِج

أى من انتظر الناس لأجل مخافتهم لا ينجح فى حاجته ، وإنما ينجح بالطيبات الشجاع الحريص على القتل .

ومثال الثانى (المأخوذ المقبول) قول الشاعر :

من راقب الناس مات همّا　　　وفاز باللذة الجسور

فالمأخوذ وهو قول سَلْمٍ أجود سبكًا، وأخصر لفظًا من المأخوذ عنه.

٢- وإن كان الثاني دون الأول في البلاغة، فهو مذموم مردود.

مثال كون الثاني دون الأول قول الشاعر أبي تمام:

هيهات لا يأتي الزمان بمثله　　　إنّ الزمان بمثله لبخيل

وقول الشاعر أبي الطيب:

أعدى الزمان سخ.ء فسخا به　　　ولقد يكون به الزمان بخيلا

أي وصل إلى الزمان سخاءه، فأعطى الزمان (لأجل سخاوته) الممدوح لي، ولو لم يتعلم الزمان السخاء منه لم يسخ به، ولم يعطِني إيّاه -لأن الزمان كان يبخل به-.

فعلى كل حال، فالمصراع الثاني في قول أبي الطيب: مأخوذ من المصراع الثاني لأبي تمام، ولكن مصراع أبي تمام (في ا الأول) أجود سبكًا؛ لأن قول أبي الطيب: "لقد يكون" بلفظ المضارع لم يقع موقعه؛ لأن المعنى على الماضي.

٣- وإن كان الثاني مثله (مثل الأول)، فالثاني أبعد من الذمّ، ولكن الفضل للكلام الأول، مثاله قول أبي تمام:

لو حار مرتاد المنية لم يجد　　　إلا الفراق على النفوس دليلا

أي لو تحيّر في التوصل إلى هلاك النفوس الطالبُ الذي هو الموت لم يجد علينا دليلا للوصول إلى النفوس إلا الفراق، أي فراق الأحبّة.

وقول أبي الطيب:

لولا مفارقة الأحباب ما وجدت　　　لها المنايا إلى أرواحنا سُبُلا

يعني لولا خوف مفارقة الأحباب ما وجدت المنايا سبلا لها إلى أرواحنا

أى للوصول إلى أرواحنا.

فقد أخذ أبو الطيب معنى البيت الأول كلّه مع لفظ "المنية" و "الفراق" و "الوجدان" وبدّل بـ "النفوس الأرواح، ولكن الفضل لأبى تمام لسبقه.

٣- وإن كان المأخوذ المعنى وحده (بدون اللفظ) سمّى إلمامًا وسلخًا، أمّا تسميته إلمامًا فلأنه من ألمّ بمعنى قصد، وفيه يكون المعنى مقصودًا.

وأمّا تسميته سلخًا (وهو كشط الجلد عن الشاة) فكأنه كشط من المعنى جلدًا، وألبسه جلدا آخر، وهو (أخذ المعنى وحده) على ثلاثة أقسام: أبلغ من الأول، وأدون منه، ومثله.

١- مثال الأوّل قول الشاعر أبى تمام:

هو الصّنع إن يعجل فخير وإن يرث فللريّث فى بعض المواضع أنفع

أى ما فى الذهن عطاء وإحسان، فإن وقع بالسرعة فهو خير، وإن تأخر فيقينًا يكون التأخير أنفع فى بعض المواضع.

ومثال الأبلغ قول أبى الطيب:

ومن الخير بطوء سيبك عنّى أسرع السحب فى المسير الجهامُ

يعنى تأخير عطاءك عنّى من الخير، فإن أسرع السحب فى السير الجهام (لسحّاب الذى لا ماء فيه) مع أنه لا خير فيه، فبيت أبى الطيب أبلغ لاشتماله على زيادة بيان.

٢- مثال الأدون، والأفضل منه قول الشاعر البحترى:

وإذا تألّق فى النّدى كلامه المصقول خِلت لسانه من عضبه القاطع

(أى إذا لمع كلامه الواضح الصافى فى المجلس ظننتَ لسانه من سيفه القاطع أى مثل سيفه).

وقول أبى الطيب:

كأنّ ألسنتهم فى النطق قد جعلت   على رماحهم فى الطعن خرصانًا

كأنّ ألسنتهم عند النطق قد جُعلت على رماحهم أسنّةً عند الطعن.

فبيت البحترى (أى الأول) أبلغ لما فى لفظى "تألّق" و "مصقول" من الاستعارة التخييلية، فإن التألق والصقالة للكلام بمنزلة الأظفار للمنية، ولزم من ذلك تشبيه كلامه بالسّيف، وهو استعارة بالكناية.

٣- مثال كون الثانى مثل الأول قول الشاعر[٦]:

ولم يك أكثر الفتيان مالا   ولكن كان أرحبهم ذراعًا

ورحب الباع والذراع كناية عن السخاء، وقول الشاعر:

وليس بأوسعهم فى الغنى   ولكن معروفه أوسع

فالبيتان متملاثلان فى البلاغة وحسن السبك.

وأمّا **الأخذ غير الظاهر**، فله أنواع:

١- منه أن يتشابه المعنيان (معنى البيت الأول، ومعنى البيت الثانى) مثاله كقول جرير:

فلا يمنعك من أرب لحاهم   سواء ذو العمامة والخمار

(فلا يمنعك عن حاجتك كونهم على صورة الرجال، فإن الرجال والنساء منهم سواء فى الضعف).

وقول أبى الطيب:

ومن فى كفّه منهم قناة   كمن فى كفّه منهم خضاب

واعلم أنه يجوز فى تشابه المعنيين اختلاف البيتين نسيبًا (تشبيبًا)، ومديحًا وهجاءً، وافتخارًا أو نحوها، فإن الشاعر الحاذق إذا قصد إلى المعنى المختلس لينظمه احتال فى إخفاءه، فغيّر عن لفظه، وصرفه عن نوعه،

---

(٦) الأعرابى.

ووزنه، وقافيته.

٢- ومنه النقل: وهو أن ينقل معنى الأول إلى غير محلّه، كقول البحترى:

سُلبوا وأشرقت الدماء عليهم　　محمرّة فكأنّهم لم يُسلبوا

وقول أبى الطيب؛ حيث نقله إلى السيف:

يَبِس النجيع عليه وهو مجرّد　　عن غمده فكأنّما هو مُغْمَدُ

فنقله من القتلى والجرحى إلى السيف.

٣- ومنه أن يكون معنى الثانى أشمل من معنى الأول كقول جرير:

إذا غضبت عليك بنو تميم　　وجدت الناس كلّهم غضابا

وقول أبى نواس:

ليس على الله بمستنكر　　أن يجمع العالم فى واحد

فإنه أشمل من معنى بيت جرير؛ لأنه يشمل الناس وغيرهم.

٤- ومنه القلب: وهو أن يكون معنى الثانى نقيض معنى الأول، سمّى بذلك؛ لقلب المعنى إلى نقيضه.

مثاله كقول أبى الشيص[٧]:

أجد الملامة فى هواكِ لذيذة　　حبّا لذكرك فليلُمنى اللوّم

وقول أبى الطيب:

أأحبّه وأحبّ فيه ملامة　　إن الملامة فيه من أعداءه

وهذا نقيض معنى بيت أبى الشيص، ولكن كل منهما باعتبار آخر، ولذا قالوا: الأحسن فى القلب أن يبيّن الآخذ السبب.

٥- ومنه أن يؤخذ بعض المعنى (من كلام الغير) ويضاف إليه زيادة

(٧) محمد بن زرين.

تحسّنه، مثاله كقول الأفوه الأودى :

وترى الطير على آثارنا　　　رأى عين ثقة أن ستمار

أى ترى أنت الطير الطامعة للحوم على آثارنا بعينيك لأجل وثوق الطير، بأنها ستطعم من لحوم القتلى، فتأتى خلفنا.

وقول أبى تمام :

وقد ظُلّلَت عقبان أعلامه ضحًى　　　بعقبان طير فى الدماء نواهل

أقامت مع الرايات حتّى كأنّها　　　من الجيش إلا أنها لم تقاتل

معنى البيت الأول : قد أُوقِعَ الظل فى وقت الضحى على أعلامه (راياته) التى هى كالعقبان[٨] فى اللون والصورة لأجل عقبان هىَ من الطير، وقد روين (ضد العطش) من الدماء، أى دماء المقتولين يعنى شربن كثيرًا من دمائهم.

ومعنى البيت الثانى :

أى أقامت العقبان مع الرايات حتى كأنّها جماعة من الجيش إلا أنّها لم تقاتل مع جيش العدو.

الموازنة بين كلام الأودى وكلام أبى تمام

فإن الأفوه الأودى أفاد بقوله : "رأى عين" قرب الطير؛ لأنها إذا بعدت إنما تكون فى الخيال ولا ترى، وإنما يكون قربها توقعًا للفريسة، وهذا يؤكد المعنى المقصود، وهو كثرة قتل الأعداء، ثم قال الأودى : "ثقة أن ستمار"، فجعلها واثقةً بالميرة (بالطعام).

---

(٨) جمع عقاب.

وأمّا أبو تمام: فلم يقصد بشىء من ذلك، لكن زاد على الأفوه بقوله: "إلا أنها لم تقاتل"، ثم بقوله: "فى الدماء نواهل"، ثم زاد بإقامتها مع الرايات حتى كأنّها من الجيش، وبذلك يتمّ حسن قوله: "إلا أنها لم تقاتل"، وهذه الزيادات حسّنت قول أبى تمام، وإن كان قد ترك بعض ما أتى به الأفوه.

واعلم أن هذه الأمور المذكورة لغير الظاهر، ونحوها من الأنواع التى لم تذكر، أكثرها مقبولة؛ لأن منها ما أخرجه حسن التصرّف من محل الأخذ والاتباع (التقليد) إلى موضع الاختراع والابتداع (أى إلى التجديد والابتكار) وكلّما كان الأخذ أشدّ خفاء؛ بحيث لا يعرف كونه مأخوذًا من الأول، إلا بعد تأمّلٍ زائدٍ كان أقرب إلى القبول، وهذه هى علامة كون أكثرها مقبولة.

وهذا، أى المذكور من أقسام الظاهر، وغير الظاهر ومن ادعاء سبق أحدهم، وأخذ الثانى منه، وكونه مقبولا أو مردودًا، والتسمية بالأسامى المختلفة كله إنما يكون إذا علم أن الثانى أخذ من الأول، وأخذ الثانى من الأول لا يعلم إلا بأن يعلم أن الثانى كان يحفظ قول الأول حين نظم كلامه، أو بأن يخبر الثانى عن نفسه أنه أخذه من فلان، لجواز أن يكون الاتفاق بين الثانى والأول من قبيل توارد الخواطر، يعنى لأجل مجىء هذا الكلام على سبيل الاتفاق من غير قصد إلى الأخذ و السرقة.

مثال توارد الخواطر:

ما يحكى عن ابن ميادة أنه أنشد مضيفًا إلى نفسه:

مفيد ومتلاف إذا ما أتيته   تهلّل واهتزّ اهتزاز المهنّد

فقيل له : أين يذهب بك ، هذا (البيت) للحُطيئة؟ فقال : الآن علمت أنّى شاعر ، إذ وافقته على قوله : ولم أسمعه منه .

معنى البيت : الممدوح معطٍ للأموال ومتلفها للسائلين ، ويتلمّع وجهه عند السؤال ، أو اللقاء ، ويتحرك من شدّة السرور ، كتحرك السيف الهندى .

إذا لم يكن دليل على أخذ الثانى من الأول فما ذا نفعل؟

ولأجل ما ذكرنا لا ينبغى لأحد الحكم القطعى على شاعر بالسرقة ، ما لم يعلم الحال ، بل الذى ينبغى له (فى مثل هذه الصورة) أن يقول : "قال فلان : كذا ، وقد سبقه فلان ، فقال : كذا ، فيحصل له غنيمة فضيلة الصدق ، ويسلم من دعوى علم الغيب ، ومن نسبة النقص إلى الغير .

٢- الاقتباس

ومما يتصل بالسرقات الشعرية الاقتباس؛ لأنه أيضًا أخذ كلام الغير ، وجعله جزءً من كلامه ، وإن لم يطلق عليه السرقة .

مفهوم الاقتباس:

هو أن يجعل شيئًا من القرآن ، أو الحديث جزءً من كلامه من غير أن يصرّح ، بأنه قول الله تعالى ، أو قول رسوله ﷺ .

١- مثال الاقتباس من القرآن فى النثر قول الحريرى : "فلم يكن إلا كلمح البصر ، أو هو أقرب ، حتى أنشد فأغرب" ، فإن ﴿إلا كلمح البصر أو هو أقرب﴾ مقتبس من سورة النحل آية ٧٧ .

٢- مثال الاقتباس من القرآن فى النظم ، قول الشاعر :

إن كُنْتِ أزمعتِ على هجرنا[٩] من غير ما جرم فصبر جميل
وإن تبدّلت بنا غيرنا فحسبنا الله ونعم الوكيل

﴿فصبر جميل﴾ مقتبس من سورة يوسف آية ١٨، و ﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ مقتبس من سورة آل عمران آية ١٧٣.

٣- مثال الاقتباس من الحديث فى النثر، قول الحريرى: "قلنا: شاهت الوجوه، وقبّح اللكّع ومن يرجوه" فإن قوله: "شاهت الوجوه" لفظ الحديث؛ لأنه روى لما اشتدّت الحرب يوم حنين، أخذ النبى ﷺ كفّا من الحصاء، فرمى بها فى وجوه المشركين، وقال: «شاهت الوجوه» أى قبّحت الوجوه، و "اللكع": اللئيم، ومن يرجوه من يرجو من اللئيم خيراً.

٤- مثال الاقتباس من الحديث فى النظم قول الشاعر[١٠]:

قال لى إن رقيبى سيّئ الخلق فداره قلت دعنى وجهك الجنة حفّت بالمكاره

أُقتُبِس من لفظ الحديث: «حفّت الجنّة بالمكاره وحفّت النار بالشهوات».

أقسام الاقتباس

وله ضربان: الأول: ما لا ينقل فيه اللفظ المقتبس عن معناه الأصلى إلى معنى آخر، كما فى الأمثلة السابقة.

والثانى: ما يَنقل إلى معنى آخر، كقول ابن الرومى:

لئن أخطأتُ فى مدحـ ـك ما أخطأتَ فى منعى
لقد أنزلتُ حاجاتى بوادٍ غير ذى زرع

---

(٩) أى عزمتِ على هجرنا.

(١٠) ابن عبّاد.

فإن معنى "وادٍ غير زرع" فى القرآن: هو وادى مكّة الذى لا ماء فيه، ولا نبات.

والمراد هنا إمساك الممدوح وعدم إنفاقه، وقلّة خيره، وقد نقله ابن الرومى إلى هذا المعنى.

ولا بأس بتغيير يسير فى اللفظ المقتبس لأجل الوزن، أو غيره، كما فى قول الشاعر:

قد كان ما خفتُ أن يكونا　　　إنا إلى الله راجعونا

فإنه مقتبس من قوله تعالى: ﴿إن لله وإنا إليه راجعون﴾، فقال الشاعر لأجل الوزن: "راجعونا".

٣- التضمين

ومما اتّصل بالسرقات الشعرية التضمين؛ لأن فيه أيضًا أخذ كلام الغير.

مفهوم التضمين:

وهو أن يُضمّن الشاعر شعره شيئًا من شعر غيره مع التنبيه عليه (إن لم يكن الجزء المُضمّن مشهوراً عند البلغاء) كقول الحريرى فى حكايته عن قول الغلام الذى قدّمه أبو زيد السّروجى للبيع

أضاعونى سأنشِد عند بيعى　　　أضاعونى وأىّ فتى أضاعو

والمصراع الثانى فيه للعرجى"[11].

---

(١١) هو عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان رضى الله عنه نُسِبَ إلى "العرج" وهو منزل بطريق مكة. (المطول صـ٤٣٦)

ومثله قول الآخر :

قـــد قلتُ لمّا أطلَعت وجناته حول الشقيق الغضّ روضة آس
أعِذارَهْ الساريَ العجولَ توقفا ما في وقوفك ساعةً من بأس

والمصراع الأخير لأبي تمام.

معنى البيتين : أي قلت لمّا أظهرَتْ وجناته (خدّاه) حول الورد الأحمر الطريّ روضة من ريحان، والمراد ظهور شعره الأسود على وجهه، يا عذار المحبوب الساري (الماشي) بالعجلة توقف ولا تعجل؛ لأن في وقوفك ساعة ليس بحرج.

وأحسن أنواع التضمين ما زادعلى الأصل (أي على شعر الشاعر الأول) بنكتة لا توجد في الأصل، كالتورية والتشبيه، كما في قول الشاعر :

إذ الوهم أبدى لي لماها وثغرها تذكّرتُ ما بين العُذَيبِ وبارق
ويذكرني من قدّها ومدامعي مجرّ عوالينا ومجرى السوابق

المصراعان الأخيران لأبي الطيب.

الشرح والتطبيق : أي حين أظهر الوهم لي حمرة، أوسمرة شفتيها، وأظهر أسنانها تذكرت الموضع الواقع بين العذيب وبارق، وكذلك يذكرني الوهم من قدّها ومن دموعي جرّ الرماح وجريان الخيل السوابق.

والمعنى : أنهم كانوا نزولا بين هذين الموضعين، وكانوا يجرّون الرماح عند مقابلة الفرسان، ويسابقون على الخيل.

فقوله : "تذكّرت ما بين العُذَيبِ وبارق" "ومجرّ عوالينا ومجرى السوابق" مطلع قصيدة لأبي الطيب، فالشاعر الثاني أراد بالعذيب تصغير "العذب" يعني شفة الحبيب، وبـ "بارق" أسنانها الشبيهة بالبرق، وبـ "ما بينهما" ريقها تورية؛ حيث أريد بها المعنى البعيد، وشبّه تبختر قدّها بتمايل

الرماح، وتتابع دموعه بجريان الخيل السوابق، وهما تشبيهان، ففى المضمّن زيادة على الأصل بالتورية والتشبيه.

والتغيير اليسير لما قُصد تضمينه ليدخل فى معنى الكلام الثانى لا يضرّ فى التضمين، كقول الشاعر فى يهودىّ به داء الثعلب (مرض يسقط لأجله شعر الرأس):

أقـول لمعـشـر غلطوا وغـضّوا ... عن الشـيخ الرشـيـد وأنكروه

هو ابن جــلا و طلاع الثنايا ... حتى يضع العـمـامـة تعـرفـوه

أى أقول لجماعة أخطأوا وغضّوا أبصارهم عن الشيخ الرشيد، وأنكروا فضائله: "هو ابن من وضح، وبان أمره، وابن من يصعد على العقبات ويقتحم فى المشاكل.

البيت الثانى لسُحَيم بن وثيل، وأصله "أنا ابن جلا" على طريقة التكلم، فغيّره الشاعر الثانى إلى طريقةالغيبة؛ ليدخل فى المقصود، وهو وصف الشيخ الذى به داء ا لثعلب.

وإذا ضمّن الشاعر البيتَ فما زاد سمّى تضمينه استعانة، وإذا ضمّن المصراع فما دونه سمّى تضمينه إيداعًا، كأنه استعان عن الغير في الأول، وأودع شعره شيئًا قليلا من شعر غيره، وسمّى الثانى رفوءً أيضًا، كأنه رفأ وأصلح خرق شعره بشىء من شعر الغير.

٤- العقد

ومما يتصل بالسرقات الشعرية العقد؛ لأن فيه تصرّفا فى كلام الغير، فهو كالسرقة، وإن لم يكن مذمومًا.

مفهوم العقد: وهو لغةً: الربط بين الحبلين. واصطلاحًا: هو جعل النثر نظمًا (آيةً كان ذلك النثر، أو حديثا، أو مثلا، أو كلمةً، أو حكمةً)، لا على طريق الاقتباس، وهو أن لا يغيّر لفظ القرآن والحديث تغييرًا كثيرًا، ولا يشير إلى كون اللفظ منهما، بل يكون فيه تغيير اللفظ تغييرًا كثيرًا، وتكون الإشارة إلى كون اللفظ من القرآن والحديث، وأمّا النثر غير القرآن والحديث، فنظمه عقد مطلقًا؛ لأنه لا يمكن فيه احتمال الاقتباس.

مثال عقد القرآن كقول الشاعر:

أَنِلْنِى بالذى استقرضتَ خطًا	وأشْهِدْ معشرا قد شاهدوه
فإنّ الله خلاق البرايا	عنت لجلال هيبته الوجوه
يقول إذا تداينتم بدين	إلى أجلٍ مسمّى فاكتبوه

مثال عقد الحديث: فكما روى عن الشافعى رحمه الله أنه قال:

عمدة الخير عندنا كلماتٌ	أربع قالهنّ خير البرية
اتّق المشبّهات وازهد ودع ما	يعنيك واعمل بنية

حيث عقد: ١- قوله عليه السلام: «الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمور مشتبهات».

٢- وقوله عليه السلام: «وازهد فى الدنيا يحبّك الله».

٣- وقوله عليه السلام: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

٤- وقوله عليه السلام: «إنما الأعمال بالنيات»، وكذلك قول أبى العتاهية:

ما بال من أوله نطفة	وجيفة آخره يفخر

فإنه عقد قول على رضى الله عنه: "وما لابن آدم والفخر، وإنما أوله نطفة، وآخره جيفة".

مثال عقد قول بعض الحكماء :

كـــفى حُزَنا بدفنك ثمّ أنّى نفضتُ تراب قبرك عن يديّا
وكانت فى حياتك لى عظات وأنت اليوم أوعظ منك حيّا

عقد ما قيل فى الإسكندر لمّا مات :

كان الملك أمس أنطق منه اليوم ، وهو اليوم أوعظ منه أمس

٥- الحلّ

ومما يتّصل بالسرقات الشعرية الحلّ ؛ لأن فيه تصرّفا فى كلام الغير بدون إذنه ، فناسب السرقات الشعرية .

وهو لغةً : ضدّ العقد أى فتح العقد وإزالته .

واصطلاحًا : هو جعل النظم نثرًا .

وله شرطان : الأول : أن يكون سبكه وصوغه مختارًا بحيث لا يكون قاصرًا عن سبك النظم .

والثانى : أن يكون حسن الموقع (فى ذهن السامع) مستقرًا فى محله غير قلق (غير مضطرب) .

مثاله كقول بعض المغاربة : "فإنه لمّا قبحت فعلاته ، وحنظلت نخلاته ، لم يزل سوء الظنّ يقتاده ، ويُصدّق توهّمه الذى يعتاده" ، فإنه حلّ (أى جعل نثرًا) قول أبى أبى الطيب :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدّق ما يعتاده من توهّم

فأبو الطيب يشكو فى بيته هذا سيف الدولة لاستماعه قول أعداءه .

٦- التلميح

ومن السرقات الشعرية: التلميح؛ لأن فيه إشارة إلى كلام الغير، فكان كالأخذ منه.

تعريفه: وهو فى اللغة: (بتقديم اللام على الميم) مأخوذ من لَمَحَه إذا أبصره، ونظر إليه، أى معناه النظر إلى شىء، كما يقولون:

فى تفسير بعض الأبيات فى هذا البيت تلميح إلى قول فلان، وقد لمّح هذا البيت فلان، أى نظرٌ إلى قول فلان أو نظر إليه فلان، ولا حظه.

وأمّا التمليح (بتقديم الميم على اللام) فهو بمعنى الإتيان بالشىء المليح، كما فى التشبيه والاستعارة.

وأمّا فى الاصطلاح: فالتلميح عبارة عن الإشارة إلى قصة، أو شعر، أو مثل سائر من غير ذكره.

١ - مثال الإشارة إلى قصة فى قول أبى تمام:

فــو الله مــا أدرى أأحــلام نـائم ألّمت بنا أم كان فى الركب يوشع

أشار أبو تمام إلى قصة يوشع بن نون فتى موسى عليه السلام واستيقافه (طلب وقوفه) الشمس؛ فإنه روى أنه قاتل الجبارين يوم الجمعة، فلما أدبرت الشمس خاف أن تغرب قبل أن يفرغ منهم، ويدخل يوم السبت، فلا يحلّ له القتال، فدعا الله فردّ له الشمس حتى فرغ من قتالهم.

٣- مثال الإشارة فى شعر إلى شعر آخرقول الشاعر:

لعمرو مع الرمضاء والنار تلتظى أرق وأحفى منك فى ساعة الكرب

أى والله لعمرو مع الأرض الحارّة، ومع النار التى تلتهب وتخرج منها شعلة أرق، أى أكثر رحمًا وأكثر لطفًا وشفقةً منك فى ساعة الكرب والألم،

فقد أشار الشاعر فى هذا الشعر إلى البيت المشهور :

المستجير بعمرو عند كربته   كالمستجير من الرمضاء بالنار

حسن الابتداء والتخلص والانتهاء

واعلم أنه ينبغى للمتكلم -شاعرًا كان أو كاتبًا- أن يتبع الوجه الأحسن فى ثلاثة مواضع من كلامه، حتى تكون بتلك المواضع الثلاثة أعذب لفظًا وأحسن سبكًا، وأصحّ معنًى، فمعنى كونه أعذب لفظًا، أن يكون فى غاية البعد عن التنافر والثقل، ومعنى كونه أحسن سبكًا : أن يكون فى غاية البعد من التعقيد اللفظى والمعنوى، ومعنى كونه أصحّ معنى أن يسلم من التناقض، وامتناع فهم معناه، والابتذال، ومخالفة العرف .

٧- الابتداء:

أوّلها (المواضع الثلاثة) الابتداء، وإنما يجب تتبع الأحسن فيه؛ لأنه أوّل ما يقرع السمع، فإن كان عذبًا، حسن السبك، صحيح المعنى، أقبل السامع على الكلام، ووعى جميعه وإلا أعرض عنه، ورفضه .

مثال الابتداء الحسن فى ذكر الأحبّة ومنازلها قول امرئ القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل   بسقط اللوى بين الدخول فحومل

ومثال الابتداء الحسن فى وصف الدار قول الشاعر :

قصر عليه تحية وسلام   خلعت عليه جمالها الأيام

وينبغى أن يجتنب فى الابتداء المدحى مما يتطيّر به ، أى يتشاءم به، فإنه قد يتفاءل به الممدوح، أو بعض الحاضرين .

مثال الابتداء المدحي بما يتطيّر به ، قول ابن مقاتل الضرير حين أنشد قصيدةً أمام الداعي العلوي (أولها) :

"موعد أحبابك بالفرقة غد"

فقال له الداعي : "بل موعد أحبابك ، ولك المثل السوء".

وأحسن الابتداءات ما ناسب مقصود المتكلم ، ويسمّى هذا الابتداء براعة الاستهلال من إضافة الصفة إلى الموصوف ، أي الابتداء البارع الفائق ؛ فإن صاحبه يفوق غيره.

مثاله قول أبي تمام يُهنّئ المعتصم بالله بفتح عمورية ، وكان أهل التنجيم زعموا أنها لا تفتح في ذلك الوقت :

السيف أصدقُ إنباءً من الكتب ... في حدّه الحدّ بين الجدّ واللعب

وقول الشاعر :

بشرى فقد أنجز الإقبال ما وعدا ... وكوكب المجد في أفق العلى صعدا

هذا البيت مطلع قصيدة لأبي محمد الخازن ، يُهنّئ الصاحب بولد لابنته.

وأحسن الابتداء في المرثية قول الشاعر :

هي الدنيا تقول بملء فيها ... حذار حذار من بطشي وفتكي

أي تقول الدنيا بفمها الكامل الواضح اتّق اتّق من أخذي الشديد ومن قتلي بغتةً ، فهذا البيت مطلع قصيدة لأبي فرج الساوي يرثي فخر الدولة .

٨-التخلّص:

أي الثاني من المواضع التي ينبغي المتكلم تتبع الأحسن فيها التخلّص.

تعريفه لغةً: هو الخروج مما أُبتدئ به الكلام (من التشبيب والنسيب

وغيرهما، كالأدب والافتخار) إلى المقصود مع رعاية الملائمة بين الا
والمقصود.

والمراد بالتشبيب: ذكر أيّام الشّباب واللهو، وذكر النساء وحسن
وإنما يكون ذلك فى ابتداء قصائد الشعر، وقد يطلق التشبيب على ه
الابتداء، والمراد بالنسيب: وصف الجمال والحسن.

وأمّا معناه العرفى، فهوالانتقال مما افتتح به الكلام إلى المقصو
رعاية المناسبة، وبعبارة موجزة هو الخلاص عما افتتح به كلامه، والشروع
المقصود بعد رعاية المناسبة.

والحكمة فى تتبع الوجه الحسن فى التخلّص أنّ السامع يكون متـ
للانتقال عمّا ابتدأ به إلى المقصود أنه كيف يكون؟ فإذا كان حسنًا متلا
الطرفين حرّك نشاط السامع، وأعان على إصغاءه إلى ما بعده.

ومن التخلّصات الحسنة قول أبى تمام:

يقول فى قُومسٍ قُومى وقد أخَذَت ... منا السّرى وخطا المهريّة القُ
أمطلع الشمس تبغى أن تؤمّ بنا ... فقلت كلا ولكن مطلع الجـ

غريب البيت:

قُومَس: اسم موضع يقال له: دافعان.

السّرى: السير والمشى فى الليل.

أخذت منا السّرى: أى أثّر فينا سير الليل ونقص قوانا.

خُطى: جمع خُطوة وهى الفاصلة بين القدمين.

المهرية: الإبل المنسوبة إلى مهرة بن حيدان أبى قبيلة.

القود: جمع أقود طويلة الظهوروالأعناق.

تؤمّ: تقصد.

١- مثال الاقتضاب قول أبى تمام:

لو رأى الله إن فى الشيب خيراً جاورته الأبرار فى الخلد شيبا

ثم انتقل بلا ملائمة إلى ما يأتى:

كلّ يوم تُبدى صروف الليالى خُلقا من أبى سعيد غريبًا

٢- ومن الاقتضاب ما يقرب من التخلّص فى أنه يوجد فيه شيء من المناسبة كقول القائل -بعد حمد الله- أمّا بعد: فإنه فى كذا وكذا، فهو اقتضاب من جهة الانتقال من الحمد والثناء إلى كلام آخر من غير ملائمة، لكنه يشبه التخلّص؛ لأنه لم يؤتَ بكلام آخر فجأةً من غير لحاظ الارتباط، بل قُصِد نوع من الربط على معنى: "مهما يكن من شيء بعد الحمد والثناء، فإنه كذا وكذا".

مفهوم فصل الخطاب

١-وقيل: المراد بـ"فصل الخطاب" الواقع فى القرآن الحكيم ﴿وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾ هو "أمّا بعد" المذكور بعد قولهم: "الحمد لله" أو "حمداً لله" وما إلى ذلك.

قال ابن الأثير: "والذى أجمع عليه المحقّقون من علماء البيان: أن فصل الخطاب هو "أمّا بعد"".

٢-وقيل: فصل الخطاب معناه الفاصل من الخطاب، أى الذى يفصل بين الحق والباطل، على أن المصدر (فصل) بمعنى اسم الفاعل.

٣- وقيل: المصدر بمعنى اسم المفعول، أى المفصول من الخطاب الذى يجده المخاطب مفصولا وظاهرًا، حتى لا يشتبه عليه.

٣- ومن الاقتضاب القريب من التخلّص قوله تعالى: ﴿هذا وإن للطّاغين لشرّ مآب﴾ أى الأمر هذا، وإن للطّاغين الآية، أو مبتدأ محذوف الخبر، أى هذا كما ذكر، وكذا قوله تعالى: ﴿هذا ذكر وإن للمتّقين لحسن مآب﴾، وذكر الخبر فى هذه الآية ﴿هذا ذكر﴾ دليل على أن المحذوف فى قوله تعالى: ﴿هذا وإن للطّاغين﴾ الآية هو الخبر.

٤- ومن الاقتضاب القريب من التخلّص قول الكاتب عند الانتقال من بحث إلى بحث: هذا باب فى كذا، وهذا فصل فى كذا.

٩- الانتهاء

أى الثالث من المواضع التى ينبغى للمتكلم تتبع الأحسن فيها الانتهاء، وهو الاختتام؛ لأنه آخر ما يحفظه السمع، ويرتسم فى النفس، فإن كان حسنا مختارا تلقّاه السمع واستلذّه، وربما يَجبِرُ ما وقع فيما سبقه من التقصير، فوجب أن يكون فى غاية الجودة، حتّى لا تبقى الحاجة إلى الزيادة عليه.

١- فمن الانتهاءات المرْضية قول أبى نواس:

وإنّى جدير إذ بلغتُك بالمنى | وأنت بما أمّلتُ منك جدير
فإن تولّنى منك الجميل فأهله | وإلا فإنّى عاذر وشكور

٢- وأحسن الانتهاءات ما أخبر بانتهاء الكلام، حتى لا يبقى للنفس تشوّف وانتظار إلى ما وراءه، كقول الشاعر:

بَقيت بقاء الدّهر يا كهف أهله | وهذا دعاء للبرية شامل

وأبلغ الابتداءات فواتح السور وأجمل الانتهاءات خواتمها، لأنها واردة

على أحسن وجوه البلاغة، وأكملها، وكيف لا؟

وكلام الله تعالى فى الرتبة العليا من البلاغة، والغاية القصوى من الفصاحة، وقد أعجز مصاقع البلغاء وأخرس ألسنة الفصحاء.

وإنما يظهر ذلك بعد التأمل والتذكر لما تقدّم من أصول البلاغة وقواعد الفصاحة، وبعد إدراكها، والوصول إلى مغزاها، ثم رعايتها وتطبيقها على دقائق كلام الله تعالى ولطائفه[١٢].

التمرين

١- عرّف السرقات الشعرية، واذكر شرائطها ومواضعها.

٢- ما هو المراد من الأخذ الظاهر وغير الظاهر؟ وضّحهما بالمثال.

٣- اذكر مثالا للسرقة فى الشعر.

٤- عيّن الشاهد فى البيت الآتى:

لعمرك ما أدرى وإنى لأوجل ... على أينا تغدو المنية أوّل

٥- قدّم مثالا لتبديل كلام الغير كاملا.

٦- أىّ قسم من الأخذ يسمّى مسخًا وإغارة؟

٧- لماذا استشهد بهذا البيت:

هيهات لا يأتى الزمان بمثله ... إنّ الزمان بمثله لبخيل

٨- ومتى يسمّى المأخوذ إلمامًا وسلخًا؟ مثّل له.

---

(١٢) وأحسن ما يكشف عن غوامض بلاغة كلام الله تعالى هو "الكشّاف عن حقائق التنزيل" للزمخشرى (٥٤٨) وأجمل ما يفتح من فصاحته هو "مفاتيح الغيب" (التفسير الكبير) للرازى (٦٠٦هـ) وأجمع ما يربط سوره وآياته هو "نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور" لبرهان الدين البقاعى (٨٨٥هـ).

٩- اذكر أقسام الأخذ غير الظاهر، ومثّل لها.

١٠- اذكر مثالا لتوارد الخواطر.

١١- عرّف الاقتباس، ومثّل له من القرآن والحديث.

١٢- اذكر تعريف التضمين ومثاله.

١٣- وضّح الفرق بين العقد والحلّ بالمثال.

١٤- ما ذا تعرف بالنسبة إلى التلميح؟

١٥- ما هو التخلّص؟ عرّفه واذكر أقسامه.

١٦- اذكر مثالا لحسن الابتداء، ومثالا لحسن الانتهاء.

هذه نهاية بديعة لفن البديع؛ حيث انتهى التهذيب، والترتيب بانتهاء بحث "الانتهاء" الذى يكون نهاية الخاتمة لعلم البديع، وقد سهّل الله لى هذا العمل الضئيل من البداية، ووفقنى للوصول إلى النهاية بفضله وإحسانه، = ورحمته وغفرانه، فله الحمد ملء السموات، وملء الأرض، وملء ما شاء من شيء بعد، هو أهل المجد والثناء، وله الشكر ومنه الدعاء.

وكتبه عبده الجانى

محمد أنور بن مرزا محمد بن دولت محمد بن محمد على

بن محمد قربان الوردوجى البدخشانى

غفر الله له ولوالديه وأهل بيته وذريّته ومشايخه

يوم لا ينفع مال ولا بنون.

٣/ ٢/ ١٤١٦هـ

فهرس المحتويات

المنابع التى استقيت منها أثناء التهذيب

أسرار البلاغة للشيخ عبد القاهر الجرجانى
الإيضاح للقزوينى
البلاغة الواضحة لعلى الجارم ومصطفى أمين
البلاغة تاريخ وتطوّر للشوقى ضيف
البيان والتبيين للجاحظ
الجامع لفنون اللغة العربية والعروض لعرفان مطرجى
جواهر البلاغة للسيد أحمد الهاشمى
حاشية السيّد على المطوّل للسيد شريف الجرجانى
دروس البلاغة لجماعة من العلماء المصريين الأفاضل
دلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر الجرجانى
شرح الإيضاح (ثلاثة مجلدات) لمحمد عبد المنعم خفّاجى
شرح دلائل الإعجاز لمحمد عبد المنعم خفاجى
الصنّاعتين لأبى هلال العسكرى
علم المعانى وعلم البيان وعلم البديع (الثلاثة) للدكتور عبد العزيز عتيق
علوم البلاغة لأحمد مصطفى المراغى
فيض الفتاح على حواشى شرح تلخيص المفتاح لعبد الرحمن الشربينى
كتاب الحيوان للجاحظ
لسان العرب لابن منظور مختار الصحاح للرازى
المطوّل للتفتازانى
المعجم الوجيز للجنة مجمع اللغة العربية بجامعة القاهرة
مفتاح العلوم للسكاكى
مقدمة كتاب العبر لابن خلدون
ميزان البلاغة للشاه عبد العزيز الدهلوى
نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز للإمام فخر الدين الرازى

المؤلفات الأخر
للأستاذ محمد أنور البدخشانى

طريق الوصول إلى البلاغة	تسهيل القطبى	أصول الفقه للمبتدئين
تسهيل الضريرى	تسهيل المنطق	شرح مقدمة صحيح مسلم
المنطق المنهجى للمبتدئين	تفهيم مصطلح الحديث	تسهيل شرح نخبة الفكر
تسهيل أصول الشاشى	تيسير أصول الفقه	توضيح الفرائض السراجيه
البلاغة الصافية تسهيل مختصر المعانى	الفوز الكبير فى أصول التفسير	تيسير الحقائق فى شرح كنز الدقائق
النحو الصافى تسهيل شرح الجامى	أصول الحديث للإمام السرخسى	تلخيص شرح العقيدة الطحاوية

التيسير المهذب فى شرح المنتخب تسهيل الحسامى